بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أمدرمان الاسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

شرح رسالة ابن زيدون بين الصفدى وابن عليم

دراسة أدبية ، نقدية ، مقارنة

بحث لنيل درجة الماجستير

في

اللغة العربية

تخصص: أدب ونقد

اعداد الطالب: صلاح الدين محمد عثمان محمد

اشراف الدكتور: فاروق الطيب البشير

العام الجامعي: ٢٠٠٥/٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

موضوع البحث :

يتضمن هذا البحث شرح رسالة ابن زيدون الجدية بين الصفدى وابن عليم . دراسة أدبية نقدية مقارنة .

أهميته :

إنه يسلط الضوء على ضرب من الأدب العربى يقوم على شرح وتفسير الرسائل الموجزة بما يتيح لها من معان جديدة ، واستطراد من فنون الكلام الأمر الذى يجعل النص الأصلى حديقة تزخر برقيق الشعر ، وحلو العبارة ، وعديد الحكم فيجد كل قارئ ما يروقه ويسره.

كما أن هذا النمط من الدراسات الأدبية المقارنة يسلط الضوء على جهود السابقين ويبرزها – في عصرنا هذا – لتتم الفائدة المرجوة منها .

اسباب إختياره :

أولاً: ابن زيدون شاعر ملأت سيرته الأفاق ، وعمت البقاع .. له أسلوب رشيق ، و فكر دقيق ، طوع العبارة حتى أطاعته فنسج منها الشعر المحبر ، والأسلوب المنمق ، والمعانى العميقة مما يجعل الاطلاع على كتاباته ضرورة لا تقل عن الاطلاع على شعره ، وأمر يفيد اللاحقين كما أفاد السابقين .

ثانياً: استطاع العالم القدير ، والشاعر الكبير – صلاح الدين الصفدى – أن يضفى على رسالة ابن زيدون " الجدية " من ذاتيته وأن يلونها بما جادت به أريحيته من رصين شعره . وأن يزينها بالعديد مما نضحت به القرائح في الجاهلية والإسلام من القصائد الفريدة ، والحكم الرشيدة ، والحكايات والنوادر مما جعل شرحه حافلاً بأكرم الذخائر وأنفسها ، الأمر الذى أكسب الرسالة حلاوة على حلاوتها ، وأهمية على أهميتها .

ثالثاً: ثم بعد مضى ما يربو على الستمائه عام من شرح الصفدى العالم الشهير ، تناول الرسالة الأديب المصرى ابوبكر محمد عليم (الأمر الذى أتاح لى فرصة هذه الدراسة الأدبية للمقارنة بين كاتبين تناولا موضوعاً واحداً في عهدين مختلفين).

ولقد أغدق الشارحان على الرسالة من جملة الفنون ما جعلها دائرة للعلوم الشاملة . يجد كل قارئ لها بغيته من اللمح التاريخية ، والإرشادات العلمية ، وعيون الشعر ورصين النثر.

رابعاً: هذا النوع من الدراسة فرصة سانحة لكشف المكنون في تراثنا العربى مما يجلب الإنتباه إليه فتتم وتعم الفائدة المنشودة منه .

المنهج المتبع في إعداده:

المنهج الوصفى النقدى في دراسة الظواهر ، وتحليل النصوص.

الدراسات السابقة:

هذا الأسلوب من التأليف أعنى – الشرح والتعليق على الرسائل أو الكتب الموجزة – فن تناوله العديد من الكتاب مثل ما اورده ابن ابى الحديد تعليقاً على كتاب نهج البلاغة وما اشتمل عليه كتاب خزانة الأدب للبغدادى وغير ذلك كثير.

على هذا النهج جاء كتابا " تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون " للصفدى و" الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون لابن عليم ". غير أننى لم أقف على دراسة مقارنة سابقة بين هذين المؤلفين.

أهم المراجع والمصادر:

العديد من المصادر الأدبية التى تناولت حياة كل من صاحب الترجمة " ابن زيدون" و الشارحين " الصفدى " و " ابن عليم " وعصريهما.

والحديث عن المصادر الأساسية لابد أن يقودنى إلى الصعوبات التى واجهتها وأنا أبحث بصورة خاصة عن مصادر ومراجع للسيرة الذاتية للأديب أبوبكر محمد عليم . حيث زرت العديد من المكتبات – دون طائل – كما أننى أتصلت بالعديد من الأصدقاء وذوى الشأن والمعارف في داخل السودان وخارجه طالباً يد العون وركزت بصورة خاصة على جمهورية مصر العربية " مسقط رأس الأديب " وتابعت بحثى في معارض الكتب المصرية التى أقيمت بالسودان كما زرت دار الوثائق

السودانية وبعد جهد كبير قيض الله لى لفيفاً من الأساتذة الكرام الذين أشاروا على ببعض المراجع وبعد بحث طويل يسر الله الأمر ووفقنى للحصول على بعض الكتب التى أعانتنى كثيراً على استجلاء حياة الأديب ابوبكر محمد عليم.

هيكل البحث:

يقع هذا البحث فى أربعة فصول ، اشتمل الفصل الأول على التعريف بصاحب الأصل و الشارحين وتضمن عدداً من المباحث والمطالب . أما الفصل الثانى، فقد اشتمل على وصف كتاب الأديب الصفدى (تمام المتون) .بينما حوى الفصل الثالث على وصف لكتاب الأديب عليم(الدر المخزون).

أما الفصل الرابع والأخير فقد اشتمل على المقارنة والموازنة بين الشرحين ، وتضمن خمسة مباحث .

المبحث الأول عبارة عن مدخل، والمبحث الثانى الاسلوب، والمبحث الثالث اللغة، والمبحث الرابع الموضوعات، أما المبحث الخامس والأخير يحتوى على تقييم عام الشرحين.ثم تلى ذلك الخاتمة ، وهى أهم نتائج البحث،تعقب الخاتمة الفهارس العلمية للموضوعات والمصادر والمراجع.

وقبل أن أزايل هذه المقدمة أهدى وافر الشكر وعظيم الإمتنان للأستاذ الجليل الدكتور فاروق الطيب البشير الذى أشرف على هذا البحث وكان لآرائه وإرشاداته الفضل الكبير في أن يخرج بحثى بهذه الصورة .. كما أهدى أسمى آيات الشكر والتقدير للأستاذ التجانى سعيد لآرائه القيمة وأفكاره السديدة ومدى بالكثير من الكتب من مكتبته العامرة والشكر موصول للأستاذ الدكتور أحمد محمد البدوى ثم يتصل الشكر لكل من أعاننى برأى أو فكرة .. ولله الحمد والمنة أن هيأ لى من الصحة والعافية ما أعاننى على اكمال هذا البحث.

الله أسأل أن يجزى الجميع أكرم الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

لخرطوم

١٦ اكتوبر ٢٠٠٦

الفصل الأول

التعريف بصاحب الأصل والشارحين

ويتضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول

التعريف بابن زيدون ورسالته الجدية

المطلب الأول : عصر ابن زيدون

أولاً : الحياة السياسية

غربت شمس الدولة الأموية في الأندلس ، والقرن الخامس يؤذن بإشراف على نهايته[1] . وبذلك أفلت قرطبة بقضها وقضيضها. وحلت مقامها دول ملوك الطوائف بالأندلس ، تلك الدول التى اقتسمت الأندلس وتوزعتها .. فكان للبربر الجنوب ، وللصقالبة الشرق ، وتشارك العرب والمولدون والبربر في الوسط والغرب. وعلى هذا النحو تفتت الأندلس إلى دويلات يصارع بعضها بعضاً.

ومع وجود التمزق والتشرذم الذي أصاب الأندلس أسوق أمرين جديرين بالملاحظة أولهما : أن نظام ملوك الطوائف لم يكن نظاماً استبدادياً بل كان نظاماً أشبه ما يكون بالنظام الجمهورى . إذ أن الملوك قد اختارتهم مدنهم ، وهم قد اختاروا إلى جانبهم مجموعة من الحجّاب ، أو الوزراء ، كانت تسوس الدولة ، وتنظر في شئونها المختلفة . وتعرض رأيها على رئيسها ، الذي يرفعه بدوره الى الحاكم العام. فمثلاً حكومة بنى جهور في قرطبة ، نهض وزراؤها بشئون البلاد ، وإدارة المدينة ، وكونوا مجلساً برئاسة أبى الحزم جهور بن محمد بن جهور ، كان هو الحاكم العام. ولم يتم إختياره من قبل الوزراء وحدهم ، بل أسهم أهل قرطبة ، من قضاة ورجال دين ، وعامة في إختياره . كذلك أو قريباً من ذلك كان الوضع في اشبيلية ففي خضم الفتن إختارت اشبيلية قاضيها محمد بن عباد اللخمى ليدير شئونها. ولم يكن ينفذ أمراً إلاّ بعد اجتماع وزرائه ، الذين كانوا يجتمعون في نظام للنظر في أمور المدينة ومصالحها وشئونها المختلفة.

---

[1] انظر الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة –د. أحمد هيكل

وثانى الملاحظتين أن رجال الدين كان لهم نفوذ كبير على الشعب ، أقوى من نفوذ أصحاب السلطة . وأكبر دليل على هذا ثورة رجال الدين ، وأهل قرطبة على الحكم الرّبضى.

ومن دروس التاريخ المتكررة أن التفتت والتشتت يقود الى ضعف النفوذ والهزيمة . ، وهذا ما حدث لملوك الطوائف ، إذ أن الكثيرين من أصحاب هذه الدويلات غلبوا على أمرهم ، فنزلوا عن سلطتهم يقول د. شوقى ضيف[1] " وغلب كثير من هذه الدويلات الإسلامية على أمره ، فنزل عنه أصحابه لفرناند ملك قشتالة وليون ، أو دفعوا الجزية عن يد وهم خاضعون . وتبع فرناند ألفونس السادس فسّعر الأندلس بحروبه وأشعلها بجيوشه ، فاستغاث المعتمد بن عبّاد زعيم ملوك الطوائف وكبيرهم بيوسف بن تاشفين ملك المرابطين في المغرب ، فأغاثه بجيش جرار هزم المسيحيين هزيمة منكرة في موقعة الزلاقة المشهورة . ولم يلبث أن ضمّ الأندلس كلها تحت جناحى دولته ، إذ رآها لقمة هينة سائغة ".

وبهذا انقضى عهد ملوك الطوائف بالأندلس.

ثانياً: الحياة الإجتماعية:

كانت الأندلس خليطاً من الأجناس بصورة لم تتوفر في أى إقليم عربى . فقد ضمت أجناساً شتى من السّلْت والبَسْك والجلالقة استعمرها الفينيقيون واليونان . واستعمرها كذلك الرومان ، الذين نشروا فيها اللغه اللاتينية ، والديانة المسيحية . وقد اكتسحتها مجموعة كبيرة من قبائلهم الجرمانية خاصة الفندال الذين أشادوا بها دولة كبيرة . ومن اسمهم اشتق العرب كلمة " الأندلس " التى سموا بها جزيرة إيبريا كلها .

عرفت الأندلس قديماً باسم ايبريا يقول د. أحمد هيكل[2] " وإنما عرفت في أقدم عصورها باسم إيبريا Iberia نسبة الى الايبريين -Losiberos -الذين كانوا من أقدم من سكن هذه البلاد من البشر "

---

[1] ابن زيدون صفحتى ٥ – ٦

[2] الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة صفحة ١٣

" كذلك اطلق عليها الرومان اسم اسبانيا Hespania حين حكموها ، وقد استنبطوا هذا الاسم من تعبير فينيقى يعنى " شاطئ الأرانب" . إذ أن الفينيقيين قد صادفوا كثيراً من الأرانب على الشاطئ الإيبرى الذين نزلوا به.[١]"

ثم جاء القوط الغربيون وإبان حكمهم فتح الأندلس موسى بن نصير ، بجيش من العرب والبربر. واستمر المسلمون في حكمها ، كما أسس بها عبد الرحمن الداخل " صقر قريش" دولة أموية عظيمة . استعان على حراستها بكل من اليهود والفرنسيين والإيطاليين والألمان[٢] . ومن هذه العناصر المتباعدة تكون المجتمع الأندلسى . فمن آسيا جاء العرب ، ومن إفريقيا جاء البربر ، ومن أوربا جاء الإسبان والايطاليون والألمان . فجاءت مزيجاً من شعوب شتى وحضارات متباينة ، جعل من الصعب نعت هذا المجتمع بصفات تميزه وتشخصه . ولعل من أهم ما يميز المجتمع الأندلسي : ميله الشديد الى الثورة يشهد على ذلك عصر ملوك الطوائف الذي حاولت كل مدينة فيه أن ترد سلطان غيرها عنها ، وأن تستقل بأمرها وإرادتها ، مما أسفر عنه الصراع المرير والعراك الذي أضعف الدولة ، وأسلمها لقمة سائغة للمرابطين في المغرب . لم يكن هذا حال المسلمين في الجنوب وحدهم ، بل كان حال المسيحين في الشمال أيضاً . كذلك عرفوا مصارعة الثيران بصورة ما بلغها غيرهم ، مما أورثهم حدة الصراع وسفك الدماء والعذاب في غير مرحمة ولا شفقة.

طبيعة الثورة هذه أكسبت الأندلسى اعتداداً بنفسه وميلاً إلى الحرية شاركت المرأة الرجل في كل أولئك بصورة لم يعرفها المجتمع الشرقى ، لا في بغداد ولا في غيرها . وقد عرفها المجتمع الأندلسى في قرطبة وفي غيرها . لا يدل ميل المرأة صوب الحرية ومجلسها الذي كانت تستقبل فيه أعيان عصرها وأدبائه كمجلس ولادة لايدل على وهن في الدين . لا ، ولا إنفكاك عن التقاليد ، فإنه لم يكن لرجال الدين في بلد من بلدان الإسلام ، ما كان لهم في الأندلس ، من مكانة وهيبة تدلان على الإجلال والتوقير.

اتسم الأندلسيون بالثورة ، وحب الحرية ، والتقاليد الدينية ، ومع كل ذلك ، بل وفوق كل ذلك ، اتسموا بالترف إلى أبعد ما يكون الترف. وبالرغم من وجود

---

[١] **نفس المصدر السابق صفحة ١٣**

[٢] انظر الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة –د. أحمد هيكل

الترف في المشرق العربى ، فإن دائرته قد انداحت في الأندلس لتشمل أفراد الشعب ، إذ أن الإسراف وشرب الخمر ، والتهالك على اللّذات ، كان ديدن المجتمع – حتى طال الأمر القضاة ورجال الدين . فهذا ابوبكر بن ذكوان – قاضى أبى الحزم بن جهور صاحب قرطبة – أجلّ القضاة وأبعدهم وقاراً ومهابة وعدلاً. هكذا كان في مجلسه في النهار حتى إذا أرخى الليل سدوله أقبل مع أصحابه " على القصف ، وتجاوز في ذلك كل وصف "[1]

عادات الأندلسيين وتقاليدهم:

من أهم صفات الأندلسيين وعاداتهم التى اشتهروا بها:

(أ) أزياؤهم:

ومن حيث الزى ، فالغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ، ولا سيما في شرق الأندلس ، أما أهل غربها فلا تكاد ترى فيهم فقيهاً ، ولا قاضياً مشاراً اليه ، الاّ وهو بعمامة. وكثيراً ما يتزيّا سلاطينهم وجنودهم بزى النصارى المجاورين لهم.[2] ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان[3] إلاّ أنه لا يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ . ولا سبيل ليهودى أن يتعمم ألبته.

والذؤابة[4] لا يرخيها إلاّ العلماء ، ولا يصِّرفونها بين الأكتاف ، وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى. وهم لا يعرفون أشكال العمائم المشرقية ، وإن رأوا على رأس مشرقى – داخل إلى بلادهم – شكلا منها أظهروا التعجب والإستظراف دون أن يحاكوه ، لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم ، وكذلك الشأن في تفصيل الثياب.

أما النساء الأندلسيات فيغلب على زيهن الأناقة والبذخ ، والتفنن في الزينة وأشكال الحلى.

---

[1] الذخيرة ، المجلد الأول صفحة ٣٥٨

[2] الأدب العربى في الأندلس صفحة ١٤٢

[3] الطيلسان : ثوب موصول به غطاء للرأس

[4] الذؤابة: هى الشعر المضفور من شعر الرأس

(ب) حب النظافة:

وعن النظافة يقول المقرئ " وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون ، وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه ، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها " .[1]

(ج) شعار الحداد:

إذا تعارف الناس على لبس السواد شعاراً للحداد فإن الأندلسيين تعارفوا على اللون الأبيض كشعار للحداد. بقول ابن برد الأصغر:

يقولون : البياضُ لباس حزنٍ
بأندلس ، فقلت : من الصواب
ألم ترنى لبستُ بياض شعرى
لأنى قد حزنت على الشباب

(د) حسن تدبيرهم:

والأندلسيون في شئون حياتهم المعيشية أهل احتياط وتدبير ، وحفظ لما في أيديهم ، مخافة ذل السؤال. ولهذا فهم أبعد الناس عن الإسراف والتبذير . وقد ينسبهم للبخل من لا يعرف حقيقة بواعثهم لهذا السلوك ، مع أن لهم مروات على عادة بلادهم ، لو فطن لها حاتم الطائى ، كما يقول المقرئ ، لفضل دقائقها على عظائمه ![2]

ولعل فيما وقع لابن سعيد " هو عبد الملك بن سعيد صاحب كتاب " المغرب في حلى المغرب"[3] ووالده في إحدى قرى الأندلس ما يفسر بواعث هذا السلوك عند الأندلسيين. قال ابن سعيد : " لقد اجتزت مع والدى على قرية من قراها – الأندلس – وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل ، فأوينا إليها ، وكنا على

---

[1] نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ١/ ٢٠٨

[2] الأدب العربى في الأندلس صفحة ١٤٣

[3] الذخيرة ، المجلد الثاني صفحة ٣٨

حال ترقب من السلطان وخلّو من الرفاهية ، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها ، من غير معرفة متقدمة ، فقال لنا : إن كان عندكم ما اشترى لكم فحماً تسخنون به ، فإنى أمضى في حوائجكم ، وأجعل عيالى لشأنكم ، فأعطيناه ما اشترى به فحماً ، فأضرم ناراً ، فجاء ابن صغير له ليصطلى فضربه ، فقال ، له والدى : لم ضربته ؟ فقال : يتعلم استغنام أموال الناس والضجّر للبرد من الصغر.

ثم لما جاء النوم قال لابنه : اعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على كسائه ، فدفع كساءه إلىّ ، ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبى منتبهاً ، ويده في الكساء . فقلت ذلك لوالدى ، فقال : هذه مروات أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم : أعطاك الكساء وفضلك على نفسه . ثم فكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفاً من انفصالك بها وهو نائم . وعلى هذا الشئ الحقير فقس الشئ الجليل" [1]

(ها كراهيتهم للتسول:

وعادة التسول مستهجنة عند الأندلسيين ، وإذا رأوا من هو قادر على الكسب ، سليم البنية وهو يتكفف الناس سبوه وأهانوه ، ولذلك قلما تجد سائلاً إلاّ صاحب عذر حقيقى.

ثالثاً: الحياة العلمية

لقد بدأت النهضة الأدبية في الأندلس منذ القرن الرابع ، إلاّ أنها آتت أكلها في عصر ملوك الطوائف .... حيث أصبحت قرطبة منارة للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، الى جانب مناراتها الأخرى في المشرق ، كالقاهرة وبغداد ودمشق وغيرها . لم تكن الأندلس منارة في مجال الأدب وحده ، بل كانت منارة في ميدان الحياة الإنسانية كلها . إذ بدأ الغرب المسيحى يقبل على قرطبة ، وينهل من معارفها وثقافاتها ، مما كان له أبعد الأثر في النهضة الأوربية الحديثة.

ولعل من أبرز الوسائل التى أعانت الأندلسيين في اكتساب العلم ، وتأسيس حركته في بلادهم ، أمور أربعة:

---

[1] نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ١ / ٢٠٨ – ٢٠٩

أولها: دعوة علماء المشارقة إلى الأندلس ليبستفيد أهل الأندلس من علمهم الثر ، وينهلوا من أدبهم الجم ، وخير مثال لذلك رحيل أبى عليّ القالى صاحب كتاب " الأمالى" من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة عبد الرحمن الناصر ، حيث لقى عنده كل اكرام ، واختص بابنه الحكم المستنصر ، وأورث أهل الأندلس علمه.[1]

وبهذا تمكن ابى علي القالى من بعث نهضة علمية وفكرية لا سيما وأنه كان إماماً في اللغة حافظاً لأشعار العرب ، فروى الكثير من مختارات الأدب وأغناها بشرحه نظماً ونثراً.

ثانيها: رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق للتبحر في علوم المشارقة ، والعودة لنشرها في الأندلس ، ولعل يحى بن يحى الليثى خير مثال على ذلك . إذ أنه ارتحل إلى المدينة المنورة وتتلمذ للإمام مالك ، إمام دار الهجرة ، وأخذ عنه كتابه المسمى " موطأ الإمام مالك " كذلك سافر الى مصر وأخذ من أكابر علمائها ثم عاد ونشر علمه بين أهل الأندلس .[2]

ثالثها : جمع الكتب ، وإنشاء المكتبات العامة ، التى يؤمها الدارسون والباحثون . بالإضافة الى إنشاء دور العلم. ولقد استكثر عبد الرحمن الناصر ، وابنه المستنصر ، من إنشاء المدارس. بجانب جامعة قرطبة ، التى كانت تشع أضواؤها في العالم الغربى كله . الأمر الذي كان له أبعد الأثر في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بالأندلس ، وتحريك همم الناس ، وحفزهم للإقبال على قراءة كتب الأوائل . وتعلم مذاهبهم . فنشطت الدراسات اللغوية والفقهية والنحوية والتفسير ، وغير ذلك كثير. وما إن يظهر مؤلف في المشرق إلاّ نقله الأندلسيون إلى بلادهم . ومما نقلوه " البيان والتبيين" و" رسالة التربيع والتدوير " للجاحظ.[3] وديوان أبى تمام ، والمتنبئ ، وسقط الزند واللزوميات ، ورسائل بديع الزمان ومقاماته ، ومقامات الحريرى.

---

[1] نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ١/ ٣٦٢

[2] نفس المصدر ٢/ ٢١٧

[3] معجم الأدباء لياقوت الحموى (طبعة فريد الرفاعى) ١٠٤/١٦

رابعها: أمراء الأمويين وخلفاؤهم في الأندلس. ثم من جاء بعدهم ، من ملوك الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين ، وبنى الأحمر . كما أنهم اتخذوا حجابهم ووزراءهم وكتابهم من مشاهير الأدباء. وفي ذلك ميدان جديد للتنافس بين أدباء كل عصر ، في نيل حظوة الملوك ، والتقرب إليهم بالأدب والعلم. ولقد كان معظم الملوك ، أو الأمراء أدباء ، أو شعراء ، أو علماء. مما يعنى أنهم ارتموا في خضم الحركة العلمية ، والأدبية ، والفنية . بل كانوا من فرسان حلبتها ، وممن اغنوها من نتاج عقولهم وقرائحهم. فمثلاً مؤسس إمارة قرطبة – عبد الرحمن الداخل – كان شاعراً . ومن ملوك الطوائف الشعراء المعتصم بن صمادح صاحب المريّة ، ومنهم المعتمد بن عباد – صاحب اشبيلية وملك شعراء الأندلس . فقد كانت اشبيلية حينئذٍ مركز الشعر والشعراء . هذا ولما استولى النورمان على صقلية ، وخرب العرب القيروان ، رحل الشعراء من هذه وتلك الى اشبيلية حيث الجوائز السنية ، وحيث الخمر واللهو والغناء . فجاءها ابن حمديس وأبى العرب الصقلى والحصرى ، فكان ذلك سبباً في نهضة الشعر بعاصمة بنى عباد . وجرى فيها الشعر على كل لسان . حتى لقد أجازت غسالة شطراً من الشعر للمعتمد الذي سأل وزيره ابن عمار أن يجيز الشطر ، فتلجلج ، فبادرت الغسالة لتنقذه . فأعجب بها المعتمد وتزوجها . وهى الرميكية المعروفة . وهى التى تمنت في قصره لو عجنت الطين برجليها ، كما كانت تصنع قديماً ، فنثر لها كافوراً وعنبراً كثيراً ، وصنع لها منها ما صبت نفسها اليه.[1]

وكانت مجالس الأدب في الأندلس من أكبر مسارح الأفكار ، وأفخم مظاهر الجمال ، وأظهر مظاهر الحياة العقلية الإجتماعية. كانت تحفل بأنواع الأدب ، وألوان الطرب ، وأفانين اللهو والسمر ، وكان الشعر فيها نشوة الشارب ، وغناء الراقص ، ولغة الكؤوس ، وأدب النفوس.[2] حيث كانت للمعتمد دار مخصوصة بالشعراء ، وديوان تقيد فيه اسماؤهم ، وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه ، فلا يدخل عليه غيرهم .[3] وكذلك كان للمنصور بن أبى عامر مجلس في كل اسبوع يجتمع فيه أهل الأدب والعلم.

---

[1] ابن زيدون – د. شوقى ضيف صفحة (١٣)

[2] قصة الأدب في الأندلس صفحة (٢٣٦)

[3] نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٤٦٨/٢

من مؤلفاتهم:

من المعروف أن العرب لم يدخلوا بلداً إلاّ نقلوا لأهله لغتهم العربية . وأبدلوه من لغته الأصلية لغتهم العربية . كذلك كان الحال في الأندلس . حيث أصبحت اللغه العربية وسيلة للتعبير ، عن العواطف والمشاعر . ولقد ذهب الأندلسيون في تقليد المشارقة مذهباً بعيداً ، حتى ليقول صاحب الذخيرة إنهم " أبو إلاّ متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنماً ، وتلوا ذلك كتاباً محكماً " [1]

ومن مؤلفاتهم " العقد الفريد " لابن عبده ربه والذي كان مشرقياً صرفاً حتى إن الصاحب بن عباد لما اطلع عليه قال عبارته المشهورة " هذه بضاعتنا ردت إلينا " . ومن مؤلفاتهم " الفصل في الملل والأهواء والنحل " لابن حزم وفيه يتعرض للفرق الإسلامية المختلفة آراءها ومعتقداتها بصورة لم يسبقه اليها أحد. كما ألف ابن شهيد رسالته " التوابع والزوابع " وهى رحلة للشاعر في عالم الجن.

كما كتب شاعرنا ابن زيدون رسالتيه الجديه – موضوع بحثى هذا- والهزلية.

ولقد عمت الأندلس نهضة علمية وفكرية وفلسفية تميزت بها . كما تميزت الأندلس بروعة بيئتها العقلية والشعورية مما أغراها أن تتميز في الشعر والفن فجاءت " الموشحات الأندلسية " في عصر ملوك الطوائف لتزاوج بين الشعر وبين أغانيها الشعبية.

---

[1] الذخيرة ٢/١

المطلب الثاني: شخصية ابن زيدون ورسالته الجدية

مولده : هو ابو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومى [1] الأندلسى القرطبى . فهو عربى صريح. ينتمى الى قبيلة بنى مخزوم " وهى بطن من بطون قريش العشرة ، التى انتهى إليها الشرف في الجاهلية ، ووصلته في الاسلام "[2] جاء أجداده من جهة المغرب ، وكان بيت بنى زيدون من أكبر بيوتهم جاهاً ، وثقافة، وأدباً [3]. كانت أسرتا الشاعر لأبيه وأمه منار المراكز في المجتمع الأندلسى ، فهو من أرومة ونسب كريم. فوالده كان ذا جاه عريض ، ومال وفير ، وضياع . وعده ابن الآبار من وجوه أصحاب ابن ذكوان وشيع الخليفة سليمان وشوور بقرطبة.[4] وسليمان هو سليمان المستعين الذي ولى الخلافة هناك من سنة ٣٩٩ الى سنة ٤٠٧ للهجرة . وابن ذكوان هو ابو العباس أحمد بن محمد بن ذكوان قاضى القضاة بقرطبة حتى سنة ٤٠١هـ وكان يشاوره ويراجعه في فتاويه وأحكامه ، كما كان مرجع غيره من القضاة وموضع مشورتهم. [5] وأبوه كان ضالعاً في ضروب العلم ، جمّ الرواية ، من أهل المعرفة باللغه والآداب. وكانت له المشورة في قرطبة ، فقد كان قاضياً ثرياً غزير العلم والأدب. وكان ابوبكر (كنية أبيه) فقيهاً [6] – قيل إنه توفى بالبيرة [7] بالقرب من غرناطة ، حيث كان متوجهاً إليها ليتفقد بعض ضياعه . وحمل إلى قرطبة ، فدفن فيها .

رثاه ابوبكر عبادة – شاعر قرطبة الكبير – مستهلاً بقوله [8]

أىّ ركن من الرياسة هيضا *** وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى *** كى يوافوا به ثراه الأريضا
مثل حمل السحاب ماء طبيباً*** ليداوى به مكاناً مريضا

---

[1] وفيات الأعيان (ابن خلكان) ٥٣/١ – فلائد العقيان ٧٠

[2] العقد الفريد لابن عبد ربه ٨ ، ٩

[3] مجلة ابولو يناير ١٩٣٣ : ٥٦٧

[4] التكملة لابن الآبار ٤٦٦

[5] ابن زيدون د. شوقى ضيف ١٦

[6] نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ١/ ١٣١

[7] ابن زيدون د. شوقى ضيف ١٥

٦ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٢/ ٤٣٠

ويعلق د. شوقى ضيف على هذه الأبيات فيقول:

(وتعبير عبادة بأنه " ركن من الرياسة " يدل في وضوح على أنه كان من رؤساء الدولة الأموية في قرطبة " بينما يقول ابن الآبار عنه : " كان أحد وجوه أصحاب ابن ذكوان وشيع الخليفة سليمان ، وشوور بقرطبة" [1]

أما جده لأمه فهو الوزير ابوبكر محمد بن محمد بن ابراهيم صاحب الأحكام " يعنى أنه اشتغل بالفقه والقضاء " ويعرف بابن الهداهيد [2] تولى القضاء بمدينة سالم ثم أحكام الشرطة والسوق بقرطبة.

نشأته: ولد ابن زيدون في الرصافة ، وهى من أحياء قرطبة المتشابكة المبانى ، في ليلة من ليالى الخريف سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٣م) ، وتقع قرطبة ، عاصمة الملك ، في الوسط في بلاد الأندلس. وقد استغرق تعداد فضائلها ، وجمالاتها في كتاب نفح الطيب للمقرئ ، ثمانى وستين صفحة كبيرة[3] .

اهتم به أبوه ، وأحضر له العلماء والفقهاء ، فعلموه مبادئ الشعر ، واللغه ، والقرآن على الطريقة الأندلسية المتبعة . ولد أبوه في عام ٣٠٤هـ. وتوفى في عام ٤٠٥هـ (١٠١٤م) وابنه لم يتعد الحادية عشرة من عمره . ولازم شاعرنا بعد وفاة أبيه صديقه أبا العباس بن ذكوان الذي توفى سنة ٤١٢هـ (١١١٩م).

كان ابن زيدون نبتة صالحة ، غذاها العلم ، فأنتجت شهى الثمر ، نظم الشعر في العشرين من عمره ، وذاع صيته ، وطارت شهرته في قرطبة إثر إلقائه مرثاة بليغة على قبر القاضى الفقيه ابن ذكوان.[4]

شيوخه وأساتيذه:

قلنا إن والده قد اهتم بتعليمه وأحضر له الأساتيذ الذين علموه مختلف العلوم. وكان أولهم والده ذا العلم الكبير باللغه والآداب فتعهده منذ نعومة أظفاره . وفي هذا الصدد يقول د. شوقى ضيف " ونظن ظناً أن ابن زيدون لزم صديق أبيه

---

[1] ابن زيدون د. شوقى ضيف صفحتى ١٥ -١٦

[2] ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه صفحة ٢٢

[3] نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٧٥/١

[4] تاريخ الفكر الأندلسى صفحة ٨٠

ابى العباس بن ذكوان ، وأفاد من علمه وفقهه ، فقد كان عالم قرطبة الأول في عصره وامتدت حياته بعد أبيه الى سنة ٤١٣ للهجرة "[١] كذلك تتلمذ على يدى ابوبكر مسلم بن أحمد وهو ابن أفلح النحوى كان أديباً في علم اللغه والأدب ورواية الشعر.[٢]

كما أنه كان يتردد إلى صحون الجوامع ورحابها ، ودور الكتب وحوانيت الوراقين لينهل المزيد من العلم كما لم يفته حضور الدروس التى تلقى في جامعة قرطبة الكبيرة فقد كان يؤمها ممنياً نفسه أن يغذى عقله وروحه من فيضها.

أما وليم الخازن فيقول " ولم يعطنا الذين دونوا حياة الشاعر أسماء أساتذته بالتتابع " .[٣]

مكانته وأخلاقه: ونشأة الشاعر في قرطبة أعانته على الإنكباب على العلم والتحصيل. فقد كانت هذه المدينة موئل العلماء والأدباء. وقد أحب شاعرنا التحصيل وفي ذلك يقول مفاخراً:

ونجّزنى علم'' توالت فنونه' **** كما يتوالى في النظام سخاب''[٤]

ويبدو أن شاعرنا قد درس علم الأصول فهو يقول لصديقه ابى حفص بن برد:

ووادى لك نص **** لم يخالفه قياس

فهو يشير في هذا البيت الى ما هو معروف بين علماء الأصول من تقديم نص الكتاب ، والسنة المتواترة على القياس العقلى في الأحكام الفقهية . فهو يرى أن النص والقياس كليهما يتفقان في وداده ولا يختلفان. وابن زيدون ذو ثقافة واسعة ، ولعله استقى معارفه من اكثر الكتب العلمية والأدبية الشائعة في عصره . فهو يقول في بعض مدائحه:

أغرّ' متى ندرس دواوين مجده ****يَرِقْنا غريب'' مجمل'' أو مصنّف.

" والغريب المصنف" كتاب في اللغه لابن عبيد القاسم بن سلام.

---

[١] ابن زيدون د. شوقى ضيف صفحة ١٦

[٢] الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم صفحة ٥٦٧

[٣] ابن زيدون وأثر ولاده في حياته وأدبه صفحة ٢٥

[٤] سخاب: قلادة تتخذ من أزهار عطرة

وهكذا نلمح في شعره كثيراً من الإشارات الثقافية. [١]

جاء في جواهر الأدب عن سيرته " هو الكاتب الشاعر ذو الوزارتين" [٢] يقول الكاتب وليم الخازن تعليقاً على هذا. [٣] " واستنتج بعضهم أن المعتضد بتسميته ابن زيدون بذى الوزارتين ، انتدبه لرئاسة الوزارة ، وأمارة الجيش ، وقد أورد ابن خلدون هذا التفسير للقب ذى الوزارتين. [٤] وقال إنه يعطى لمن ينوب عن الملك ، وليس من الضرورى أن يكون نائب الملك حاملاً للسيف والقلم " . كما كان ابن زيدون يلقب ببحترى المغرب. [٥]

كان شاعرنا يعتنى بمظهره يقول الصفدى أنه كان " يخضّب بالسواد "[٦] " كان وسيم المحيا ، قوى العارضة ، وحلو الحديث " وكان صلب العود بدليل أنه وقف يجامل الرؤساء ، والمعزين في موت ابنته ، ببديهة حاضرة ، وفطنة بالغة ، وقيل إنه " ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد " [٧]

أما عن أخلاقه ، فإن حياته في عصر احتوشته الفتن والقلاقل ، أثرت على نفسه وتجاربه ، فعظم دهاؤه ، وقويت حيلته كما كان شديد الإعجاب بنفسه شجاعاً في تهجماته الأدبية ، لم يحارب إلاّ بقلمه. كما إنه كان يباشر اللهو واللذات مع ولادة ، وصديقيه ابى الوليد بن جهور ، وأبى بكر بن ذكوان.

وجهان ينازعان شاعرنا : أولهما : أنه شاعر متأثر بالجمال مشغوف بمجالس اللهو ، وهذا ما سيقودنا إلى الحديث عن علاقاته مع ولادة...وثانيهما : أنه شاعر سياسى طموح وهذا ما ستجلوه لنا علاقاته مع بنى جهور ، وما ناله من سجن ، ثم إنتقاله إلى بنى عباد وحظوته عند ملوكهم وما وافق هذه الحياة المضطربة من شعر.

---

[١] ابن زيدون د. شوقى ضيف صفحة ١٨.

[٢] جواهر الأدب ٢: ٣١٠ قصة الأدب في الأندلس صفحة ٣٠٦

[٣] أبن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه صفحة (٣٩)

[٤] المقدمة صفحة ٢٠٩

[٥] قصة الأدب في الأندلس صفحة ٣٠٨

[٦] تمام المتون صفحة ٢١

[٧] نفح الطيب ٢/ ٣٨٣

ولادة بنت المستكفى:

من هى هذه الفتاة التى هام بها شاعرنا وألف فيها من القريض ما سارت به الركبان ، وأصبح حديث الأزمان ؟ إنها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصرى ، الملقب بالمستكفى ، ويرجع نسبها إلى سلالة الأمويين ، وتتصل سلسلة أجدادها بعبد الرحمن الناصر ، أشهر خليفة أموى في الأندلس .[١] بويع أبوها يوم قتل المستظهر في ٣ ذى القعدة من عام ٤١٤هـ. ١٧ كانون الأول سنة ١٠٢٤م . وصفه ابوحيان مؤرخ الأندلس.[٢] بأن " الله تعالى أرسله على أهل قرطبة محنة وبلية ، إذ كان منذ عرف غفلاً عطلاً ، منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً من كل خلة تدل على الفضيلة .... معروفاً بالتخلف والركاكة ، سقيم السر والعلانية ، أسير الشهوة ، عاهر الخلوة " . وأمها اسمها حوراء وهى ابنة سكرى المورورية ، وهى أمة حبشية ، مسيحية ، استبدت بالمستكفى.[٣] ولم تدم ولاية والدها طويلاً إذ ثار عليه أهل قرطبة ، بعد سبعة عشر شهراً لولايته فهرب ، ودس له أحد ضباطه السم فمات.

كان أبوها قد عنى بتربيتها ، وأحضر لها المعلمين والمثقفين ، وحدب على تربيتها بما يليق ببنات الملوك . يقول عنها المقرئ في كلامه عن ولادة : " كانت واحدة زمانها ، المشار إليها في أوانها ".[٤] ويؤكد ابن بسام أنها " كانت واحدة أقرانها حسن منظر ومخبر "[٥] ونعرف أيضاً من " نزهة الأبصار" و " سرح العيون " أنها كانت جميلة ....[٦]

واستخلاصاً لوصف ابن زيدون لها فقد كانت بيضاء البشرة ، ذات شعر أشقر... هذا ولم يبتذل حجابها الا بعد وفاة أبيها كما يقول ابن نباته " ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله وتغلب ملوك الطوائف"[٧] ويبدو أن نساء الأندلس

---

[١] ابن زيدون واثر ولاده في حياته وأدبه صفحة ٤٣

[٢] الذخيرة ١/ ٣٨٠

[٣] نفس المصدر ١/ ٣٨٠

[٤] النفع ٢/ ٧٨٩

[٥] الذخيرة ١ / ٣٧٦

[٦] سرح العيون صفحة (٧)

[٧] نفس المصدر صفحة (٥)

كن يتمتعن بحرية تفوق ما ألفه المشرق. يقول ابن بسام عن مجلسها.[1] وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها " ومما يؤكد قلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها زعموا أنها كتبت على أحد عاتقى ثوبها مطرزاً بالذهب:

أنا والله أصلح للمعالى **** وأمشى مِشْيتى وأتيه تِيها

وكتبت على الآخر: وأمكن عاشقى من صحن خدى*** وأعطى قبلتى من يشتهيها

وهكذا نرى أن ولادة مع ميلها للأدب ونظمها للشعر كانت مولعة بالحب مستسلمة للعب ولكنها لم تتزوج طوال حياتها وقد أولع بها شاعرنا ابو الوليد – ابن زيدون – فأعجبت بشعره وبلاغته ووسامته وأخذا يختليان بعد ذهاب الزوار ، ويتبادلان الهوى ، ويشربان الراح على صوت عتبة " مغنية ولادة المفضلة "[2]

ولقد ظهر منافسان لابن زيدون في حب ولادة هما :

ابو عامر بن عبدوس ، وأبو عبد الله بن القلاس . فنجح الشاعر فى إبعاد ابن القلاس بعد زجرة عنيفة محكمة جعلته يؤثر السلامة. وبقى ابن عبدوس صلاية على رقبة شاعرنا . ويخبرنا ابن نباته أن ولادة كانت كثيرة العبث بابن عبدوس وقد نقلت قول أبى نواس من المدح إلى الهجاء عندما مرت يوماً على داره ، فرأته جالساً أمام الدار ، وإزاء بركة متولدة من كثرة الأمطار فلما رآها نشر كمية ونظر في عطفيه وحشد أعوانه إليه ، فقالت له : أبا عامر :

أنت الخصيب ، وهذه مصر **** فتدفقا ، فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفاً ، ولا يرد طرفاً.[3]

وفى منتدى ولادة تمكنت بينها وبين ابن زيدون أواصر الصداقة ووقع في اشراك حبها وها هو شاعرنا يقص لنا لقاءه مع حبيبته فيقول : فلما قدم اللقاء وساعد القضاء كتبت الىّ :

ترقب إذا جن الظلامُ زيارتى **** فإنى رأيتُ الليلَ أكتمَ للسرِّ

---

[1] الذخيرة ١/ ٣٧٦

[2] الذخيرة ١/ ٣٧٧

[3] الذخيرة ١/ ٣٧٨

وبى منك ما لو كان بالبدر ما بدا **** وبالشمس لم تطلع وبالبدر لم يسرْ

ويصف ابن زيدون هذا اللقاء بقوله: [1]

" فلما طوى النهار كافوره " بياضه " ، ونشر الليل عنبره " سواده " أقبلت بقد كالقضيب ، وردف كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل ، فملنا إلى روض مذبج " منقوش مزين بالأزهار والنوار" ، وظل سجسج " الهواء المعتدل " ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ودرّ الطل منثور ، وجيب الراح مزرور ، فلما شببنا نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كل منا بحبه ، وشكا أليم ما بقلبه ، وبتننا بليلة نجنى أقحوان الثغور ، فلما انفصلت عنها صباحاً ، أنشدتها إرتياحاً:

ودّع الصبرَ محبٌ ودعك *** ذائع من سره ما استودعكْ

يقرع السنّ على أن لم يكن *** زاد في تلك الخطَى إذ شيعك

يا أخا البدر سناءً وسنىً *** حفظ الله زماناً أطلعك

إن يطلْ بعدك ليلى فلكم **** بتّ أشكو قصر الليل معك

لكن صفاء الحب لم يدم بينهما طويلاً إذ حدثت جفوة بينهما فكتبت اليه ولادة :

الا هل لنا من بعد هذا التفرق * * * سبيل فيشكو كلّ صبّ بما لقى

وقدكنت أوقات التزاور في الشتاء* * * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت في حال قطعة * * * لقد عجّل المقدور ما كنت أتقى

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى * * * ولا الصبرَ من رِق التشوّق معتقى

سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً * * * بكل سكوبٍ هاطلِ الوبلِ معدقِ

فأجابها بقوله:

لحا الله يوماً لست فيه بملتق * * * محيّاكِ من أجل النّوَى والتفرقِ

وكيف يطيب العيش دون مسرةٍ* * * وأى سرورٍ للكئيب المؤرقِ

لم تطل هذه الجفوة فقد عاد الحبيبان الى سابق عهدهما يتشاكيان الصبابة والهوى. غير أن ولادة لم تلبث أن تبدلت وأظهرت من الجفا والتمنع ما جعل شاعرنا يئن ويبكى وقد اختلفت الروايات في سبب هذا الإزورار فمن قائل أن ابن

---

[1] الذخيرة ٣٧٧/١

زيدون أشار الى جاريتها " عتبة " أن تعيد صوتاً غنته فظنت ولادة أنه يغازلها فغضبت غضباً شديداً وكتبت إليه : [1]

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا * * * لم تَهْوَ جاريتى ولم تتخيّرِ
وتركت غصناً مثمراً بجماله * * * وجنحت للغصن الذي لم يثّمر
ولقد علمت بأننى بدر السما * * * لكنْ وَلِعْتَ لشقوتى بالمشترِى

ومن قائل أن إنضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة قد ترك في نفسها أثراً سيئاً وهى بنت خليفة أموى فجاءت تذكى في نفسها شتى الوساوس[2]

ومن قائل أن ابن زيدون انتقدها وكان هذا النقد سبباً في التجافى بينهما[3] ويستمر الخصام ، ولا تلين لولادة قناة بل تميل الى الوزير ابوعامر بن عبدوس – الذي سبق ذكره – فما كان من ابن زيدون الاّ أن توعده وهدده وبعث إليه بقصيدة مطلعها:

أثرت هزبر الشرى إذ ربض * * * ونبهته إذ هدا فاغتمض
وما زلت تبسط مسترسلاً * * * إليه يدَ البغى لما انقبض
حذار حذار فإن الكريمَ * * * إذا سيم خسفاً أبى فامتعض

ثم كتب أيضاً رسالته الهزلية إلى ولادة يسخر فيها على لسانها من ابن عبدوس ويتهكم عليه ويهجوه غير أن ولادة لا ترعوى ولا تفكر بل تسدر في هجراتها ، أكثر من ذلك تهجوه ببيتين مقذعين فيعظم الخلاف بينهما ويحتدم وتصبح هذه العداوة سبباً من عدة أسباب أدت إلى سجن الشاعر. وتجئ قصة سجنه في أن ابن عبدوس وبعض خصومه نسبوا اليه أنه يشترك في مؤامرة وثورة ضد أبى الحزم بن جهور كما اتهم أيضاً بأنه استولى على عقار لبعض مواليه بعد وفاته . فسيق من أجل هذا الى المحاكمة التى تولاها ابو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن المكوى ، والذى ولى قضاء قرطبة في المحرم سنة ٤٣٢هـ فعندما عرضت قضيته عليه أمر بسجنه على الفور وذلك لموجدة قديمة بينه وبين الشاعر. وكان عمر الشاعر وقتها ثمانية وثلاثين عاماً. وهكذا يقضى الشاعر ما يقارب خمسمائة يوم سجيناً حائراً يستعطف ابن جهور وقد نظم عديد القصائد في الإستعطاف . ومن

---

[1] ابن زيدون د. شوقى ضيف ص ٢١
[2] في الأدب الأندلسى – الركابى – صفحة ١٧١.
[3] نفح الطيب ٢/ ٥٦٤

سجنه أيضاً أرسل ابن زيدون رسالته الجدية " موضوع بحثى هذا " إلى ابن جهور يستعطفه فيها . ولقد ذهبت كل توسلات ابن زيدون أدراج الرياح. عندئذٍ عزم على الفرار وتمكن من ذلك – ليلة عيد الأضحى – حيث فر إلى اشبيلية حيث قربه المعتضد وغمره بعطفه. لكن نفس الشاعر كانت تتوق إلى قرطبة موطن صباه ومكان هواه فكتب إلى حبيبته ولادة نونيته البديعة و التى سارت بها الركبان ورددتها الأزمان مستهلاً إياها بقوله:

أضحى التنائى بديلاً من تدانينا * * * وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وفيها يقول:

حالت لفقدكم أيامنا فغدت * * * سوداً وكانت بكم بيضاً لياليا
إذ جانب العيش طلق من تآلفنا * * * ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الوصل دانية * * * قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * * * كنتم لأرواحنا إلاّ رياحينا
يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها * * * والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

حقاً لقد أدى صد ولادة عن ابن زيدون وجرحها لكبريائه إلى تدفق السحر من الشعر ، والفن من الحرمان فجاءت نونيته التى اقتطفت أبياتاً منها ولقد كثر تعليق الأدباء عليها فرأيت أن أشير إلى تعليق د. مصطفى الشكعة(١)

" فكانت قصيدته النونية التى تعتبر من عيون الشعر العربى مشرقيه ومغربيه على مدى التاريخ ، إنها الينبوع الصافي الزلال المتفجر بالمعانى والعواطف والأساليب والموسيقى والإيقاع والنفس الطويل العذب والغوص العميق الصعب "

ثم يستطرد فيقول إن النونية أصبحت " عبرة لكل محب ، وسلوى لكل حب ، وكنزاً لكل أديب ، ومثلاً لكل شاعر " ثم يذكر أن كثيراً من الشعراء قلدوها ويعلق على ذلك بقوله " ولكن بغير استطاعة أن يلحقوا بغبارها ، وإن استطاع بعضهم أن يستضئ بنارها ".

ومن روائع ما كتب ابن زيدون في حبيبته ولاده مناجاته التى يقول فيها:[١]

إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقاً * * * والأفق طلق'' ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال'' في أصائله * * * كأنه رقّ لى فاعتل اشفاقا

[١] الأدب الأندلسى د. مصطفى الشكعة صفحة ٢٠٢

من ناحية أخرى ظل ابن زيدون يضرع إلى أبى الحزم أن يغفر له ولقد استعان باستاذه ابى بكر مسلم بن أحمد وفى نهاية المطاف عفا عنه ابو الحزم وربما يعود الفضل الأول في ذلك لابنه ابو الوليد وذلك لصداقته لابن زيدون.

ولم يلبث أن توفى ابو الحزم عام ٤٣٥هـ وخلفه ابنه الوليد فتوثقت عرى الصداقة بينه وبين ابن زيدون وعينه للنظر على أهل الذمة ثم جعله وزيراً ثم عينه سفيراً بينه وبين ملوك الطوائف لعله ينسى حبه لولاده.

ومن روائع شعر ابن زيدون فيه :

ملك لذّ جنى العيش به *** حيث وردُ الأمن للصادى عللْ

يا بنى جهور الدنيا بكم *** حليتْ أيامها بعد العطل

إنما دولتكم واسطة'' *** أهدت الحسن إلى عقد الدول

ثم إن الأيام قلبت لشاعرنا ظهر المجن فقد جفاه ابو الوليد بعد ثورة أصدقائه من بنى ذكوان ، وأحاطت الشبهات بشاعرنا ، فانبرى في قصيدته ينفيها ، ولكن ما بينه وبين صديقه كان قد قطع . ففكر في الرحيل إلى اشبيلية مرة ثانية حيث المعتضد بن عباد الملك الذي كان الأدباء يجدون في كنفه عطفاً ورعاية . احتفى به المعتضد احتفالاً رائعاً وقد ولاه الوزاره ولقبه بذى الوزارتين. ومن خير مدائح ابن زيدون في أميره قصيدته التى قالها في عيد الأضحى سنة ٤٤٥هـ ومطلعها :

أما في نسيمِ الريح عرْف معرِّف *** لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف

ثم إن المعتضد توفى وخلفه ابن المعتمد فحظى شاعرنا بنفس مكانته السامية رغماً عن مكائد الخصوم ولكن مع هذا بل بالرغم من هذا لم ينس قرطبة ومسرح حبه فيها . ثم إن المعتمد زحف على قرطبة وملكها إلاّ أن حساد ابن زيدون لاسيما وزيريه ابن مرتين وابن عمار كادا لشاعرنا ليبعداه الى اشبيلية ليصفو لهما الجو. وقد تمكنا من ذلك فغادر شاعرنا بالرغم من مرضه قاصداً اشبيليه في الثالث عشر من ذى الحجة عام ٤٦٢هـ. ووضع ابنه ابابكر مكانه في الوزارة ثم إن ابنه لحق به في اشبيلية. وفي اشبيلية ساءت حالة شاعرنا الصحية حيث توفى في الخامس عشر من

رجب سنة ٤٦٣هـ وكانت لموته رنة أسى في قرطبة " إذ كان منهم متعصباً لهم "[١].

آثار ابن زيدون:

أولاً: ديوانه الذي نشره في القاهرة سنة ١٩٣٢م الأستاذان كامل كيلانى وعبد الرحمن خليفة.

ثانياً: رسالته الهزلية التى كتبها – كما سبقت الإشارة – على لسان ولادة لمنافسه ابن عبدوس يهزأ به وفيها طائفة من الحكم والأمثال والشعر والأحداث.

ثالثاً: الرسالة الجدية – موضوع بحثى – ولها عدة مخطوطات وقد شرحها الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ في كتابه " تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون " . ولها شرح ثانٍ للشيخ حمزة فتح الله – مفتش اللغه العربية بوزارة المعارف المصرية – أسماه " المواهب الفتحية " [٢] ولها شرح ثالث للأديب المصرى ابوبكر محمد عليم تحت اسم " الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون ."[٣]

رابعاً: رسائله الأخرى وهى رسالة إلى أبى بكر مسلم بن أحمد مستشفعاً . ورسالة للمظفر بن الأفطس في الشفاعة بصديق ، ورسالته إلى صديقه ابى عامر بن مسلمة يطلب منه أن يمهد له لولوج اشبيلية. ورسالتان إلى المعتضد بن عباد يمهد فيها أيضاً للدخول عليه ثم شذرات من كتاب التاريخ وهو كتاب " التبيين " في خلفاء بنى أمية في الأندلس . ونظرة نقدية في شعر ولادة واعتذار لهذا النقد . وأخيراً مقطوعة وصفية على اتصال الشاعر بولادة.[٤]

---

[١] الذخيرة ١/ ٣٥٥

[٢] الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ٦

[٣] جريدة حضارة السودان العدد (٤٨) ٢٠ يونية ١٩٢١م

[٤] أنظر ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه صفحة ١١١– ١١٢

المبحث الثانى

الصفدى ، عصره وشخصيته

المطلب الأول : عصر الصفدى

دولة المماليك البحرية

البيئة العامة:

الأرض والناس

كانت دولة المماليك البحرية تحتل موقعاً مميزاً في العالم " سرة العالم القديم بين قاراته الثلاث " [1] كما كانت تسيطر على مشرق الشمال الإفريقى ، والشرق الأدنى والهلال الخصيب الذي يضم شمال العراق وبلاد الأرمن وشرقى شبه جزيرة آسيا الصغرى وبلاد الشام والحجاز واليمن.

تتوسط هذه البلاد مصر – تمثل قلبها النابض – بواديها الطويل الذي يعبره نهر النيل منحدراً من بلاد النوبة شمالاً ليصب بفرعيه – دمياط ورشيد – في البحر الأبيض المتوسط . وعند تفرع النيل تقع مدينة القاهرة قصبة الدولة وعاصمة المماليك.

هذه المنطقة المتميزة التى كانت ملحمة للحضارات ، ومهبطاً للديانات بما حباها الله من مناخ طيب وأنهار تعج بالخيرات ، صارت موئلاً لأجناس شتى من البشر إذ تهيأت لقاطنيها حياة سهلة ، ورزق وفير ، فعاشوا في استقرار ، أعان

[1] الأدب في العصر المملوكى تأليف د.محمد زغلول سلام صفحة (١١)

على ذلك سهولة المواصلات وطرق القوافل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب. كما عبرت السفن التجارية البحرين " المتوسط والأحمر ".

هذه الحضارات " التى قامت في كل من مصر والشام والعراق " فتحت للبشرية آفاق التقدم والعمران.

وجاء المماليك وورثوا هذه المنطقة بخيراتها الوفيرة ، وحضاراتها المتعددة ، ووديانها لمدى ثلاثة قرون كاملة كانوا إبانها يتحكمون في سياستها وحياتها وحضارتها. قال عن هذه المنطقة العمرى : " هى مملكة واحدة كبيرة ، وهى من أجلّ ممالك الأرض لما حوت من الجهات المعظمة ، والأرض المقدسة والمساجد التى هى على التقوى مؤسسة بها المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الاّ إليها ، وقبور الأنبياء صلوات الله عليه ، والطور ، والنيل ، والفرات ، وهما من الجنة "[١]

كانت مصر هبة النيل ، وقد أثر تأثيراً بالغاً في تكييف حياتها ، فأثر بإنتظام فيضانه كل صيف في ضبط حياة المصريين ، وأعانهم على التعرف على التقويم وضبط حركة الزمان من أيام وأسابيع وشهور وسنين ، كما تتبعوا حركة أجرام الفلك.....وعرفوا إرتباط السماء بالأرض ... وأن هناك قوة عظمى تتحكم في مسيرة الحياة فقادهم ذلك الى الايمان بالبعث بعد الموت. كذلك تعلموا كيف يزرعون ويحصدون وأبدعوا في إختراع الآلات الزراعية كما أبدعوا في بناء القصور والدور والمعابد والصروح فتكونت آلاف القرى منبثة على ضفاف النيل قامت عليها حضاراتهم وأنشطتهم الزراعية.

ولقد تعاقبت الهجرات والغزوات على مصر فاختلطت بها الأجناس " من عرب وبربر وسريان وعبريين وفرس ويونان ورومان وأتراك ، وتركت هذه الأجناس بصماتها على أرض مصر ، وفي دماء شعبها وتبقى روح مصر والنيل وسمات البيئة على شعب مصر تطبعه بصفات ذاتية."[٢]

ثم جاءها العرب يحملون الدين الإسلامى وقد كانت وقتذاك تدين بالنصرانية على مذهب اليعاقبة " الارثوذكس" ثم تواصلت هجرات القبائل العربية من اليمن والحجاز والشام واختلطوا بالمصريين ، وتمازجت الدماء ، مما أسرع بتعريب مصر ، إذ

---

[١] راجع مسالك الأبصار " دولة المماليك الأولى" صفحة (٧٩)

[٢] الأدب في العصر المملوكى صفحة (١٦)

أصبحت اللغة العربية هى لغة التخاطب والإدارة والعلم والأدب. أعان على ذلك الدين الإسلامى. هذا وقد انتكست اللغه العربية في عصر المماليك إذ شاعت ألوان في النظم – في مجال الأدب – تغلب عليها العامية كالزجل والموال والبليق وما شابه كما " شاعت العامية في كتابات أمثال ابن تغرى بردى وابن اياس من المؤرخين المصريين كما تسربت بعض التراكيب والألفاظ العامية إلى الشعر الفصيح".[١]

أما أرض الشام فقد شابهت مصر في الحياة والكفاح إذ ربطهما التاريخ المشترك ومصائر الحياة وإن اختلفت طبيعتهما. فبلاد الشام جبلية صحراوية في معظمها ، يجرى نهر الفرات في شمالها كما تحدها وتتخللها جبال متفاوتة الإرتفاع ، كما تجرى فيها أنهار صغيرة مثل : العاصى وبردى والأردن . وهى بلاد تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وتولى دبرها للصحراء ووادى الرافدين ، وتصل بينها وبين المشرق طرق قديمة سلكتها قوافل التجارة والغزاة منذ فجر التاريخ كما عبرتها هجرة الأنبياء من المشرق إلى أرض كنعان وفلسطين.

ساعدت طبيعة البلاد التضاريسية على تأسيس دويلات صغيرة منذ فجر التاريخ كالحيثيين والعموديين والفينقيين ودولة الكنعانيين واسرائيل والأنباط . وكان بين هذه الدول ومصر علاقات متقلبة فتارة تحالفها ، وأخرى تخضع لها ، وثالثة تحاربها.

لقد ساعدت طبيعة الشام على قيام نظام إقطاع عسكرى في عهد الأيوبيين ، والمماليك ، نواته الحصون والقلاع التى يسكنها أمراء الإقطاع العسكريون ، ويجمعون حولهم قواتهم من الفرسان والمحاربين الذين يكونون دائماً على أهبة الإستعداد للقتال إذا دعا داعى الجهاد. كذلك ساعدت طبيعتها هذه على أن تكون خط الدفاع الأول عن الإسلام ، بعد سقوط بغداد مركز الخلافة الإسلامية . كما أغرت هذه الطبيعة شعوب المنطقة بمحاولات للانفصال كما شهد ذلك عصر الأيوبيين والمماليك.

والإقليم الثالث الذي تتكون منه دولة المماليك هو الحجاز ، وتجئ أهميته بما يحوى من الأماكن المقدسة البيت الحرام بمكة ، والمسجد النبوى بالمدينة ، ووفود الحجيج التى تغص بهم المنطقة كل عام . وأرض الحجاز فقيرة إذ ما قارناها بمصر

---

[١] المصدر نفسه صفحة (١٧)

والشام ، إذ أنها جزء من صحراء الجزيرة العربية ، ويحدها البحر الأحمر غربا ، وسهل تهامة ، الذي تعتمد منطقته الجنوبية على الأمطار الموسمية ، ومياه السيول ، بينما يعيش معظم أهله على الآبار وتنتشر الواحات في وادى القرى وجبال السروات.

حرص المماليك على الإهتمام بأهل الحجاز ، سكان وطن الإسلام الأول فأمدوهم بالحبوب من مصر ، واكرموهم حرصاً على المظهر الإسلامى.

أولاً: الحياة السياسية

قامت دولة المماليك بعيد سقوط الدولة الأيوبية في عام ٦٤٨هـ يوافق ١٢٥٠م. ولقد تضافرت عِدة عوامل لسقوط الدولة الأيوبية ، من أهمها تكالب الصليبيين ومن عاونهم من الأوربيين ، زد إلى ذلك تورط الأيوبيين في نزاعات داخلية ، كما أنهم استكثروا من الاستعانة بالمماليك لنصرتهم ، خاصة السلطان الصالح نجم الدين آخر سلاطينهم . ومنها تدهور الأحوال الاقتصادية ، وسوء معاملة مماليكهم للناس ، وإهمالهم لشئون الرعيه ، وغير ذلك كثير.

سقطت الدولة الأيوبية في مصر واستولت شجرة الدر على الملك بعد مقتل السلطان تورانشاه " ابن زوجها " من الأمراء المماليك ، بعد موقعة المنصورة ، بوصاية المملوك قطز . وقد خطب لشجرة الدر أم خليل على المنابر. واستطاعت بحنكتها ودهائها أن تحكم لفترة غير طويلة ، إذ أن المعارضة على حكمها قد اشتدت ، لاسيما من قبل الخلافة العباسية التى كانت تترنح ولم يبق لها من نفوذ سوى النفوذ الأدبى والدينى . إذ لم يقبل الخليفة العباسى تولى امرأة شئون مصر فبعث إلى امرائها رسالة يحتج فيها ويقول كيف تولون عليكم امرأة ، إذا لم يكن بينكم رجال بعثنا إليكم بواحد من عندنا.

وتعزى قوة المماليك للصالح نجم الدين الذي استكثر منهم قال ابن تغرى بردى : " الملك الصالح هذا هو الذى أنشأ المماليك الأتراك ، وأمّرهم بديار مصر وفي هذا المعنى يقول بعضهم :[1]

الصالح المرتضى أيوب أكثر من *** ترك بدولته ياشرمجلوب

قد آخذ الله أيوباً بفعلته *** فالناس كلهم في ضر أيوب

كما بنى لهم الصالح نجم الدين مساكن بجزيرة الروضة ، لذلك عرفوا بالمماليك البحرية بديار مصر . وذلك أنه لما مر به ما مر ، ذكره في الليلة التى زال عنه ملكه بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه لم يثبت معه سوى مماليكه ، رعى لهم ذلك ، فلما استولى على ملك مصر أكثر من المماليك وجعلهم معظم

[1] النجوم الزاهرة ٣/٩/٦

عسكره.....فصاروا بطانته المحيطين بدهليزه ، وسماهم البحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل ". [1]

ولقد كان يتم شراء المماليك من الأمم التركية التى فرت مذعورة من أوطانها أمام زحف التتار في بلاد القوقاز وحول بحر قزوين كما كان يتم شراؤهم من أسواق النخاسة في القاهرة ودمشق وغيرها من عواصم البلاد العربية والإسلامية . كذلك كان يتم شراؤهم من أصقاع أوربا الشمالية ، فمنهم من ينتمى الى أصل رومى ، أو صقلى ، أو من التتار الذين أسرهمالمصريون . ويتحدث عن تربيتهم المقريزى فيقول: " إذا قدم بالمملوك تاجره ، عرضه على السلطان ، ونزله في طبقة حسنة [2] ، وسلمه لطواشى برسم الكتابه . فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم ، ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ، ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار.

" وكان الرسم إذ ذاك (أوامر السلطان) أن لا تجلب التجار إلاّ المماليك الصغار ، فإذا شب الواحد من المماليك ، علمه الفقيه شيئاً من الفقه وأقرأه فيه مقدمة. فإذا صار إلى سن البلوغ ، أخذ في تعليمه أنواع الحرب : من رمى السهام ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه . فينقل إلى الخدمة ، وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء. فلا يبلغ هذه الرتبة إلاّ وقد تهذبت أخلاقه ، وكثرت آدابه ، وامتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده في رمى النشاب ، وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل.

" ولهم أزمّة من الخدام ، وأكابر من رؤوس النّوَب ، يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى. ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلمه القرآن ، أو الطواشى الذي هو مسلّم اليه ، أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه ، على أنه اقترف ذنباً ، أو

---

[1] السلوك ٣٣٩/١

[2] محل الإقامة وتشبه الثكنة في عصرنا الحاضر

أخل برسم ، أو ترك أدباً من آداب الدين ، قابله علي ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه.

استند المماليك الى القوة في الوصول إلى الحكم ، وفي تدعيم ملكهم ، مستظلين في دولتهم بظل الاسلام ، وما يدعو له من مساواة بين المسلمين جميعاً، سادة أو عبيداً الأمر الذي مكن العناصر غير العربية من أتراك وروم من التسلط على الخلفاء ، والإمساك بأزمة الأمور ، حتى صاروا الحكام الحقيقيين ، وصار الخلفاء لعباً في أيديهم ، يحركونها كيف شاءوا. مهتمين بالشكل الظاهرى من الإسلام ، ولهذا السبب " سعى الظاهر بيبرس – رابع سلاطين المماليك – لإحضار أحد أبناء خلفاء العباسيين ليقيمه خليفة في مصر يمثل السلطة الدينية ، ويجمع شمل العالم الإسلامى العربى حول ملوك مصر الذين آلت إليهم تبعة الدفاع عن الإسلام بعد سقوط بغداد ومقتل آخر خلفائها ٦٥٦هـ على أيدى التتار بقيادة هولاكو.[١] "

ولقد كانت القوة هى أساس الحكم المملوكى ، وقانونها الأعلى ، فمن كان يملك القوة يملك السلطة ولو كان عبداً. قال الأفرم نائب السلطنة بدمشق مخاطباً أمراء الشام ، عند سقوط أحد سلاطين الممالك بالقاهرة وقيام آخر: " إعلموا أن هذا الأمر انقضى ، ولم يبق لنا ولا لغيرنا فيه مجال ، وأنتم تعلمون أن كل من يجلس على كرسى مصر كان هو السلطان ، ولو كان عبداً حبشياً ، فما أنتم بأعظم من أمراء مصر"[٢].

استمرت دولة المماليك الأولى ما يقارب القرن ونصف ، وتولى الحكم خلالها خمسة وعشرون سلطاناً ، منهم من طالت مدة حكمه لسنوات ، ومنهم من لم يتول السلطة إلاّ لشهور ، ومنهم من تولى الحكم صبياً أو طفلاً لم يبلغ الحلم.

وكان من أشهر سلاطين الدولة الأولى ، وأبعدهم أثراً في الحياة والأدب ، السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى ، الذي اغتصب السلطة بعد قتله صديقه السلطان قطز، عقيب عودتهم ظافرين من معركة عين جالوت الشهيرة ضد المغول. في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ. واستمر حكمه من ٦٥٨هـ– ٦٧٦هـ خاض

---

[١] الأدب في العصر المملوكى صفحة (٢٧)

[٢] نفس المرجع صفحة (٢٧)

أثناءه الكثير من الحروب ضد التتار والصليبيين في الشام والعراق وأرمينيا وجنوباً في النوبة وشمال السودان ولقد كان حازماً انتشرت الطمأنينة أثناء حكمه.

" كان السلطان الظاهر على قدر من الديانة ، وكان ملازماً للخمس في أوقاتها ، وألزم حاشيته بها ، وحكى أنه ما شرب خمراً قط ، ومنع كل منكر . وكان يحصل من المنكر بمصر كل يوم ألف دينار فأبطله ، ولما حج رؤى بباب الكعبة محرماً ، يأخذ بأيدى ضعفاء الرعية ليصعدوا ، وعمل الستور الديباج للكعبة وللحجرة النبوية"

ومن بعد بيبرس جاء خلفاؤه من أبنائه الذين لم يعمروا في السلطنة كثيراً . وانتقلت السلطنة من بيته الى المنصور قلاوون ، مؤسس الأسرة القلاوونية الشهيرة. وكان من المماليك ، الذين اشتروا كباراً ، لذلك لم يتقن اللغه العربية فكان أعجمياً في حديثه ، لا يفهم العربية إلاّبصعوبة . ولكنه قام بأعمال جليلة في مصر والشام حيث شن غارات على الصليبيين وفتح طرابلس سنة ٦٨٨هـ وأعاد بناءها كما صد هجمات التتار.

وكان أهم ما خلفه في دنيا الفكر والحضارة ، القبة المنصورية التى اتخذت مدفناً له ولبعض أبنائه ، ومكاناً لتعليم القرآن ، وتلاوته ، وللعلوم الدينية ، كما بنى المارستان [١] المنصورى الكبير ، الذي ظل يقصده الناس من كل الطبقات للاستشفاء ، ويذكر أن ابن نباته المصرى دخله للإستشفاء في أخريات أيامه.

ثم أعقبه الاشرف خليل بن المنصور قلاوون ، الذي قام بتصفية جيوب الصليبيين بالشام . قال صلاح الدين الصفدى " واستفتح الملك بالجهاد ، وسار ونازل عكا وافتتحها ونظف الشام كله من الفرنج . ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوماً وافتتحها" [٢]

رغم مآخذ المماليك الكثيرة ، الاّ أنهم اتبعوا نظاماً حفظ للبلاد تماسكها ، كما حفظ بالتالى قوتها أمام الأعداء . فقد قسموا البلاد الى تسع ممالك ينوب عن السلطان في كل منها نائب للسلطنة ، يعاون هذا النائب أربعة قضاة ، ونائب للقلعة ، وأمير كبير. ونائب السلطنة في كل الممالك يعينه السلطان ، استطاع

---

[١] فارسى مركب يعنى المستشفى.

[٢] الوافى في الوفيات ٣٩٩/١٢

السلطان أن يكلف من يريد من نوابه الآخرين بالمسير إليه وإخضاعه ، أو أن يسير إليه بنفسه . ومهما يكن من أمر فان النائب الخارج عن الطاعة ، يعد في نظر الجميع متمرداً ولا يقوم له أمر ، كما أنه ليس بصاحب حق وهو المملوك ، كما كان الحال عند الأمراء الأيوبيين ، مما سبب في حينه تمزق البلاد الى مدن وقلاع يسود التناحر والحذر علاقاتها.

وعلى كل حال فإن العلاقة بين المماليك باعتبارهم حكاماً وبين الشعب لم تكن مستقرة دائماً ، لاعتقاد الناس عدم أهلية وشرعية المماليك. وكما أسلفت وبالرغم مما ارتكبته دولة المماليك من مظالم وسوءات إلاّ أن حسناتهم والانجازات التى تمت في عهدهم ، كانت كثيرة ، لعل من أبرزها ارتباط الشعوب التى كانوا يحكمونها ، في كل من مصر والشام في الثقافة والعادات والتقاليد.

ثانياً: الحياة الإجتماعية

طبقات المجتمع:

يرى المقريزى أن المجتمع المملوكى ينقسم إلى سبع طبقات وفى هذا الأمر يقول " " إعلم – حرسك الله بعينه التى لا تنام – أن الناس بإقليم مصر في الجملة على سبعة أقسام : القسم الأول أهل الدولة ، والقسم الثانى أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية ، والقسم الثالث الباعة ، وهم متوسطو الحال من التجار ، ويقال لهم أصحاب البز ، ويلحق بهم أصحاب المعايش وهم السوقة ، والقسم الرابع أهل الفلح ، وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف والقسم الخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ، والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم . والقسم السادس أرباب الصنائع والأجراء ، وأصحاب المهن ، والقسم السابع ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم " [1]

يؤخذ من تقسيم المقريزى أن الحكام أى المماليك هم أهل الطبقة الأولى وهم أصحاب السيف والسلطة والثروة. فالحق كل الحق في خيرات البلاد وأموالها

[1] إغاثة الأمة صفحة ٧٢

للعسكر من المماليك . ولقد كانوا أجناساً – أكثرهم – من الترك وفيهم من الجراكسة والأكراد ، والتتار ، والروم واليونان والفرنجة من أبناء أوربا.

واعتاد المؤرخون على تقسيم المماليك إلى طائفتين بحرية وبرجية . فالبحرية " كما سبقت الإشارة إلى ذلك " هم سكان جزيرة الروضة في النيل وكانوا من مماليكك الصالح نجم الدين الأيوبى. والبرجية هم سكان القلعة بجبل المقطم وينسبون إلى قلاوون وأبنائه وأحفاده.

وقد كان السلاطين من المماليك يشترون المماليك لتكوين فرق الجيش والفرسان والحرس الخاص " الخاصكية" كذلك كانوا يشترونهم لغرض المتعة والخدمة. ومن هؤلاء المماليك من وصل إلى سدة الحكم " ومنهم من وصل للسلطة أمثال كتبغا التترى الأصل ، ولاجين الرومى الأصل"[١]

كانت الرابطة القوية التى تشدهم هى رابطة الإرستقراطية الحاكمة التى تجعلهم كلاً قائماً بذاته منفصلاً عما عداه فهم ما عرفوا العلاقة العائلية الصحيحة فإذا مات أحدهم ترك لسيده جميع ممتلكاته (نساؤه ومماليكه).

وكان للسلطان زوجات من المماليك ، وهن من بنات الأمراء ونواب السلاطين ، أو من الرقيق التتريات السبايا ، أو بنات الملوك فقد " تزوج السلطان الناصر حسن بنت أخى أزبك ملك التتار " [٢]

في سبيل هذا الثراء العريض نكل المماليك بالناس وكانت القسوة هى الطابع المميز لحكمهم . سلط الله بعضهم على بعض ، وابتدعوا أصنافاً من التعذيب .

ثم نأتى للحديث عن الخليفة فقد كان الخليفة في المجتمع يختار من العباسيين ، الذين جاء بهم بيبرس من العراق ، بعد سقوط بغداد ، ويلى الخليفة في الترتيب كبار القضاة ، وكان قاضياً واحداً في عهد الأيوبيين. ثم صاروا أربعة ، واحداً لكل مذهب في دولة المماليك ، ويتقدمهم قاضى الشافعية ، وكانوا يلبسون العمائم والفرجيات التى تلائم كلاً منهم في هيئتها وزركشتها. كما كان الخليفة يلبس فرجية سوداء بطرز ، وعمامة كبيرة بعزبة ، ويتقلد سيفاً عربياً محلّى. [٣]

---

[1] تاريخ ابن الوردى ٢/٢٢٤

[٢] تاريخ ابن الوردى صفحتى ٣٠٢/٣٠٣

[٣] الدرر الكامنة ٢/١٤٣

وتمثلت الطبقة الثانية من كبار التجار وهم مثل الحكام سكنوا القصور الفارهة وتمتعوا بالعيش الرغيد وكانوا يعرفون باسم " بياض الناس" وكانت العلاقة بينهم وبين المماليك أنهم كانوا يشاركونهم في تجارتهم أو يقترضون منهم أو يصادرون أموالهم .

أما الطبقة الثالثة فهم الباعة وهم متوسطو الحال من التجار ، ومن ضمن هؤلاء أصحاب الحرف ، والعطارون والكحالون " وهم أطباء العيون " وكان الشاعر محمد بن دانيال كحالاً . ومنهم الوراقون ، الذين يبيعون الورق ، واشتهر منهم الشاعر سراج الدين الوراق ، أحد شعراء العصر المشهورين ومنهم الجزارون الذين كانوا يكسبون من عملهم مالاً يعينهم على حياة مريحة ، وعرف من بينهم ابو الحسين الجزار الشاعر المشهور.

أما الطبقة الرابعة فهم الفلاحون وكانوا على قدر كبير من الإنتعاش ، لكنهم انتكسوا بسبب ما فرض عليهم من ضرائب ، ولقلة الماء ، ولشح النيل.

أما الطبقة الخامسة فهم طلاب العلم والفقهاء والصوفية وقد كانت أموالهم قليلة لضعف مكانهم في الدولة.

أما الطبقتان السادسة والسابعة فهم أرباب المهن الصغيرة والأجراء من عمال الصناعة والخدم ، وأصحاب المسكنة ممن لا يملكون شيئاً من المال ، ولا يشغلون وظيفة ، وهم يعيشون عالة على غيرهم من أرباب الحرف و الصناعات أو يحصلون الأجر لقاء ما يقدمون من عمل أو خدمة.

أما عامة الناس فكانوا محرومين من جميع الإمتيازات يقول إبرا لابدوس " فلم يكن العامة ليحوزوا على منصب ، أو تعلم أو ثراء بل كانوا بالنسبة للخاصة دافعى الضرائب ، وغالباً ما كانوا ، بالنسبة للناس ، مجرد غوغاء ". [1]

[1] مدن اسلامية في عهد المماليك صفحة ١٤١

المرأة في المجتمع المملوكى

أول ما يقال إنها لم تكن في الموضع اللائق .. وقد فرض الحجاب على المرأة الحرة وتركت الجارية سافرة تتجول في الأسواق وإن وضعت لها بعض القيود في اللباس والسلوك. وقد اشتغلت كثير من النساء بالعلم وتصدرن للتدريس مثل زينب بنت مكى ، وزينب بنت الكمال " توفيت سنة ٧٤٠هـ " وذكر ابن حجر أنها روت كثيراً ، وتزاحم عليها الطلبة ، وقرأوا عليها الكتب الكبار. [١]

وكانت نساء بعض الطبقات الفقيرة يشتغلن بالغزل والتطريز و " الزركاش " بخيوط الفضة والذهب.

وذكر ابن كثير أن نائب السلطنة بدمشق أمر بأن ينادى في البلد بأن النساء يمشين في تستر ، ويلبسن أزرهن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهرن زينة أبداً . قال ابن كثير : " فافتعلن ذلك ، ولله الحمد والمنة " .[٢]

مع كل ما ذكر عن المرأة ، بل بالرغم من كل ما ذكر فقد أسهمت المرأة في الحياة . وكان لها دور كبير ، ولعل أبرز حادثة تساق لتؤيد هذا الرأى ما أقدمت عليه نساء دمشق سنة ٦٠٧هـ ، إذ عمدن الى شعورهن فقصصنها ، وضفرنها حبالاً للجهاد ضد الصليبيين وبعثن بها الى سبط الجوزى علاّمة الشام وواعظها . فبكى لرؤيتها وتأثر " وكان عدتها ٣٠٠ حبل غليظ ، فحملت على الأعناق خلال خطبة الجمعة في المسجد الأموى من قِبل ابن الجوزى. فضج الناس وتقاسموا على القتال حتى الموت ، وتزاحمت جموعهم ، وكروا على الصليبيين فانتصروا [٣] "

من عاداتهم : اتصف المجتمع بعادات حسنة ، وأخرى سيئة ، فمن مفاسد المجتمع السائدة السرقة و شرب الخمر وتدخين ومضغ الحشيش . وقد تكونت عصابات تنهب الأموال بينما كان المماليك مشغولين حيث يختل الأمن . قال ابن الوردى : " ولهما أتباع حرامية كانوا يخطفون العمائم ، فامسكوا وسمر بعضهم ".[٤]

---

[١] الدرر الكامنة ١٦٧/٢

[٢] البداية والنهاية ٢٨٠/١٤

[٣] النقد الأدبى في القرن التاسع الهجرى صفحة ٥٠

[٤] تاريخ ابن الوردى ٢٩٠/٢

ويبدو أن الناس تهاونوا في أمر الخمر ، فأمر السلطان ثانية سنة ٦٦٩هـ " بإراقة الخمور من سائر بلاده ، وتهدد من يعصرها أو يعتصرها بالقتل ، وأسقط ضمان ذلك وكان بالقاهرة وحدها ألف دينار في اليوم.[١]

وكان أكل الحشيشة شائعاً ، بخاصة في جماعة القلندرية. وقد أشار إليه الشاعر شمس الدين التلمسانى سنة ٦٨٨هـ في محاولة للتنفير فيقول : [٢]

ما للحشيشة فضل'' عندَ آكلها *** لكنّه' غير' مصروفٍ إلى رشدهْ

صفراء' في وجهه خضراء' في فمه*** حمراء' في عينه سوداء' في كبده

ومن غرائب ذلك المجتمع إيمانه بالتنجيم ، والذى لم يطل عامة الناس فقط ، بل طال الخاصة من السلاطين والملوك والأمراء ، وكانت له آثاره السيئة على النساء خاصة. جاء في البداية والنهاية " في حوادث سنة ٧٣٣هـ في نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين الى والى القاهرة ، فضربوا وحبسوا لإفسادهم النساء ، فمات منهم أربعة تحت العقوبة ثلاثة من المسلمين ونصرانى. [٣]

وفي أفراحهم كانوا يشعلون الشموع الكثيرة ، وكذلك كانوا يفعلون في استقبال الفاتحين والمنتصرين من سلاطين المماليك ، وفي المناسبات والمواسم .

كما كانوا يهتمون بإقامة الأعياد الدينية والقومية كعيد وفاء النيل ، وكان المولد النبوى أهم المواسم الدينية عند المسلمين ، وكان المماليك يهتمون به اهتماماً كبيراً ، ويصرفون في بذخ . [٤]

وكذلك اهتموا بموالد الأولياء كمولد السيد البدوى بطنطا ، ومولد الشيخ الإنبابى بإنبابة.

كذلك كانت للنصارى أعيادهم مثل عيد النيروز قال المقريزى : " ومازال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها إلى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبعمائة ، فمنع السلطان من لعب النوروز". [٥]

---

[١] البداية والنهاية ١٣/، ٢٦٠

[٢] نفس المصدر السابق ١٣/٣١٥

[٣] نفس المصدر السابق ١٤/١٦١

[٤] تاريخ ابن اياس ٢/٦٤

[٥] خطط المقريزى ١/٢٦٩

ثالثاً: الحياة العلمية

كانت لمصر أهمية خاصة في العالم الإسلامى باعتبارها قلعة الإسلام والمسلمين . و موئل العلم والثقافة لاسيما بعد سقوط بغداد ، على أيدى التتار ، واحراق الكتب والمكتبات التى ضمت النفيس من الفكر الإسلامى ، حيث ألقيت في نهر دجلة . فقد " روى أن مياه دجله جرت سودا من كثرة ما ألقى فيها من الكتب والصحائف " [1] قال ابن خلدون في القرن التاسع في ظل دولة المماليك: " واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة ، ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر ، فهى أم العالم ، وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع".[2]

ولقد عمل صلاح الدين بعد سقوط الدولة الفاطمية على إنشاء المدارس ، ودور الحديث في مصر والشام. كما انقلبت طبيعة الثقافة من اللون الشيعى إلى اللون السنى. وقد استمرت سياسة المماليك في نشر مذهب أهل السنة ، والتمكين لها فى مصر والشام ، وذلك ببناء المدارس والمساجد الكبرى التى تقوم بهذه المسئولية.

هجرات العلماء الى مصر:

ولقد اكتظت مصر بمجاميع العلماء ، الذين هاجروا إليها من الشام والمغرب وبلاد الأندلس وغيرها. ونذكر على سبيل المثال الخطيب القاضى جلال الدين القزوينى ، وسعد الدين التفتازانى والتبريزى ....وصفى الدين الحلى وغيرهم. كما جاءها ابن دحية المحدث ، الذي أقام بالقاهرة أيام الكامل الأيوبى ، وتولى تدريس الحديث بالكاملية ، وتوفى عام ٦٣٤هـ . وهو صاحب كتاب " المطرب من شعر أهل المغرب" وأثير الدين أبوحيان العالم النحوى الأديب المشهور ومنهم العالم الأديب ابوسعيد على بن موسى توفى سنة ٦٧٣هـ الذي جاء من المغرب ، وطاف الديار المصرية والشام والعراق وجمع ، وصنف ، وقابل الكثيرين من علماء مصر الأجلاء

---

[1] مصادر التراث العربى صفحة ٢٤

[2] الأدب في العصر المملوكى صفحى ١٢٤

، ونقل عنهم في كتابه المعروف "المغرب في حلى المغرب " وله عدة كتب أخرى . ومنهم ابن جابر الضرير صاحب البديعية المشهورة ، وآخر في نقد الشعر . ومنهم ابن عصفور على بن مؤمن النحوى الحضرمى الإشبيلى ، حامل لواء العربية بالأندلس ، والذي أقام في حلب بالشام . وابن سراقة الشاطبى الأندلسى " قدم الديار المصرية وولى المشيخة لدار الحديث الكاملية الى حين وفاته سنة ٦٦٢هـ ، وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة ، وتفقه على مذهب مالك " . [١]

ومنهم الشريشى محمد بن أحمد النحوى المالكى الأندلسى. توفى سنة ٦٨٥هـ جاء من المغرب وطاف البلاد وسمع الحديث ببغداد ودمشق وأربل وحلب والقاهرة ، وجمع ودرس بمدارس تلك البلاد ، ففى دمشق بالرباط الناصرى والنورية ، وفي القاهرة بالفاضلية . ثم استقر بين دمشق وبين المقدس ، وتتلمذ عليه ابن تيمية ، و ألف شرحاً جليلاً لابن معطى ، وكتاباً في الإشتقاق. [٢]

وكذلك ابو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسينى توفى سنة ٧٦١هـ. وقال المقرئ المغربى المتأخر في كتابه " تعريف ابن الخطيب في ذكر مشايخ لسان الدين بن الخطيب " : " كان هذا الشريف آية الله الباهرة في العربية ، والبيان ، والأدب. قال محمد بن على بن الصباغ العقيلى : وكان آية زمانه ، وأزمة البيان طوع بنانه ، له " شرح المقصورة القرطاجنية" [٣]

المدارس ودور العلم :

هذا وقد كانت مصر والشام حافلتين بدور العلم والعلماء والمكتبات الضخمة ، عامرتين بمجالس العلم والأدب . فالقاهرة ودمشق وغيرهما ، غصتا بالكتب وعجتا بالعلماء . قال المقريزى : " إن سوق الكتبيين احترقت بدمشق سنة ٦٨١هـ واحترق فيها لواحد من الكتبية وهو شمس الدين ابراهيم الجزرى خمس عشرة ألف مجلدة سوى الكراريس . [٤] كما أحب الناس العلم ، وأقبلوا عليه ، يقول أحد شعرائهم :

---

[١] فوات الوفيات ٣٠٦/٢

[٢] بغية الدعاة ص ٨٥

[٣] شذرات الذهب ٣٨٤/٦

[٤] السلوك ٧٠٩/١

هذب النفس بالعلوم لترقى *** وترى الكل وهو للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة وال *** عقل' سراج'' وحكمة' الله زيت'
فإذا أشرقت فإنك حى *** و إذا أظلمت فإنك ميت'

وقد انتشرت المدارس في عواصم دولة المماليك ، وأمها طلاب كثر ، دون أن ترهقهم مادياً ، إذ قام الحكام والسلاطين بتكاليف المدارس ، ورواتب العلماء والفقهاء وأحياناً يجرون لهم رواتب. كذلك تخصصت بعض المدارس في علوم بعينها كتعليم القرآن أو الفقه أو الحديث أو التفسير. كما ورثت القاهرة تراثاً عامراً من دور الكتب في العصر الأيوبى ، من أضخمها مكتبة القاضى الفاضل التى ألحقها بالمدرسة الفاضلية ، واحتوت من مكتبة القصر الفاطمى مائة ألف كتاب .[1] والمدرسة الفاضلية التى بنيت في عهد الأيوبيين غير أنها لا زالت عامرة في عصر المماليك ولقد تولى التدريس فيها كبار العلماء من أمثال عثمان بن الحاجب صاحب كتابى " الكافية" و " الشافية " في النحو والعربية. وفى العهد الأيوبى بنيت دار الحديث الكاملية يقول عنها المقريزى :" أنشأ الكامل بن العادل المدرسة الكاملية بخط بين القصرين من القاهرة سنة ٦٢٢هـ . وتعرف بدار الحديث الكاملية وهى ثانى دار عملت للحديث ، فإن أول من بنى داراً للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق . وبنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى . ثم بعدهم لفقهاء الشافعية " وكان طلبة هذه الدار يتقاضون أجراً كما اشترط الواقف المبيت فيها.[2]والمدرسة الصالحية التى بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩هـ بمنطقة بين القصرين ورتب فيها دروساً أربعة لفقهاء المذاهب الأربعة وأنشد عند افتتاحها الشاعر ابو الحسين الجزار قصيدة مطلعها:

الآ هكذا يبنى المدارس من بنى : ومن يتعالى في الثواب وفي البنا

والمدرسة العزية بناها عز الدين أيبك التركمانى مطلة على النيل بمصر القديمة. ولعل من أضخم المدارس وأفخمها مدرسة السلطان حسن بالقلعة والتى قيل إن إيوانها بنى على قدر إيوان كسرى انوشروان في الطول والعرض وهى تشتمل على

---

[1] الخطط ٢/٢٥٥

[2] الدرر الكامنة ٣/٢٥٠

أربع مدارس ، لكل شيخ مذهب مدرسة تختص به وبمناسبة بناء هذه المدرسة قال ابن حجلة:

لسنا وإن كرمت أوائلنا *** يوماً على الأنساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا *** تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

والمدرسة الظاهرية التى بناها السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى في بين القصرين واكتمل بناؤها عام ٦٦٢هـ "وجعل بها خزانة كتب جليلة ، وبنى بجانبها مكتباً للسبيل ، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز كل يوم ، والكسوة في فصلى الشتاء والصيف "[١] وتولى التدريس بها من العلماء الحافظ الدمياطى ، ودرس بها الحديث ابن العجمى. ومدرسة الشيخونة بناها الأمير شيخون "توفى سنة ٧٥٦هـ . وهى مدرسة هائلة جمع فيها المذاهب الأربعة ، وداراً للحديث ، وخانقاه للصوفيه ، وقف عليها كثيراً.[٢]

كانت أقدم مدارس القاهرة العامرة جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، تعقد فيه حلقات الدرس للمذاهب الأربعة ، وكانت له مكانة خاصة في نفوس الناس ، وحرص السلاطين على الإهتمام به وتجديده[٣]. ثم من بعد جامع عمرو بن العاص يجئ جامع ابن طولون ، الذي اهتم به المماليك وقام في عام ٦٩٦ هـ السلطان لاجين بتجديده.

يقول المقريزى : " وتقدم السلطان الى علم الدين سنجر الدوادرى بعمارة الجامع الطولونى ، وعين لذلك عشرين ألف دينار عيناً ، فعمره وعمر أوقافه، وأوقف قرية منية أفدونة من الأعمال الجيزية عليه ، ورتب فيه درس تفسير وحديث نبوى ، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة ، ودرساً للطب ، وشيخ ميعاد ، ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن "[٤]

ولما أمر المعز لدين الله الفاطمى جوهر الصقلى ببناء الجامع الأزهر أصبح قلعة متينة للعلم ، ومنارة سامقة يقصدها الطلاب من مناحى العالم الإسلامى

---

[١] البداية والنهاية ٢٤٢/١٣

[٢] البداية والنهاية ٢٥٨/١٤

[٣] إرشاد الأريب ٢٨٩/٤ –معجم الأدباء–

[٤] النجوم الزاهرة ١٠٧/٨

المختلفة ، تغذى أدمغتهم ، وتنير قلوبهم . كما كان منبراً لجهابذة العلماء إذ ألقى به ابن عطاء الله السكندرى مواعظه وحكمه المشهورة.

ثم قبة الشافعى بالقرافة الملحقة بضريحه ، وهى مدرسة فسيحة ، اشتهرت في عهد المماليك.

ذكرت فيما مضى بعضاً من المدارس الهامة التى أنشئت في العصر المملوكى في القاهرة ، ولقد عمت المدارس مدناً أخرى في مصر : مثل القوص و أسيوط وغيرهما ، مما لا يتسع المجال للحديث عنها. أما في دمشق – عاصمة بلاد الشام ومقر نائب السلطنة – فقد كانت المدارس الكبرى حية ، حيث يؤمها العديد من العلماء من كل الأصقاع من المشرق والمغرب ، ولعل من أشهر مدارسها دار الحديث الظاهرية ، ودار الحديث الأشرفية ، بجوار قلعة دمشق ، والتى قام ببنائها الأشرف موسى بن العادل الأيوبى . ومن أحسن المدارس من حيث جمال وغرابة المبنى الناصرية البرانية بسفح جبل قاسيون ، والناصرية الجوانية داخل باب الفراديس . جاء في البداية والنهاية أن الأمير جمال الدين أقوش النجيبى وقف داراً عامرة للشافعية أقام بها المؤرخ المشهور ابن كثير ودرّس. [1]

أما الجامع الأموى بدمشق فقد كان جامعة كبيرة تلقى فيها الدروس في شتى العلوم والفنون من جانب فطاحلة العلماء وكبارهم ممن كانوا يتنافسون لينالوا حظوة التدريس به . ولقد درس به عدد من كبار العلماء أمثال الخطيب القزوينى ، وتقى الدين السّبكى ، والعلامة الجليل والمفسر الكبير عماد الدين بن كثير. كما كان رواد الجامع الأموى من الطلاب والمعيدين والمدرسين يعطون رواتب شهرية.

ولا ننسى أن نذكر أن مدناً أخرى في الشام كانت تزدحم بالمدارس والعلماء أمثال حلب وغيرها.

من هذا الاستطراد يتضح الإهتمام البالغ الذى أولاه المماليك للعلم والعلماء وخزائن الكتب. وحسبنا أن نقول : إن كل مدرسة ومسجد ومارستان ... وغير ذلك مما أنشأه المماليك ، كانت تلحق به خزانة عامرة تضم الأحمال من الكتب القيمة ، والمصنفات النافعة ، في كل فن ومطلب مما أدى إلى نشاط الحركة العلمية والثقافية وساهم بقدر كبير في تقدم ورقى البلاد.

---

[1] البداية والنهاية ٦/٢٨٠

ولعل هيمنة المماليك على مقاليد الأمور وبسطهم لنفوذهم على كل طبقات المجتمع ، اكسبت المجتمع الأمن ، وأعانتهم على سياسة شئون البلاد وحكمها .

يقول الأستاذ الجامعى ابرا لابدوس : " إن هذه الصلات المباشرة التى كانت تربط المماليك بالطبقات جميعاً أحدثت نمطاً للعلاقات حكم المماليك المجتمع بواسطتها ولما كان المماليك قد استخدموا تعاون الأعيان ، وفتنوا عامة الشعب ، واحتووا عنف الكتل البروليتارية تمكنوا بمنطق هذه العلاقات من الحؤول دون تكوين أنماط بديلة للحكم" [١]

في هذا الجو المشحون بالتحصيل العلمى ،، والذى لم يضن المماليك فيه بمال من أجل العلم حتى غدا عصرهم درة في جبين الثقافة الإسلامية. قلت في هذا الجو نشأ أديبنا الكبير – صلاح الدين الصفدى – ابناً لأحد أمراء المماليك ، وكاتباً في دواوين الإنشاء ، معاصراً لعديد الوقائع ، مما أثر على تكوينه ، وشخصيته ، وفتح مواهبه ، وأصبحت له " همة عالية في التحصيل "[٢] مما سيتضح بصورة جليه عند الحديث عن شخصيته.

المطلب الثاني: شخصية الصفدى

اسمه ونسبه: هو صلاح الدين ابو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله – الألبكى. [٣] الصفدى الشافعى [٤] ، مؤرخ ، أديب ، ناثر ، ناظم، لغوى[٥] ، إمام ، كاتب ، شاعر. وديوان شعره مشهور بأيدى الناس وهو من المكثرين.

مولده ونشأته: (٦٩٦ – ٧٦٤هـ ، ١٢٩٧ – ١٣٦٣م)

ولد بصفد [٦] سنة ست وتسعين وستمائة [٧] ، وقرأ يسيراً من الفقه والأصلين ، وبرع في الأدب نظماً ونثراً وكتابة وجمعاً ، وعنى بالحديث ، وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها ثم حبب إليه الأدب فولع به وكتب الخط الجيد ، وشارك في الفنون .

---

[١] مدن اسلامية في عهد المماليك صفحة ٣١٦

[٢] طبقات الشافعية ٩٤/٦

[٣] النجوم الزاهرة ١٩/١١

[٤] شذرات الذهب ٢٠٠/٦

[٥] معجم المؤلفين ١١٤/٢

[٦] معجم المؤلفين ١١٤/٢

[٧] طبقات الشافعية ٩٤/٢

" وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة فطلب بنفسه [1].

فقد هيأه ولوعه بالرسم وتعلقه به ، لأن يكون خطاطاً بارعاً ، كما أطلق هذا الولوع خياله وأغناه ليجيد التعبير بالتصوير في الشعر والنثر ، وهو في الشعر وسيلته الأصيلة .[2]

أعماله:

أول عمل تولاه بعد أن حفظ القرآن ودرس اللغه والأدب ، وبرع في الخط أنه تولى كتابة الدرج[3] وديوان الإنشاء في صفد . ونذكر أن ديوان الإنشاء كان يتألف من ناظر الديوان ويسمى كذلك كاتب السر ، وتحته كتاب الدست وعددهم أربعة ، ويسمون كذلك الموقعين ، لأنه يحق لأحدهم التوقيع على الكتب الواردة في غياب ناظر الديوان ، ويأتى بعد ذلك كتاب الدرج ويغلب أن يكونوا أربعة.[4]

وكان من بين أعمال ديوان الإنشاء : النظر فى المظالم ، وكل من يتولى ديوان الإنشاء لابد أن يكون ملماً بأعمال الكتابة ، وكان منهم من يعرف — بالضرورة — اللغات الأجنبية ، وتعريب الكلمات الأعجمية.[5]

ثم نقل الصفدى إلى القاهرة ، للعمل نفسه " أي كاتباً للدرج في ديوان الإنشاء " لكنه بطبيعة الحال وهو في عاصمة البلاد آنذاك أسمى مما كان – وهو في صفد – درجة وأرفع مكانة . ويبدو أن المقام طال به في القاهرة إذ استمر حتى عام ٧٦٠هـ وكان قد بلغ من العمر الرابعة والستين.

---

[1] الدرر الكامنة ٤٩/٢

[2] النقد الأدبى صفحة ٧٤

[3] الدرج: الورق المستطيل ، المركب من عدة أوصال متلاصقة ، يكتب فيه ويلف.
وسموا كتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دروج الورق . وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر ، أو إشارة النائب ، أو الوزير ونحو ذلك.

[4] البداية والنهاية . ٢٧٥/١٤

[5] انظر نظم دولة سلاطين المماليك د. عبد المنعم ماجد ٥٥/١

ثم انه ولى كتابة بيت المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها أيضاً ويقول صديقه تاج الدين السبكى وقد كان يومها قاضى قضاة الشام " وقد ساعدته آخر عمره ، فولى كتابة الدست بدمشق "

وكاتب الدست في الطبقة الأولى من كتاب ديوان الإنشاء أيضاً ، وسموا كتاب الدست ، إضافة إلى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه للكتابة بين يديه.

ثم ولى كتابة السر بحلب ، ثم ناظر ديوان الإنشاء بالرحبة " من بلدان الشام " يقول السبكى " ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال ، وكتابة الدست ..وكان لا يلى نظر بيت المال إلاّ من هو من ذوى العدالات المبرزة " فكان لمركزه الجليل مكانة بين موظفى القصر ، وتحت يده الصيارفة والكتب والشهود. [1]

ويذكر القلشقندى أنه لا يتولى هذه الوظيفة إلاّ ذو العدالة البارزة من أهل العلم والدين.

ويذكر ابن تغرى بردى بعد أن عدد هذه الوظائف أنه تصدى للتدريس بالجامع الأموى بدمشق.

قال عنه السبكى : " وكانت بينى وبينه صداقة منذ كنت صغيراً فإنه يتردد إلى والدى فصحبته ولم يزل مصاحباً لى إلى أن قضى نحبه وكنت قد ساعدته آخر عمره فولى كتابة الدست بدمشق ، ثم ساعدته فولى كتابة السر بحلب ثم ساعدته فحضر الى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدست واستمر بها إلى أن مات بالطاعون ليلة عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة وكانت له همة عالية في التحصيل" [2] ودفن بالصوفية قال ابن قاضى شهبة [3] . وكان في الآخرة قد ثقل سمعه. [4]

---

[1] الدرر الكامنة صفحة ٤٩ رسالة فى علم الموسيقا تأليف صلاح الدين الصفدى صفحة ٧٨.

[2] طبقات الشافعية ٩٤/٦

[3] شذرات الذهب صفحة ٢٠١/٦

[4] الدرر الكامنة ٤٩/٢

أخلاقه:

يجمع الذين ترجموا له على الإشادة بما تحلى به من أخلاق حميدة ، وصفات طيبة ، جعلته محبباً لكل من عرفه. يذكر ابن تغرى بردى نقلاً عن الذهبى : أنه كان إماماً ، عالماً ، صادقاً ، ماهراً حسن الأخلاق والمحاضرة.

ويذكر ابن حجر أنه كان محبباً إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المودة. [1]

وقال عنه الحسينى – شيخه – "كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم" [2] وأنه من الرؤساء الأخيار ، وقد كان عطر السمعة ، طيب الذكر في كل ما تولاه من مناصب ، رغم ما يصيب أمثاله من الإتهام.

وكان بينه وبين علماء عصره ، وأدبائه ، مكاتبات ومراسلات.

قال عنه ابن حبيب – المؤرخ المصرى– عندما ترجم له [3] أنه اجتمع به في القاهرة ، وسمع من فوائده ، وانتفع بأدبه ، ووقف الصفدى على كتاب لابن حبيب ، وسمه بـ (نسيم الصبا) في الأدبيات ، فكتب عليه نحو ثلاثين سطراً تقريظاً له منها:–

وقلت لأهل النثر والنظم قابلوا : ترائبها مصقولة كالسجنجل

وميلوا بأعطاف التعجب إنها : (نسيم الصبا) جاءت بريا القرنفل

وكم من مجلس علم وأدب ضمه وأصدقاءه ، يتداولون في مسائل علمية ، وأدبية ، بروح الود والمحبة.

هذا وقد نقل إلينا ابن كثير جانباً من هذه المجالس العلمية.[4]

ومن دلائل حبه للناس : عفة لسانه لمن يترجم لهم ، وابتعاده عما يسئ إليهم ، فلم يتعرض لغضبهم ، وما أثار حفائظ الملوك ولا الأمراء ، ولم يكن ذلك على حساب الحقيقة ، بل لعدم إعتنائه كثيراً بتاريخ السياسة أو تدوين وقائع الملوك.

---

[1] المصدر السابق ٤٩/٢

[2] طبقات الشافعية ٩٤/٢

3 تذكرة النبيه ٢٦٨/٣

[4] البداية والنهاية ٢٩٥/١٤

شيوخه :

لم يجد الصفدى فى علماء بلده ما يرضى مواهبه ، ويسبر غور طموحه ، ويشبع نهمه ، " وقد كانت له همة عالية في التحصيل " [١] فرحل الى دمشق يقرأ على علمائها الأجلاء.

وكان من أشياخه الذهبى وابن كثير والحسينى وغيرهم [٢] كما أنه قرأ عن القاضى بدر الدين بن جماعة الفقه على المذهب الشافعى وقرأ عن أبى الفتح ابن سيد الناس والتقى السبكى والحافظين أبى الحجاج المزى وأبى عبد الله الذهبى وغيرهم . وأخذ النحو عن أبى حيان النحوى ، والأدب عن ابن نباته والشهاب محمود ولازمه ومهر في فن الأدب والخط المليح [٣] كما أخذ التاريخ عن أبى عبد الله الذهبى [٤]. كذلك قرأ على الشيخ الإمام رحمه الله جميع " شفاء السقام في زيارة خير الأنام " عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولازم الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس وبه تمهر في الأدب وصنف الكثير في التاريخ والأدب[٥] حتى برع في الأدب نظماً ونثراً وكتابة وجمعاً . وقد أثر اهتمامه البالغ بالأدب وتحصيله وما يتصل به بسبب ، على تحصيله لبقية العلوم ، والتى لم تجد كذلك هوى من نفسه ، فكأنما أدرك سوء تأثيرها في خيال الأديب ، وفي تعبيره الشعرى. وقد قرأ بنفسه شيئاً من الحديث. [٦]

والنقد ، منذ أن كان يقرأ عليهم ، يقول الصفدى في معرض حديثه عن شيخه ابن سيد الناس " وكتبت له استدعاء اجازته لى ، بما صورته بعد الحمدلة والصلاة....(فكان مما أجابه به الشيخ): وأذنت لك في إصلاح ما تعثر عليه من الزلل والوهم ، والخلل الصادر عن غفلة اعترت النقل أو وهلة اعترضت الفهم ، فيما صدر عن قريحتى القريحة من النثر والنظم ، وفيما تراه من إستبدال لفظ بغيره

---

[١] طبقات الشافعية ٩٤/٦

[٢] الدرر الكامنة ٤٩/٢

[٣] شذرات الذهب ٢٠٠/٦

[٤] طبقات الشافعية ٢١٦/٥

[٥] طبقات الشافعية ٩٤/٦

[٦] الدرر الكامنة ٨٧/٢

، مما لعله أنجى من المرهوب ، أو أنجع في نيل المطلوب ، أو أجرى في سنن الفصاحة على الأسلوب"[1]

آثاره العلمية :

كان صلاح الدين ابو الصفا أديباً ، برع في الأدب ، نظماً ، ونثراً ، وكتابة ، وجمعاً. فقد قال النظم الرائق ، وألف المؤلفات الفائقة . وباشر كتابة الإنشاء بمصر ودمشق ، ثم ولى كتابة السر بحلب . قال عنه ابن حجر العسقلانى : " وقال الشعر الحسن ثم أكثر جداً من النظم والنثر والترسل والتواقيع . [2] كما قال عنه الذهبى : " الأديب البارع الكاتب شارك في الفنون وتقدم في الإنشاء وجمع وصنف . وقال أيضاً : سمع منى وسمعت منه وله تواليف وكتب وبلاغة "[3]

" وقال في المعجم المختص الإمام العالم الأديب البليغ الكامل طلب العلم وشارك في الفضائل وساد في الرسائل وقرأ الحديث وجمع وصنف".

وقد كان من أنشط أدباء عصره ، كتب الكثير في التاريخ واللغة والأدب . " وله الأشعار الفائقة والفنون المتنوعة"[4]

مؤلفاته وآثاره العلمية:

خلف الصفدي ثروة ضخمة من المؤلفات التي تنوعت أغراضها وتباينت موضوعاتها فقدكتب في التاريخ والسير والبلاغه والأدب والموسيقى والشعر والنقد وغير ذلك

من فنون العربية ، وعن مؤلفاته يقول السبكى في طبقات الشافعية " قيل أنه كتب أزيد ٦٠٦ مجلد تصنيفاً " ونحو هذه العبارة وجدت بخط الصفدى إذ يقول :" كتبت بيدى خمسمائه مجلدة " وقال " لعل الذى كتبته في الإنشاء ضعفا ذلك "[5]

ويروى أيضاً عنه السبكى " قال لى : إنه كتب أزيد من ستمائة مجلد تصنيفاً وكان بينى وبينه صداقة " .كما قال عنه أيضاً "كانت له همة عالية في التحصيل

---

[1] الوافى بالوفيات ٢٨٩/١

[2] الدرر الكامنة ٤٩/٢

[3] النجوم الزاهرة ١٩/١١

[4] البداية والنهاية ٣٠٣/١٤

[5] الدرر الكامنة ٤٩/٢

فما صنف كتاباً إلاّ وسألنى فيه عما يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو لاسيما أعيان العصر فأنا أشرت إليه بعمله ثم استعان بى في أكثره. ولما أخرجت مختصرى في الأصلين المسمى جمع الجوامع كتبه بخطه وصار يحضر الحلقة وهو يقرأ على ويلذ له التقرير وسمعه كله على وربما شارك في فهم البعض منه رحمه الله تعالى ".[1]

لا ضير ! بل لا غرابة في حديث السبكى عن الصفدى فهو صديقه الصدوق الذى يصغره بثلاثين عاماً. ولقد بدأت صداقتهما عندما كان الصفدى يتردد على والده (تقى الدين) ليأخذ عنه. ولقد استمرت إلى أن قضى الصفدى نحبه.

وذكر ابن العماد الحنبلى " وقفت على ترجمة كتبها لنفسه نحو كراسين ذكر فيها أحواله ومشايخه وأسماء مصنفاته وهى في نحو الخمسين مصنفاً منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله[2]

وقال ابن كثير : " مصنفاته بلغت المئين من المجلدات ولعل الذي كتبه في ديوان الإنشاء ضعف ذلك" [3]

أما الزركلى فقد ذكر بأنه "كثير التصانيف الممتعة له زهاء مائتى منصنف " [4]

وفيما يلى أقدم ثبتاً بما وقفت عليه من مؤلفات الصفدي مع إيراد بعض البيانات عنها:

(١) الوافى بالوفيات.

---

[1] شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى ١٠٨٩م – بيروت – ٦/ **٢٠١**

[2] المصدر السابق ٦ /**٢٠١**

[3] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع العلامة شيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى المتوفى ١٢٥٠هـ – المجلد الأول – دار المعارف للطباعة والنشر – بيروت – لبنان. ١/ **٢٤٣**

[4] شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٦/ **٢٠١**

وهو أشهر كتبه ، ويقع في نحو ثلاثين مجلداً على حروف المعجم ، قال عنه ابن تغرى بردى:

" وتاريخه المسمى الوافى بالوفيات في غاية الحسن وقفت عليه وانتقيته ونقلت منه أشياء كثيرة في هذا المؤلف وفي غيره " [١] ويعزى ابن تغرى بردى تسمية صلاح الدين ابو الصفا كتابه " الوافى بالوفيات " " إشارة على تاريخ ابن خلكان انه يوفى بما أخل به ابن خلكان. فلم يحصل له ذلك " . [٢] وتقصير صلاح الدين ابو الصفا هو عين السبب الذي جعل ابن تغرى بردى يعدل اسم كتابه " المستوفى على الوافى " إلى " المستوفى بعد الوافى " خوفاً من أن يقع في التقصير الذي وقع فيه أبو الصفا الصفدى.

ويعدّ " الوافى بالوفيات " أكبر المعاجم التاريخية المعروفة من نوعه " جمع فيه تراجم الأعيان ، ونجباء الزمان ، مما وقع عليه إختياره . فلا يغادر أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء والأولياء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب النحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ، ممن اشتهر أو أتقن إلاّ ذكره.

وذكر كل من فتح فتحاً يسره ، أو خيراً قرره ، أو جوداً أرسله ، أو رأياً أعمله ، أو حسنة أسداها ، أو سيئة أبداها ، أو بدعة سنها وزخرفها ، أو كتاباً وضعه ، أو تأليفاً جمعه ، أو شعراً نظمه ، أو نثراً أحكمه ، فازداد النفع به للمحدث والأديب". [٣] دخل الكتاب في ثلاثين مجلداً " معظمها مخطوط "

افتتح الصفدى كتابه بمن اسمه محمد ، فاستهل حديثه بالرسول عليه الصلاة والسلام ثم تحدث عمن اسمه محمد من الأعيان ثم ساق التراجم بأسلوب مرسل رقيق على حروف المعجم.

---

[١] النجوم الزاهرة ١٩/١١

[2] النجوم الزاهرة ١٩/١١

[3] انظر كشف الظنون ٤١٠/٢

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر.

وقد استله الصفدي من كتابه " الوافى بالوفيات" وهو تراجم أهل عصره وقد طبع في ست مجلدات بتحقيق الدكتور على أبوزيد و آخرون.

(٣) اختراع الخراع في مخالفة النقل والطباع.

وهو شرح مفصل لأشعار مع تعليقات في علوم اللغه والعروض ، ورد عند بروكلمان GAL 1133 S 11 29 ليرن ٣٢١ وقد طبع أخيراً بمصر.

(٤) الأرب من غيث الأدب: ورد في فهرس الخزانة التيمورية ١٧٧/٣ دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ أشار صاحب معجم المؤلفين ١١٤/٤ إلى أن كتاب (الأرب من غيث الأدب) هو نفسه (الغيث المسجم) بينما جاء في كتاب (رسالة في علم الموسيقا) أن الكتابين مختلفان .

(٥) الحان السواجع من المبادئ والمراجع : (مخطوط) وهو رسائله إلى بعض معاصريه . ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ والأعلام ٣١٤/٢ بينما ورد عند بروكلمان GAL 1132 S1128 باسم : " ألحان السواجع من النادى والراجع برلين ٨٦٣١ باريس ٢٠٦٧ المتحف البريطانى ١٠١٦ وغير ذلك.

(٦) تحفة ذوى الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب: (مخطوط) وهو ارجوزة لكتاب ابن عساكر وقد نشر صلاح الدين المنجد كتاباً للصفدى باسم (أمراء دمشق في الإسلام) ارجوزة ، لعلها جزء من " تحفة ذوى الألباب" وأورده بروكلمان.

(٧) التذكرة : (مخطوط) وهو مطول في الأدب والشعر ، تقع في ثلاثين مجلداً ، مرتب حسب الموضوعات ، ويقسم إلى أبواب في أنواع الفضائل والرذائل ، وفيه كثير من الفوائد التاريخية والإجتماعية ، وكثير أيضاً من تراجم الشعراء والأدباء . ومن المرجح أنه صنف التذكرة ليعود إليها عند الحاجة.

ورد في الأعلام ٣٦٤/٢

(٨) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف :

ورد في معجم المؤلفين ١١٤/٤ وفي هدية العارفين ٣٥١/١ وهناك نسخة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة المكتبية الزكية ٣٧ لغة .[١] وقد طبع سنة ١٩٨٧م بتحقيق السيد الشرقاوي.

(٩) تشنيف السمع بإنسكاب الدمع: وورد كذلك باسم " لذة السمع في صفات الدمع " . جمع فيه ما قاله الشعراء في الدمع ووصفه ، فبدأ بالبكاء منذ قول امرئ القيس فيه ، حتى جرى كالأنهار وطمى كالبحور في عصره. مع مقدمة حسنة في النقد وهو مطبوع في القاهرة سنة ١٣٢١هـ.

(١٠) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (الجدية): وهو موضوع بحثى هذا ، صدر بترجمة مطولة لابن زيدون ، مع انتقاءات شعرية ، ونوادر تاريخية . وهو مطبوع . وقد أورده ابن حجر في الدرر الكامنة ٨٧/٢.

(١١) جلوة المذاكرة في خلوة المحاضر ة : (مخطوط) في الخزانة التيمورية ، وصفه محمد كرد على في مجلة المجمع ٣٨/١٦ وورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والأعلام ٢٦٤/٢.

(١٢) جر الذيل في وصف الخيل : (مخطوط) ورد في الدر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١.

---

[١] انظر (لحن العامة والتطور اللغوى) د. رمضان عبد التواب ٢٦٨ – ٢٧٣

(١٣) جنان الجناس: وورد تحت اسم " جنان الجناس في علم البديع)[١] ومنه نسخه موجزة بعنوان " نزهة الخلاص في علم الجناس " وهو مطبوع.

(١٤) الحسن الصريح في مائة مليح: (مخطوط) مجموعة أشعار في الغلمان . منه نسخه في دار الكتب الظاهرية رقم عام ٥١٥٧ .

(١٥) حلى النواهد على ما في الصحاح من الشواهد : (مخطوط) مفقود . ذكره البغدادى في هدية العارفين ٣٥١/١.

(١٦) الروض الباسم والثغر الناسم :

ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والأعلام ٣٦٤/٢ ويشير بروكلمان إلى أن منه نسخة في الأسكوريال ١٨٤٨ انظر Gal 1133 وقد طبع سنة ٢٠٠٥م بتحقيق الدكتور محمد عبد المحيد لاشين.

(١٧) ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء : (مخطوط) وهو منتخبات من الشعر والنثر – ألفه للسلطان الأشرف الأيوبى ويشير بروكلمان إلى أنه بخط المؤلف Gal 1132 في فينا ٣٨٩ .

(١٨) رصف الزلال في وصف الهلال: (مطبوع)

ورد عند بروكلمان باسم (كشف الزلال) وعند زيدان في تاريخ آداب اللغه العربية (رشف الزلال) كذلك في رسالة في علم الموسيقا. والرشف والرصف اكثر قبولاً.

(١٩) رصف الرحيق في وصف الحريق: (مخطوط) وهو مقامة أورده بروكلمان بعنوان (كشف الرحيق) وزيدان (رشف) وكذلك في رسالة في علم الموسيقا. وكلاهما أقرب الى حسن الأداء من (كشف) في الاسكوريال .

(٢٠) رموز الشجرة النعمانية : (مخطوط) ذكر في هدية العارفين ٣٥١/١ وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق ورد باسم (شرح الشجرة النعمانية) رقم عام ٨٧٣١ و٦٢٣٢ و ٧٣٣٠.

---

[١] (رسالة في علم الموسيقا) تأليف صلاح الدين الصفدى صفحة ٦٢

(٢١) الشعور بالعور: منه نسخة في المكتبة الخالدية في ١٩٠ صفحة وصفها سامح الخالدى في الرسالة (مصر) ٨ / ١٩٤٠ : ١٤٠١ وقد طبع سنة ١٩٨٨م بتحقيق عبد الرزاق حسين.

(٢٢) صرف العين عن صرف العين في وصف العين : ورد في طبقات الشافعية ٩٦/٦ وهدية العارفين ٣٥١/١ وقال بروكلمان إن بعض أوراقه بخط الصفدى ، وقد طبع سنة ٢٠٠٥م بتحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين.

(٢٣) طوق الحمامة : مختصر شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ، وقد أورده بروكلمان في كتابه GAL 11 33 .

(٢٤) طرد السبع عن سرد السبع : ورد في هدية العارفين ٣٥١/١.

(٢٥) العرف الندى في شرح قصيدة ابن الوردى : (مخطوط) في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم عام ٥٨١٩.

(٢٦) عبرة اللبيب بعثرة الكئيب: وهو عند بروكلمان : عبرة اللبيب بمصرع الكئيب أو (المقامة الأيبكية) كذلك في رسالة في علم الموسيقا.

(٢٧) الغيث المسجم في شرح لامية العجم: أثبت فيه تمكنه من علوم العربية ، وقد أورد فيه شيئاً من المجون ، وفيه فوائد تاريخية هامة وقد طبع فى مجلدين.

(٢٨) غوامض الصحاح في اللغة : في هدية العارفين .

(٢٩) فض الختام عن التورية والإستخدام : (مخطوط) ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بلاغة ٤٨.

(٣٠) قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة : (مطبوع) .

(٣١) القصيدة اللامية : عند بروكلمان GALS11 29 في برلين ٧٩٧٢ وورد في رسالة في علم الموسيقا.

(٣٢) قصيدة تائية ليبزخ ٤٧٥ في بروكلمان GALS 1129

(٣٣) قصيدة برلين ٨٧٦٠ GAL1133

(٣٤) كشف الحال في وصف الخال : (مخطوط) مجموعة شعرية ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ وعند بروكلمان GAL1133 في هافانا ٢٩٣ ومنه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم عام ٦٩٢٧.

(٣٥) كشف السر المبهم فى لزوم ما لا يلزم : (مخطوط) منه نسخه في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧١٥١.

(٣٦) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه : (مخطوط) ورد بعنوان (التنبيه على التشبيه) في الدرر الكامنة ٨٧/٢ وبعنوان (الوصف والتشبيه) في طبقات الشافعية ٦/ ٩٦.

(٣٧) لوعة الشاكى ودمعة الباكى :

منه نسخة خطية في مخطوطات جامعة الرياض الرقم المتسلسل ٣٢٩ والرقم العام ١٤٣٦. وهو مطبوع.

(٣٨) منشآت الصفدى: مجموعة مقالات ورسائل وتواقيع وتقارير رسمية.

(٣٩) المنتقى في المجاراة والمجازاة: (مخطوط)

ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ باسم المجاراة والمجازاة في مجاراة الشعراء.

(٤٠) المجاورة الصلاحية في الأحاجى الإصطلاحية :

بروكلمان GALS1129 في الاسكوريال ٤٣٢.

(٤١) نكْت الهميان في نكت العميان: تراجم فضلاء العميان وأخبارهم. وهو منسق ، ويتحلى بمقدمة حسنة في موضوعه وهو مطبوع متداول.

(٤٢) نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهرى من الوهم: (مخطوط) في اللغة ورد في هدية العارفين ٣٥١/١.

(٤٣) نصرة الثائر على المثل السائر : مطبوع بتحقيق المؤلف .

(٤٤) الهول المعجب في القول الموجب : عند بروكلمان في القاهرة GALS1129 ، وقد طبع سنة ٢٠٠٥م بتحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين.

(٤٥) التنبيه على التشبيه : (مخطوط)

(٤٦) حقيقة المجاز الى الحجاز: نظم ونثر . صور رحلته الى الحجاز.

(٤٧) ديوان الصفدى.

(٤٨) رسالة في علم الموسيقا.

(٤٩) زهر الخمائل في ذكر الهدايل.

(٥٠) طراز الألغاز.

(٥١) غرة الصبح في اللعب بالرمح.

(٥٢) الفضل المنيف في المولد الشريف.

(٥٣) لذة السمع في وصف الدمع.

(٥٤) المثانى والمثالث: مقاطيع ونظم.

(٥٥) المقترح في المصطلح.

(٥٦) نجم الدياجى في وصف الأحاجى.

شعره:

كثير الشعر غزيره ، وهو مبثوث في ثنايا كتبه ، "وقد أودع منه في شرح لامية العجم ما يعرف به مقداره " [١] وديوان شعره مشهور بأيدى الناس وهو من المكثرين [٢] ولقد كتب الكثير من الشعر منه الغث ومنه الثمين . وما يؤخذ عليه أن له العديد من السرقات قال عنه الشوكانى : " ولكثرة ملاحظته للمعانى البديعية صار الغث من شعره كثيراً وينضم الى ذلك ما يطربه به من المبالغة في حسنه فيزداد ثقلاً". ثم واصل بقوله "كما أنه كان يختلس معانى شعر شيخه ابن نباته وينظمها لنفسه وقد صنف ابن نباته في ذلك مصنفاً سماه " خبز الشعير المأكول المذموم " وبين سرقاته لشعره [٣]

كما ذكر ابن تغرى بردى لفيفاً من شعره نورد بعضاً منه على سبيل المثال والاختصار .

فمن شعره بسندنا إليه أنشدنا مسند عصره ابن الفرات الحنفى إجازة أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل الصفدى إجازة[٤] .

---

[١] البدر الطالع ٢٤٣/١

[٢] البداية والنهاية ٣٠٣/١٤

[٣] انظر البدر الطالع صفحة ٢٤٤/١

[٤] النجوم الزاهرة ج ١١ / ص ٢٠-٢١

السريع:

المقلة السوداء أجفانها : ترشف في وسط فؤادى نبال

وتقطع الطرق على سلوتى : حتى حسنا في السويدا رجال

قال وله أيضاً رحمة الله تعالى

الوافر:

محياه له حسن بديع غدا : روض الخدود به مزهر

وعارضه رأى تلك الحواشى : مذهبة فزمكها وشعر

وله عفا الله عنه

البسيط:

بسهم ألحاظه رمانى : فذبت من هجره وبينه

إن مت مالى سواه خصم : فإنه قاتلى بعينه

وقال:

المتقارب:

كئوس المدام تحب الصفا : فكن لتصاويرها مبطلا

ودعها سواذج من نقشها : فأحسن ما ذهبت بالطلا

وله

الطويل:

أقول له ما كان خدك هكذا : ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى

فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى: تفتح وردي والعذار تخرجا

وله

الكامل:

أنفقت كنز مدائحى في ثغره : وجمعت فيه كل معنى شارد

وطلبت منه جزاء ذلك قبلة : فأبى وراح تغزلى في البارد

وله

المنسرح:

أفديه ساجى الجفون حين رنا : أصاب منى الحشا بسهمين

أعدمنى الرشد في هواه ولا : أفلح شئ يصاب بالعين

وله

البسيط:

سألتم عن منام عينى : وقد يراه جفا وبين

والنوم قد غاب حين غبتم : ولم تقع لى عليه عين

آراء العلماء عنه: قال عنه السبكى في طبقات الشافعية الكبرى " وكانت له همة عالية في التحصيل " [1] كما قال عنه ابن حجر العسقلانى : "وكان محبباً الى الناس حسن المعاشرة جميل المودة "[2] كما قال في المعجم المختص عنه " الإمام العالم الأديب البليغ الكامل طلب العلم وشارك في الفضائل وساد في الرسائل وقرأ الحديث وجمع وصنف وله تواليف وكتب وبلاغة وقد ترجم له السبكى في الطبقات ومات ..... " ملحوظة بياض بالأصل".

كما قال عنه الحسينى : " كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم " وقال ابن كثير "كتب ما يقارب مئتين من المجلدات " وقال ابن سعد " كان من بقايا الرؤساء الأخيار " وقال ابن رافع " قرأ بنفسه شيئاً من الحديث وكتب بعض الطباق وقرأ الأدب على شيخنا الشهاب محمود ولازمه مدة " [3]

وكتب عنه الذهبى من شعره وذكره في معجمه . وأنشد عنه ابن رافع عدة مقاطيع من نظمه منها:

بسهم أجفان رمانى : وذبت من هجره وبينه

إن مت ما لى سواه خصم : لأنه قاتلى بعينه

كما قال عنه الامام الشوكانى : " وكان حسن المعاشرة جميل المروءة وكان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم "[4]

كان يرضى في شعره بالأشياء الرخيصة ذكر ابن حجة قال : " إن الشيخ صلاح الدين – سامحه الله – كان من المكثرين ، وكان هو والشيخ شهاب الدين

---

[1] طبقات الشافعية ٩٤/٦

[2] الدرر الكامنة ٤٩/٢

[3] المصدر السابق ٤٩/٢

[4] البدر الطالع ٢٤٣/١

ابن أبى حجلة يرضيان لرغبتهما في الكثرة بالأشياء الرخيصة ".[1]

اتسم أديبنا الكبير – صلاح الدين الصفدى – بسمو مختاراته ، ورفعة كتاباته ، مما يدل على عمق في المعرفة ، ودقة وسعة في الإطلاع ، خاصة على تراث الأدب العربى الغزير . ولقد كثرة الإشادة بكتاباته ولم أقف على نقد له إلاّ في شعره خاصة سرقاته كما سبقت الى ذلك الإشارة.

[1] خزانة الأدب صفحة ٣٠٩

المبحث الثالث
ابن عليم عصره وشخصيته

المطلب الأول: عصر ابن عليم
أولاً: الحياة السياسية

لما تربع الأتراك على دست الحكم في السودان ، تزايد سخط الشعب السودانى للقسوة التى انتهجوها في جمع الضرائب. فساءت أحوال السودانيين نتيجة للكبت وقمع الحريات[1] مما أعان على نجاح الثورة المهدية والتى تميز قائدها الإمام محمد احمد المهدى بثقته في نفسه وقوة إيمانه بربه وعزمه على تخليص الشعب السودانى من ظلم الأتراك . فالتف الشعب حوله مما كان له أبلغ الأثر في انتصاراته المتتالية والتى انتهت بموت غردون وسقوط الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥م.

اتخذ المهدى أم درمان عاصمة لحكمه مما أدى إلى ازدهارها[2]

عقب الثورة الصناعية تكالبت الدول الأوربية على استعمار الدول رغبة في تسويق منتجاتها وتقوية اقتصادها فطمعت بريطانيا في استعمار السودان حماية لمصالحها في افريقيا وحماية لوجودها في مصر ومنطقة البحر الأحمر ولما يتمتع به السودان من خيرات. فتمكنت من القضاء على الدولة المهدية وتمّ رفع العلمين المصرى والإنجليزى في سماء البلاد ايذانا ببداية مرحلة الاستعمار التى عرفت باسم –الحكم الثنائى –وتمّ التوقيع على الاتفاقية في يناير ١٨٩٩ وأصبحت دستوراً لحكم البلاد.

وأصبح كتشنر باشا الحاكم العام ورغم تذمر الجيش المصرى إلاّ أن الحكومة المصرية كانت راضية عن ذلك لأنها اعتبرت موقف بريطانيا تأمينا للحدود الجنوبية إضافة الى ضمان حصة مصر من مياه النيل وتحسين ايراداتها من السودان[3]

---

[1] تاريخ الحركة الوطنية في السودان بروفسور محمد عمر بشير صفحة ٢٠

[2] السودان بين عهدين – سعد ميخائل صفحة ٨٢

[3] التجانى يوسف بشير الشاعر السودانى (دراسة نقدية في تجربته الشعرية) تأليف د. بدر الدين هاشم ابو القاسم –طبعة أولى– المطبعات العربية للتأليف والترجمة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ صفحتى ١١ و ١٢

وبمرور الزمن اسندت كل المهام للحاكم العام الانجليزى وجردت مصر من أى سلطة إذ رأت بريطانيا ضرورة تدريب الأهالى من السودانيين على إدارة بلادهم فأنشأت الإدارة الأهلية التى شاركت في الإدارة والقضاء عام ١٩٢٢م وكانت بريطانيا ترمى الى جعل القبائل السودانية اكثر التصاقا واتصالاً ببريطانيا على نية الاستغناء عن الموظفين المصريين إضافة إلى أنها هدفت إلى خلق أمة سودانية لها كيانها بإشراك الشعب في مختلف قطاعاته لكنها عجزت عن التنفيذ[١]

تطورت الأحداث بعد نشوب الحرب العالمية الأولى بعدما دخلت تركيا الحرب ضد بريطانيا ، فمهدت نهاية الحرب لنمو نشاط سياسى يختلف في أغراضه واتجاهه عن حركات المقاومة السابقة ونمت في مصر الحركة الوطنية – بعد نشر الميثاق الفرنسى – فنادت بضرورة استقلال مصر. كما قدم سعد زغلول قضية مصر أمام مجلس السلام لكنه منع وقبض عليه ونفى في جزيرة مالطة[٢] .

وفي عام ١٩٢٢م اصدرت الحكومة البريطانية اعلاناً بالإعتراف باستقلال مصر. أما السودان فقد جعل في محل التحفظ المطلق. ولما عاد سعد زغلول الى مصر نادى مرة أخرى بضرورة الاستقلال الكامل لمصر والسودان. اعتبرت الإدارة البريطانية نفسها الوصية على مصالح السودان ولم تتنازل عن السلطة التى اكتسبتها بموجب قانون الحكم الثنائى ، الأمر الذى جعل السودانيين يسخطون على الحكم البريطانى.

هذا وقد تأثر السودان بكل المراحل العصيبة التى مرت بها مصر في تلك الفترة ، إضافة إلى التأثير المباشر للحرب ولقد تركت الأحداث التى مرت بها مصر صدى عميقاً على السودان كقانون منع التجمهر في ١٩١٤/١٠/١٨م وإعلان الأحكام العرفية ، ووضع الرقابة على الصحف ، وإعلان الحماية البريطانية على مصر وكانت ثورة ١٩٢٤ وليداً شرعياً لثورة ١٩١٩م فبدأ الوعى الوطنى المنظم في السودان[٣] .

---

[١] التجانى يوسف بشير الشاعر السودانى (دراسة نقدية فى تجربته الشعرية) تأليف د. بدر الدين هاشم أبو القاسم – طبعة أولى – المطبعات العربية للتأليف والترجمة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م صفحتى ١١و ١٢

[٢] تاريخ الحركة الوطنية في السودان بروفسور محمد عمر بشير صفحات ٨٢-٨٤

[٣] التجانى يوسف بشير الشاعر السودانى صفحة ١٤

ففي عام ١٩١٩م خرج المصريون العاملون بالسكة حديد ببورتسودان من معسكراتهم وساروا في شوارع المدينة منادين باستقلال مصر فشاطرهم السودانيون بعطبرة . وتوالت المظاهرات في المدن السودانية تطالب باستقلال مصر . وقد دعا محمد أمين هديب في خطبة بجامع أمدرمان السودانيين بالاتحاد مع مصر لإجلاء البريطانيين[١]

ولما حاول الوفد المصرى السفر إلى بريطانيا لعرض قضيته على الحكومة أعلنت حالة الطوارئ في مصر وادخل الزعماء السجن وتم نفيهم إلى جزيرة مالطة . مما أدى إلى قيام المظاهرات . ثم إن بريطانيا أحست بقوة الوفد المصرى فدعته للتفاوض معها وفي المفاوضات أصر الوفد أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر فاعترضت بريطانيا واصرت أنه جزء منفصل على أسس الاتفاقية تحت الرعاية الإنجليزية فيجب ان يتطور بعيداً عن مصر.

في هذه الأثناءه تبلور الوعى الوطنى عند المثقفين السودانيين من خريجى كلية غردون فنشأت التنظيمات السرية ونشأت جمعية الاتحاد السودانى بام درمان عام ١٩٢٠ على يد عبيد حاج الأمين " ولم يلبث على عبد اللطيف ان اتفق مع عبيد حاج الأمين على ترك صفوف الجمعية وتأسيس جمعية اللواء الأبيض عام ١٩٢٣م ، والانتقال من الأقوال إلى الأفعال . وقد اتخذ النضال السياسى في البداية شكل الجمعيات الأدبية والمناشط الثقافية في ام درمان والحواضر السودانية ، تلقى فيها قصائد وأغانى وطنية" [٢]

أصبح السودانيون ينشدون شعر شوقى في الوعود الانجليزية :

اليوم أخلفت الوعود حكومة ****** كنا نظن عهودها الانجيلا

وهكذا " شهدت الأعوام من ١٩٢٠ الى ١٩٢٣ نمو الوعى السياسى في بلادنا وذلك أن المرحلة الأولى للدعاية السياسية عن طريق الأوراق والمنشورات تطورت وأضحت المرحلة الثانية هى مرحلة التنظيمات والجمعيات السياسية"[٣]

---

[1] تاريخ الحركة الوطنية في السودان محمد عمر بشير صفحة (٨٩)

٢ تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر – دراسة في التطورات والإتجاهات السياسية د. أحمد طربين (استاذ في كلية الآداب جامعة دمشق) مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٩٤م صفحة ٣٦٣ وتاريخ السودات الحديث–ضرار صالح ضرار–صفحة ٢٥١

٣ تاريخ الحركة الوطنية في السودان بروفسور محمد عمر بشير صفحة (٩٦)

ثم تمخضت عن الإتحاد السودانى جمعية اللواء الأبيض كما ذكرنا وبعد سجن قائدها على عبد اللطيف التهبت المظاهرات التى تنادى بسقوط الإنجليز . كما سارت مظاهرة طلبة الكلية الحربية المسلحين إلى منزل الزعيم على عبد اللطيف مطالبة بالإفراج عنه[١]

هذا السيل من المظاهرات جعل بريطانيا تحكم الحصار على حركة الوطنيين وتتدخل في إدارة البلاد.

في هذا الجو العاصف ارسل السودانيون مذكرة تطالب بحق تقرير المصير " رأى المؤتمر أن اشتراك السودان في الحرب بجانب الحلفاء لابد له من ثمن ولا أقل من أن يمنح استقلاله لتضحياته في جانب الديمقراطيات ، ومساندته لها. لذلك بعث المؤتمر بمذكرة في ٣ أبريل ١٩٤٢م إلى حاكم عام السودان مطالباً بإصدار تصريح مشترك في أقرب وقت من الحكومتين المصرية والبريطانية بإعطاء السودان بحدوده الجغرافية الكامله حق تقرير المصير"[٢]

ويتضح مما تقدم أن الصف الوطنى في السودان وقتذاك توزع على الكتل التالية:

١- كتلة التقليديين والموالين ، وهى تقف بجانب حكومة السودان ، وتناهض مصر وتدعو للحفاظ على الوضع القائم.
٢- كتلة المعتدلين ، وهى موالية للإنجليز ، ولكن تطالب بالإصلاح والتقدم التدريجى نحو الحكم الذاتى فالاستقلال.
٣- كتلة الوطنيين . وهى معادية للانكليز ، ومؤيدة لمصر والسودان ، وتطالب بالتعاون مع مصر للحصول على استقلال السودان.[٣]

وفي تطور لاحق للنضال السودانى ضد الاستعمار بشقيه الانجليزى والمصرى. أصبح واضحاً أن الحركة الوطنية في بلادنا دخلت مرحلة جديدة تتميز بالإصالة والصلابة معاً[٤] ونتيجة لذلك " شعرت مصر بأن القومية السودانية

---

١ تاريخ السودان الحديث – ضرار صالح ضرار – الدار السودانية للكتب ١٩٧٥ طبعة ثالثة .

٢ المرجع السابق – صفحة ٢٥١

3 تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر صفحة ٣٦٦

٤ تاريخ الحركة الوطنية في السودان صفحة ٢٢٥

قد نضجت بسرعة فائقة فأدركت أن السودان المستقل إنما هو درع لأرض الكنانة – فلما اتصلت بها حكومة الأزهرى معلنة رغبتها في أن ينال السودان استقلاله الكامل عن طريق التصويت فى داخل البرلمان أبدت الحكومة المصرية موافقتها على ذلك دون اللجوء إلى استفتاء عام كما نصت على ذلك إتفاقية سنة ١٩٥٣م. ولم تعترض الحكومة البريطانية على هذا الاجراء" [١]

" لذلك لم تجد بريطانيا بداً من الموافقة على ما تم الاتفاق عليه . وفي ١٢ فبراير ١٩٥٣ وقعت في القاهرة اتفاقية بين الحكومتين المصرية والبريطانية بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصرير للسودان" [٢].

" في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ انعقد البرلمان وصوت أعضاؤه في جانب استقلال السودان ، وفي ٢٢ ديسمبر أقر مجلس الشيوخ هذا القرار.

واتخذت الخطوات النهائية في قرار الاستقلال في صبيحة اليوم الأول من يناير ١٩٥٦ ، وفي احتفال مهيب أنزل العلمان البريطانى والمصرى ، كما رفع العلم السودانى كل من اسماعيل الأزهرى رئيس الحكومة ومحمد احمد محجوب زعيم المعارضة ، ودخل السودان في عهد جديد هو عهد الاستقلال)[٣]

ثانياً: الحياة الاجتماعية والثقافية

دان السودان بالعقيدة المسيحية قبل أن يعرف الاسلام ، فلما دخل الاسلام انتشر عن طريق التصوف ، إذ كان ملائماً للجميع . فأصبحت المفاهيم الدينية عنصر وئام بين رؤساء القبائل فتقدم الهبات والعطايا تشجيعاً لحفظة القرآن[٤]

أشاع اعتناق السودانيين للإسلام العديد من الصفات التى أدت إلى ترابط المجتمع وألفته كما أن السودان حمل هذا الدين الى القبائل المتبربرة التى جاءت بها الوثنية [٥] .

---

[١] تاريخ السودان الحديث ضرار صالح ضرار ص ٢٦٣

[٢] تاريخ الحركة الوطنية ص ٢٣٣

[٣] تاريخ السودان الحديث ضرار صالح ضرار ص ٢٦٤

[٤] جذور الوحدة الوطنية في السودان د. الطاهر محمد على الخرطوم ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ صفحة ٢٢

[5] انتشار الاسلام في القارة الإفريقية د. ابراهيم حسن مكتبة النهضة الاسلامية طبعة ثانية ١٩٦٣ ص ٥٩

كانت بداية التعليم في السودان التعليم المسجدى والخلاوى فكثير من المشايخ لهم خلاوى يعلمون فيها النشء. وكان الناس يأمنونهم اكثر من المدارس التى لم يعرفها المجتمع إلاّ بعد الفتح المصرى وكان الناس يعتقدون أن المدارس بؤر فساد لأنها جاءت على أيدى المبشرين [١]

ألقى العامل الدينى والتمسك به بظلاله على المجتمع السودانى فحفه بكثير من القيم والمثل الأصيلة التى يتسم بها السودانى فطرياً. فكانت العادات والتقاليد إسلامية المنشأ. فقد عرف السودانى بالكرم والشهامة والشجاعة والمروءة والتعاون إذ تماذج فيه الدم العربى بالدم الزنجى فأفضى إلى ذاتية خاصة وتركيبة متميزة. هذه الشخصية السودانية تاثرت بالحضارة الغربية في معنى ما تأثرت بالغزو البريطانى ، والأفكار والمفاهيم الثقافية التى كان يحملها.

فالتكيف الحضارى نتيجة طبيعية في البلاد بسبب الاستعمار الذى اثر على الثقافة. فإنه لما تعرف المثقفون على اللغه الإنجليزية اصبحت جزءاً من لغة التخاطب اليومى في بعض الكلمات والمصطلحات ، إلى جانب ذلك نجد أن المثقفين المتحضرين منهم تكيفوا مع الأسلوب الاجتماعى الجديد بحكم تقربهم من السلطة الحاكمة آنذاك . فدخلت بعض الأساليب الاجتماعية في طريقة حياتهم فمثلاً قسمت وجبات الطعام إلى ثلاث وجبات . وفى مواعيد ثابتة ودخلت الأطعمة الجيدة بأساليب حديثة للطهى والاهتمام بحفلات الشاى والكوكتيل [٢]

كذلك تأثر المجتمع السودانى بالحضارة الغربية إلى حد ما فى طريقة لبس الثياب ونوعيتها ونجد أن المثقفين يلبسون الملابس الافرنجية المعروفة [٣] وإن لم يتخلوا عن الزى الشعبى الذى يرتدونه في المناسبات والأعياد الوطنية وأيام الجمع.

ومن الناحية الصحية نجد أن الحكومة تبذل جهداً في سبيل إنشاء المستشفيات [٤] . كما يقوم الخيريون بإنشاء المنشآت الصحية ، ويعملون على توعية المواطنيين وإرشادهم إلى ضرورة الإعتناء بالصحة العامة ، وصحة الأطفال ، والمحافظة على سلامة البيئة.

---

[١] انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٦٧

[٢] الشعر الحديث في السودان ، عبده بدوى ، رسالة ماجستير المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب صفحة ٥٣٢

[٣] السودان بين عهدين – سعد ميخائيل – صفحة ٧٧

[٤] نفس المصدر صفحة ٧٤

أما من ناحية الأمن فأمر يدعو للإعجاب إن لم نقل للدهشة لتميزه بالهدوء والشمولية الأمنية في بلد مترامى الأطراف ، كبير المساحة ، متعدد الأجناس ، مختلف الطباع ، هجرات الناس إليه مفتوحة ، وهو يراقد الكثير من دول الجوار إلاّ أن أصالة الطباع السودانية المشبعة فطرياً بحب الدين لها الأثر الكبير في اسدال ستار من الراحة الأمنية رغم تعدد الأعراق واللغات والأديان في السودان.[١]

وللمجتمع السودانى سماته المميزة في العادات والتقاليد وسمو الأخلاق – الذى اتصف به السودانى – أما المرأة السودانية فقد تميزت بجمال طبيعى. واكتسبت الكثير من الاحترام لما تتسم به من عفة نفس ، وصون عرض ، وقلة خروج إلاّ في المناسبات الضرورية . أما دورها في المجتمع فقد اسهمت في الحياة الإجتماعية فكان لها دور واضح في الكفاح والعمل الوطنى وكان لها دور في حركة الشعر والأدب فشجعت الوطنى والجندى المناضل في ساحات الوغى مما أكسبها احترام الرجل وتقديره [٢]

ونسبة لقلة التعليم فقد ظهرت بعض العادات والتقاليد المعيبة في المجتمع السودانى منها الاعتقاد في الجن والسحر. واكثر الناس شهرة بذلك الفلاتة حيث اشتهروا بالرمل وضرب الودع ، وكشف الدفائن[٣]

ومن العادات ما أثر على جسد الإنسان وعلى بعض أعضائه مثل فصد جسم المرأة وقطع بعض الأجزاء ومن ذلك الوشم والختان والتشليخ.

" إن وشم اللثة والشفة السفلية في النساء عادة عامة في جميع قبائل السودان ماعدا بعض القبائل" [٤]

أما الختان فنوعان فرعونى وسنى والختان الفرعونى تمسكت به الأسرة السودانية بالرغم من جهود الحكومة للتخلص منه . أما عادة التشليخ فهى حديثة جاء بها العرب بعد دخولهم السودان بقصد المحافظة على نسلهم من الاختلاط بالنوبة والاندماج فيهم. وقد تميز العرب منذ القدم بشدة المحافظة على

---

[١] نفس المصدر صفحة ٧٤

[٢] انظر موت دنيا ص ٢٨ – ٢٩ سنة ١٩٨٣

[٣] انظر تاريخ الثقافة العربية في السودان ، عبد المجيد عابدين ، ص ١١٤

[٤] تاريخ الثقافة العربية في السودان – عبد المجيد عابدين ص ١٦٨

أنسابهم وعاداتهم بالرغم من جهود المثقفين المضنية إلاّ أن هذه العادات لا تزال إلى يومنا هذا.

كما اثرت الطبيعة والبيئة السودانية على السودان واكسبته العديد من الصفات مثل الصبر في تحمل المصاعب والشدائد التى تواجهه في مواقف الحياة وتقلباتها اليومية أعانه على ذلك تمسكه بمبادئ الدين الحنيف.

غنى عن القول أن نقول أن السودانى امتاز بعديد من الصفات الكريمة مثل الكرم ، وطيبة النفس ، وصفاء القريحة ، واحترام الجار ، والمروءة ، وصون العرض وغيرها مما يدل على أصالة الطبع السودانى ونقائه وسموه.

المطلب الثاني: شخصية ابن عليم:

الحمد لله أن تيسرت لى هذه المعلومات عن هذا الأديب الكبير.

اسمه ونسبه:

يقول أديبنا عن اسمه ونسبه [1]

" يقول العبد المفتقر إلى ربه الكريم عبد الله المعروف بأبى بكر بن محمد بن عثمان بن عليم تصغير علم المصرى الشرقاوى الحسينى نسباً "

مولده ونشأته: ١٨٨٧ - ١٩٣٥ [2]

ولد أديبنا الكبير أبوبكر محمد عليم بمحلة روح بمصر. كما أنه نشأ وترعرع بمدينة كسلا بشرق السودان " وأسرته تنحدر من أصول مصرية " [3] أما وفاته فقد كانت في أم درمان [4] بعد سن عالية قضاها في خدمة وزارة

---

[1] الدر المخزون صفحة ٣٨٤

[2] رواد الفكر السودانى - محجوب عمر باشرى صفحة ٣٥٠

[3] نفس المصدر ونفس الصفحة

[4] ديوان الشاطئ الصخرى - حسين منصور صفحة ٥٨

الحربية المصرية – وقد قضى فترة يعمل في جنوب بلاد النوبة بالسودان – وقد أصيب بالحمى التى جعلته يسخط على تلك البلاد جاء في مقدمة كتابه الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون [1] " هكذا كان شأنى وتلك عادتى حتى دعتنى صروف الزمان إلى الخدمة في البلاد الجنوبية من جبال النوبة بالسودان مرغماً بضرورة المعيشة فلم يمهلنى ذلك البلد المشئوم لرداءة مناخه إلاّ قليلاً حتى ألقانى في أحضان صخوره عليلاً أسمع نعيب الغربان وانظر أشخاص الغيلان في زى الإنسان فاعتورتنى الهموم وتكاثفت علىّ غيوم الغيوم لفراق الأهل والولد وعدم النصير والعضد وتمثلت فيما كنت اكتبه ساعة الإشتياق ولوعة الفراق بقول الشاعر:

إذا ما اشتقت يوماً أن أراكم ***** وحال البعد بينكم وبينى

بعثت لكم سواداً في بياض ***** لأبصركم بشئ مثل عينى

على أنى لم أجد صديقاً صدوقاً أو خلاً شفيقاً يخفف من لوعتى ويرثى لسوء حالى إلاّ ذلك الجليس الأنيس الذى وصفه الجاحظ بقوله نعم الأنيس لساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والوزير والتنزيل كتاب ملئ علماً وظرف'' حشى ظرفاً وإناء شحن مزاحاً وجداً إن شئت كان أبين من سحبان وائل وإن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت ضحكت من نوادره وإن شئت عجبت من غرائب فرائده.

لا يعجب السامعون من صفتى *****كذلك الثلج بارد'' حار''

ولست مبالغاً إذا قلت إننى قطعت أيام محنتى والآم مرضتى في المطالعة صباح ومساء ولولا تسلية نفسى بها لما عددت اليوم في الأحياء.

وما النفس إلاّ حيث يجعلها الفتى **** فإن أهملت تاقت وإلا تسلّت

استغفر الله إذ العمر محدود وحبل الأمل ممدود فقد أتاح الله عودتى إلى الخرطوم محمولاً على عربة يجرها ثوران ضخمان يمخضانى مخض الزبدة ويضيفان الى شدتى شدة إلى أن وصلت إلى التونجة ومنها ركبت النيل إلى الخرطوم والله يخلق من التعب راحة ومن الراحة تعباً فتذكرت الحديث الشريف سافروا مرضى يشفيكم الله فأخذت في الإبلال بعد أن كنت على شفا ومنّ الله علىّ بإتمام الشفاء.

---

[1] الدر المخزون صفحة (٣)

وضاقت خطة'' فخلصت منها **** خلوص الماء من نسج الفِدام

وقد حصلت على عطلة (اجازة) انقطعت فيها عن الأشغال ثلاثة أشهر متوالية لترويح النفس من عناء الأمس شاكراً الله على ما أولانى من نعمة العافية وخلاصى من الضيق إلى السعة ".

كذلك عمل الأديب عليم بعد خروجه إلى المعاش من وزارة الحربية المصرية في خدمة صاحبة الجلالة الصحافة فتولى تحرير جريدة الحضارة . يقول الأديب الأستاذ حسين منصور [1] " وعلى اثر مشادة حادة انفصل الأستاذ القبانى من الجريدة ، فتولى أمرها صديقنا المرحوم ابوبكر أفندى عليم بعد تقاعده من خدمة الحكومة." ثم يقول عنه " وكانت روحه الأدبية روحاً رياضية بعيدة عن الحقد والحسد والدعاوى الكاذبة".

وعن ارتقائه بالجريدة يقول الأديب حسين منصور " استلم الأستاذ عليم تلك الجريدة الهزيلة ١٩٣١م فسماها " ملتقى النهرين " وارتفع بمستواها الأدبى ارتفاعاً محسوساً ولكن ما لبث أن وافته المنية ".

جهوده الأدبية :

(١) راجع شوامخ الأدب العربى ، واكتنز الروائع ، وعمد على تفسيرها وشرحها ومقارنتها.

(٢) كان يكتب في حضارة السودان ، وينشر بعض التصحيحات في جريدة الأهرام.

(٣) حقق بعض رسائل ابى العلاء المعرى ، ونقد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين .

(٤) نظر في كتاب زكى مبارك ومدامع العشاق ، ونقد كثيراً من مختاراته.

(٥) إن إعجابه وافتتانه باللغه العربيّة حدا به أن يكون عالماً في فقهها ومتنها، فهو يتلقى المترادفات ويحذف منها ما يراه غير مناسب ومتفق.

(٦) كاتب الأستاذ وحيد الأيوبى ، ومحمد النشاشيبى الإبراهيمى في الجزائر والألونسى في بغداد ، ونقد معجم فيشر ، المستشرق الألمانى ، وأثار حملة

---

[1] ديوان الشاطئ الصخرى – حسين منصور – صفحة ١٠٨

على المستشرق الفرنسى مانسيون لمقارنته الألفاظ العربية باللغات السامية ، وأبان الفروق في ذلك.

(٧) التف حوله حواريون يقرأون عليه كتب الأدب كالبيان والتبيين ، وجمهرة أشعار العرب ، والعقد الفريد ، وأدب الكاتب ، واللآلىء لابن على القالى ، ولم يعن في تدريسه هذه الكتب بالنحو والصرف والبلاغة لأنه أدرك أن هذه الفنون المستحدثة في اللغة العربية لا تنمى ملكة الأديب بل تقف به عند القشور.

أسلوبه وبعض آرائه:

كان أسلوبه مفخماً بالألفاظ العربية ، والفواصل، و الوقفات ، تشبه في أسلوبه بكتاب العربية في القرن الرابع الهجرى .[1] ولكن ذوقه اختلف عن ذوق اللغوى الباحث، لأنه كان أديباً مطبوعاً ، وحافظاً

- كان يعجب بأسلوب محمد عبد القادر حمزة ، ومحمد توفيق دياب، وقد استهجن اسلوب جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمه ، لما تخلله من عجمة وغموض.
- لم يجد في الشعراء المحدثين غير شاعرين هما محمود سامى البارودى ، ،احمد شوقى . أنكر الشعر على كثير من الشعراء السودانيين المعاصرين لأنهم لم يلتزموا بسمت الشعر العربى.
- أعجب بكتابين هما عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعى ، والنثر الفنى للدكتور زكى مبارك .
- كان كاتبه الفضل في الأدب العربى هو ابوحيان التوحيدى ، وقد نقد الجاحظ لاسترساله واعتراضه ، وشك في رسائل ابن المقفع ، وأيقن أنها نحلت له ، فهو لم يكتبها.
- نشبت بينه وبين الشيخ الطيب السراج مساجلات في أصول الشعر العربى ، والسراج عمل على اتخاذ بيت الشعر كشاهد لغوى ولكن ابن عليم نظر لبيت الشعر لجماله وروعته ، واختلفت السبل بين السراج وبين عليم ، ولكنها لم تصل للقطيعة.

---

[1] رواد الفكر السودانى – محجوب عمر باشرى – صفحة ٣٥١

- كان يرى أن اللغه الصوفية ليست غريبة على متن اللغة العربية ، بل هى مستمدة من المعجم العربى ، فكلمة التوهم . والجذب والوصول ، والوجد والبصر والبصيرة لها مدلولاتها ومعانيها المحددة في اللغه العربية ، فليست هناك لغه خاصة منفصلة عن اللغة الأم في اللغة العربية ، فتفسير الكلمات من مدلولها الواقعى هو المشكلة في فهم اللغة العربية ، وميزة اللغه العربية أنها لغة محددة ، وإن وجدت فيها المترادفات ، فالسيف له اكثر من خمسين اسما
- كل اسم يختلف مع المدلول الذي وصف به ، والأسد له مائه اسم ، ليس هو الأسد الذى نعرفه ، فالحضارة العربية لم تستفد من لغة البداوة ، ولم تعرف الفرق بين الأسماء . وله نظرية غربية في أن الأسماء هى في الفصل مستندة من الأفعال ، فالاسم هو أصل الكلمة في العربية .
- قام بشرح ضاف للرسالة الجدية لبحترى المغرب ابن زيدون. – موضوع بحثى هذا – . وكما يقول عنه حسين منصور[1] " توفى وهو يشرح أساس البلاغة للزمخشرى ، وقد اطلعت على هذا الشرح ".

شعره :

كان شعره نبعاً من الوطنية والحرية ، وقد أحكم صوره ، ونقح خيالاته ، وراجع رويه وأوزانه ، وحذف من قصائده كل ما كان يراه حشواً.[2]

آراء العلماء والأدباء عنه:

يقول عنه الأستاذ محمد عبد الرحيم [3]

" الاّ رحم الله عليماً " فلقد كان الشاعر الذي يعرف فنون القريض على أوضح مذاهب ، مستهدياً بما ثقف من صور الشعر والنثر في عصورهما الزاهرة متوفراً على دراسة الأدب العربى ورجاله حتى أوجد بينه وبينهم الصلة في هذا البيان وهذه القوة.

ويقول عنه الأديب حسين منصور [1]

---

[1] ديوان الشاطئ الصخرى – حسين منصور – صفحة (٥٨)

[2] رواد الفكر السودانى – محجوب عمر باشرى – صفحة ٣٥٢

[3] نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والإجتماع – الجزء الأول صفحة ١٥٧

" وكان رحمه الله واسع الإطلاع متمكناً في اللغة وشاعراً حسن الديباجه "

ولما فرغ أديبنا ابن عليم من تأليف شرحه للرسالة الجدية أهدى نسخاً منها لبعض العلماء والأدباء والكتاب فجاءت تقاريظ شتى أثبت بعضاً منها:

رأى الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتى السودان وكان قد توفى قبل طبع الكتاب يقول [٢] " أما بعد فقد سرحت طرفى في الشرح المسمى بالدر المخزون على رسالة ابن زيدون للأديب الكاتب الماهر المصقع والناثر البارع الواضح المهيع الشيخ ابى بكر بن محمد بن عليم نجاه الله تعالى من كل ضيم فوجدته شرحاً وافياً واضحاً جامعاً للآداب ولسيرة الأدباء " ثم يقول وقد قلت شعراً :

زالت شواغل قلب كان محزوناً **** لما رأيت كتاب الدر مخزوناً
فحين سرحت طرفى في محاسنه **** در نفيس بجيد ظل مكنونا
فذاك شرح ابى بكر العليمى على **** رسالة الفاضل الحبر ابن زيدونا
لما تصفحته ثافنت[٣] من سبقوا **** نظماً ونثراً وآداباً وتبيينا
شرح به غدر التاريخ واضحة **** وكل فن به جاد المجيدونا
شرح حوى جملاً من كل شاردة **** فكان فلكا بكل العلم مشحونا
فهو الوسيط بلا طول ولا قصر **** تراه في سائر الحالات موزونا
فكان عقداً فردياً لا نظير له **** وكان كنزاً عن الأبصار مدفونا
أحسنت يا ابن عليم في تنمقه **** فزادك الله إحساناً وتحسيناً
أودعت شرحك هذا كل نادرة **** وزنته بعظات الدهر تزيينا
جلبت فيه نقول السابقين وما **** ألوت جهداً وما قصرت تدوينا
دامت فضائلك اللاتى كملت بها **** ودام شرحك مقبولاً ومخزوناً

وكتب اليه الشاعر صالح أفندى بطرس من موظفى المصلحة القضائية السودانية بقصيدة يقول فيها[٤]

إن كنت لا ئمتى بآية ما **** عطلت جيدك من حلى الشذر

---

[١] ديوان الشاطئ الصخرى – حسين منصور – صفحة (٥٨)

[٢] الدر المخزون صفحة ٣٨٦.

[٣] جالست ولا زمت

[٤] الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ٣٨٧

هاتى فزينى العطل واستغنى **** بعقود (در) من أبى بكـر
واستعرض (المخزون) منه ترى **** ما شئت من نظـم ومن نثر
قد رام في الخمسين[1] أن يجرى **** فشأى[2] وأحرز نابه الذكـر
واستوجب المدح المضاعف ما **** اوتيته من جـد ومن صـ بر
وسعى إلى تلك العجوز[3] وقد **** شابت واخفتهـا يد الدهـر
ما زال يرتاد الثمين لهـا **** من خير زخرف صاغـه الشعر
ويحوك من وشى البلاغة ما **** ينسى الثياب السـندس الخضر
حتى أعاد لها زمان صبا **** ولى بقـوة ذلك السـحر
فغدت تجر الذيل من مرح **** تروى حكاية سـالف العصـر
حتى إذا وافتك تخطر في **** بردى فتـاة غضـة العمـر
ورأيتها أهلاً لما يرضى **** طبـع (الأديب) مددت بالعشـر

كما كتب إليه الشيخ محمد أمين قراعه السيوطى المصرى قاضى قضاة السودان يقول [4] " ولكنى لم اتمكن إلاّ من إلقاء نظرة بسيطة تيسر لى بها معرفة أنك بذلت جهداً مشكوراً في سبيل شرح هذه الرسالة البديعة والإتيان بالقصص التى يشير إليها صاحبها على الوجه الأكمل وإنك بالغت في أن تكون عباراتك له رقيقة رقة الرسالة التى تصديت لشرحها مع عدم تقصير في إظهار ما استتر في زواياها فصدق المثل (وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه).

كما كتب إليه الشيخ ابو القاسم بن احمد بن هاشم شيخ علماء السودان وكان مما قال في كتابه [5] " ولعمر الحق لقد كان ذلك المؤلف كنزاً مخبوءاً تحت طيلسان مهنته ولم يعرف إلاّ بعد ابرازه لدره المخزون وهكذا الرجال تعرف بأعمالهم ولعل في تسميته لشرحه بذلك تلميحاً لهذا المعنى.

وقد ذيلت تقريظى لهذا الشرح بعد سبره بهذه الأبيات فقلت:

---

[1] يريد بالخمسين سن عمر الشارح

[2] شأى سبق

[3] العجوز الرسالة

[4] المصدر نفسه صفحة ٣٨٨

[5] المصدر نفسه صفحة ٣٩٠

لله در أبى بكر وفطنته **** قد نظم الدر في عقد من الكلم
شرحاً بديعاً مفيداً ثم ألبسه **** رسالة لابن زيدون فتى القلم
أجاد في شرحها شرحاً أبان به **** ما قد حوته من التلميح والحكم
فالزم قراءته يغنيك عن كتب **** شتى واعرض عن العذال في صمم
دللتنا يا أبابكر العليمى على **** ما فى أديمك من فضل ومن همم
وجاء شرحك عنواناً وتذكرة **** على انفرادك بالآداب والشمم
أرقتك همتك الشما لشرح كتا **** ب لا يدانيك غير الحاذق الفهم
أوضحت مشكله بينت مجمله **** بسطت تاريخ ما يحوى من الأمم
جوزيت عنا بنى السودان قاطبة **** خيراً وكوفئت بالإحسان والنعم
لك الثنا ولك الشكر الجزيل على **** جميل صنعك فاسلم للعلى ودم

كما جاءه كتاب من المستشرق الكبير المستر س. هليلسون مدرس اللغات والتاريخ بالقسم العالى بكلية غردون باللغه الانجليزية نجتزئ من ترجمته [1]

" أما الرسالة التى أزجى بها إلى ابن جهور وهى التى بين أيدينا فقد طبعت عام ١٨٨٩ ميلادية مع ترجمتها اللاتينية بقلم بستهورن ولكنها لم تصب على ما أظن إلى اليوم شرحاً وافياً من العربية ولهذا كان من بواعث السرور أن تناولها عبد الله ابوبكر أفندى عليم بالشرح الوافى مميطاً القناع عن شواهدها التاريخية ومبيناً ما غمض من معانيها اللغوية لسعة اطلاعه وغزارة مادته وهو أهل لهذا العمل الشاق في هذا المبحث الخطير".

كما وردته أبيات من شاعر العرب الكبير الشيخ فؤاد الخطيب يقول فيها [2]

قل يا أبابكر فأنت مصدق **** ملك النفوس بيانك المتدفق
واشرح من الآدب العتيق خريدة **** عصماء يشرق نورها المتألق
أوحى ابن زيدون إليك بسره **** فشرحت من مكنونه ما يغلق
وجعلت من تلك الرسالة جنةً **** غنّاءَ تأرج بالعبير وتعبقُ
أنضرتها ورويت غرس بيانها **** فتكاد أوراق الرسالة تورق

[1] الدر المخزون صفحة ٣٩٢
[2] الدر المخزون ٣٩٢

وجلوت من ألفاظها فكأنما **** في كل لفظ عبرة تترقرق
وذكرت شجو حديثها فكأنما **** في كل معنى منه قلب يخفق
جددت للأدب القديم عهوده **** ومضيت في مضماره لا تلحق
لله درك شارحاً ومحققاً **** ما ان يفوقك شارح ومحقق
فاسلم وعش كنز البيان فكلنا **** طرب'' إلى (مخزون درك) شيق

من شعره:

قال رحمه الله ينصح إلى الشباب بالانصراف عن التعلق بأعمال الحكومة ويشير إليهم بطرق ابواب الأعمال الحرة[1]

الجد في القول حلى الشاعر **** والماجن الخالع كالفاجر
مالى وللتشبيب في غادة **** أو فى عقار الكرمة العاقر
هل الهوى إلاّ جنون جنى **** على نفيس النفس والخاطر
وهل جميل في هوى بثنة **** إلاّ كمجنون بنى عامر
كلاهما ضل سبيل الهدى **** وعاش كالمغبون والحاسر
عدمت نفساً أخطأت رشدها **** تبكى دروس الطلل والغابر
وتعتلى متن الكميت الذى **** يرمى بها في التيه والغامر
بل مركبى صهوة أوج العلى **** مرتقياً بالنسب الفاخر
وشيمتى الصدق وبذل الندى **** وهمتى أمضى من الباتر
وما انثنى عودى لدى غامز **** أو هصرت غصنى يد الهاصر
أبناء قومى كلكم عدتى **** لعاً لكم من كبوة العاثر
مالى أرى أكثركم تائباً **** عن الطريق الجدد الظاهر
جدوا كاسلاف كرام مضت **** أيامهم كالقمر الباهر
وعلموا الأبناء ما يرفع الـ **** ـذكرى لهذا الوطن العامر
فالقطر محتاج لأيد تقيم **** الوزن في المعمور والبائر
من صادق النهضة ذى ميعة **** والحاذق الصنعة والكافر

[1] نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع بقلم محمد عبد الرحيم – الجزء الأول – صفحة (١٥٧)

من لم تعن همته نفسه **** فما له في العون من ناصر

****

وبزرة التعليم للمبتدى **** وسيلة لا غاية البازر

وإنما الغاية ما يجتنيه **** الفكر من يانعه الناضر

ترى ثراء المال في زارع **** أو متقن الصنعة أو تاجر

ولم تجد مستخدماً مثرياً **** ما بين مأمور إلى آمر

إلاّ كفاف العيش في زبرج **** كزبرج الحباحب الطائر

****

خير لهذا النشء أن يعدلوا **** عن خدمة ترهق بالناظر

إلى طلاب العيش في غيرها **** بهمة المجتهد الساهر

فالحر لا يخشى عناء السرى **** كالسيل في القيعان والغائر

من يستطع نفعاً ويبخل به **** فذكره كالمربع الداثر

من يشتر الحمد بمقرونه **** ينل وفير الربح من شاكر

****

وقال رحمه الله:

في وصف خزان سنار

الا هل رأت عيناك مكوار بعد ما **** اقامت يد الإصلاح في نهره السدا

كأن سليمان الحكيم أقامه **** بتسخير جن يسردون الصفا سردا

بناء يضل الفكر في تيه كنهه **** كطود رسا لم تره عنَ له ندا

يصادم تياراً يهد إذا طغت **** اواذيه فوق اليم الذرى هدا

كأن دوى الموج مرتطماً به **** دوى ثقال السحب اذا أرسلت رعدا

كأن مرور الماء بين ثقوبه **** مرور سهام لا تكل ولا تهدا

يظل زمام النيل طوع مراده **** يكلفه جزراً ويرسله مدا

وعاج نمير ينساب عنوة **** على المرج حتى جلل الهضب والوهدا

وصير من أرض الجزيرة روضة **** تخال بساطاً سندسياً بها امتدا

كأن نسيم الروض باكره الندى **** اثار على أرجائها المسك والندا

كأن مكاء الطير بين جناها **** حديث العذارى أحكمت صوغه نشدا
لقد عد فرعون الكنانة نفسه **** الها لأن النيل من تحته انقدا
ولوعاش حتى شاهد اليوم ما أرى **** ما أثمر الخزان ازرى بما عدا
****

لكم يا بنى السودان وجهت دعوتى **** لأكشف من أسياف همتكم غمدا
فأنتم نواة الحى انبتها الثرى **** ثرى أرضكم لا غرو ان اثمرت سعدا
اثيروا خبئ الرزق بالحرث وادأبوا **** على الزرع إن الأرض قد مهدت مهدا
فإن الثراء الحل في باطن الثرى **** مقيم ولكن النجاح لمن كدا
ولا يشغلن حب التوظف بالكم **** فلا خير في رزق يقيدكم قيدا
وفي ساحة الكسب الجزيل مناهل **** عذابٍ لحر مطلق يبذل الجهد
نظيرك من تستغن عن فضل ماله **** عفافاً فإن تحتج إليه تكن عبدا
وقد تجتنى ممن يعاديك خبرة **** تجنبك الفخ الذى مده رصدا
وتدرك بالحلم الأمور موفقاً **** وتخطئ بالحمق الحزامة والرشدا
ومن جانب الهزل استفاد كرامة **** لأن فضول القول شأن الفتى الجعدا
وخازن مالٍ لم يصن عرضه به **** تخطفه الوراث إن وسدا اللحدا
ومن سالم الناس اتقى شر ختلهم **** وعاش سليم الصدر من ترك الحقدا

وقال في رثاء الشيخ محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر المجذوب:

أمطرتنى الهموم طلاً ووبلاً **** وسقتنى الأرزاء نهلا وعلا
ورأيت الخطوب عمداً تباغى **** فهى لم تبق لى رفيقاً وخلا
لا رعى الله عهدها افقدتنى **** سلفى الطاهرين فرعا واصلا
سادة العالمين فضلاً ونبلا **** وليوث الحمى إذا البأس حلا
فرعوا النجوم مظهراً وعلوا **** وأقاموا للدين فرضاً ونفلا
لم تحد عنهم المنايا فراحوا **** وكذا الدهر يوسع الكون تبلا
عجباً للأيام كيف أطمأنوا **** اتراهم هن المنية أم لا
فإذا ما سألت شيخاً تفانى **** هل سئمت البقا بها قال كلا
هو حب الحياة أحدث ضعفاً **** في نفوس الورى وأورث ذلا

وإذا الموت لا يوقى بدفع **** كان جبناً خوف الممات وجهلا
أناوحدى الشجاع ودعت نفس **** فإذا الموت جاء اهلاً وسهلا
لا أريد البقاء في ظل عيشٍ **** زائل قد مللت بقياى ملا
كيف تهنا لى الحياة وشيخى **** وصفى المجذوب غاب وولى
لحق الطاهر السجايا أباه **** لم يدنس بالشين ردنا وذيلا
كان بحر العلوم في كل فرع **** وقديراً إن اشكل الأمر جلى
وتقيا كجده الأكبر المجذوب **** ذى الجاه والمقام المعلى
واديباً وشاعراً لا يجارى **** ينثر اللفظ فوه در تلألا
كنت تلميذه ومنه تثقفت **** ومن بحره تناولت سحلا
وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلاّ الأقلا
فرق البين بيننا وتمادى **** زمن في سعيره اتقلى
طالما رضت للزيادة عنسى **** جاهداً ان اراه كى أتملا
لكن الدهر حاكم **** سل في منتوى العزيمة نصلا
بت حبل الرجاء من قبل أن القاه **** يا سوءتا لدهرى وويلا

****

اى حبيب فدتك نفسى انى **** لم أزل حافظا لودك الا
ولئن صار للبلى جسمك الطهر **** فليست آثارك البيض تبلى
هل درى قبرك الموارى بان قد **** ضم في دفتيه علما ونبلا
قد بكتك العيون حزناً ووجدا **** مرسلات بالدمع تمطر سيلا
هاك منى الرثاء عليه فكر **** شارد نال منه فقدك نيلا
ولو أن التوفيق أسعف نطقى **** لرثى الشيخ كابى أرس وأجلى
فسقى الغيث بالتوالى ضريحاً **** ضم منك العلا وابقاه خضلا

****

من شيوخه:

ذكر أديبنا الكبير أنه تتلمذ على يدى الشيخ محمد الطاهر المجذوب إذ يقول عند رثائه [1]

كيف تهنألى الحياة وشيخى **** وصفى المجذوب غاب وولى
لحق الطاهر السجايا أباه **** لم يدنس بالشين ردنا ذيلا
كان بحر العلوم في كل فرع **** وقديراً إن أشكل الأمر جلى
وتقياً كجده الأكبر المجذوب **** ذى الجاه والمقام المعلى
وأديباً وشاعراً لا يجارى ***** نشر اللفظ فوه در تلألأ
كنت تلميذه ومنه تثقفت **** ومن بحره تناولت سجلا
وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلاّ الأقلا

والشيخ محمد الطاهر المجذوب ولد بضاحية سواكن في ذى القعدة ١٢٥٧هـ : ١٨٤٢م. تعلم على يد والده الفقيه الطاهر . وتلقى فقه الشافعية والعلوم العقلية عن الشيخ محمد مدنى السواكنى . وحج سنة ١٢٩٧ هـ[2]

من رثاه ؟

(أ) رثاه الشاعر التجانى يوسف بشير بقصيدة عصماء يقول فيها [3]

إلى بكر محمد عليم

رثاء فقيد الأدب والصحافة

اسف مرّ وآهات أمر **** والتياع ملأ القلب شرر
وعصىّ مائر منهمر **** يتدلى زمراً بعد زمر
كم عظيم مشت الدنيا به **** في جلال ومشى فيه القدر
زهت الغبراء من وطأته **** ونهى ما شاء فيها وأمر
مثل الكون بناء شامخ **** يتداعى حجراً بعد حجر

---

[1] نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع بقلم محمد عبد الرحيم – الجزء الأول صفحة ١٦١

[2] المصدر نفسه صفحة ٩٣

[3] ديوان اشراقة للتجانى يوسف بشير – بيروت لبنان – الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م صفحة (٩٤)

****

فإذا ما انقض عن آخره **** قضى الأمر عليه فاندثر
انظر الأيام في دورتها **** نظر الثاقب ، رأياً وفكر
واعرض الأمس وأمسا قبله **** وتقلب بين أحضان العصر
تجد الأيام في كثرتها **** اخوات بعضها شبه الأخر
ليس إلاّ صورة واحدة **** كررت حتى تراءت كالصور
هى كف الدهر والدهر بها **** يوسع الغادة أخذاً بالطرر
اسرعت دون "عليم" فمضى **** مسرعاً دون سميكات الستر
لفه الموت على مدرجة **** ورماه الدهر في كف الغير
خفقت أفئدة واضطربت **** يا لهول اليوم اكباد البشر
كل من قيل له(مات) انزوى **** يعصر القلب بكف من حجر
لا يقوم الدمع بالدمع له **** كيفما انساب ومهما ينهمر
أمة تفقد فيه امة **** وبلاد ثكلت منه الابر
شاعر الفصحى وما عودها **** هذر القول وما عم الهذر
ينفث السحر ومن منطقه **** طالما اهتزت متون وغدر
وصحافى مشينا خلفه **** واقتفينا في المواضيع الاثر
كتم كالآى في مقطعها **** صعبها سهل ومبغاها عسر
احكمت رصفاً ومعنى مثلما **** احكم البناء مصقول الجدر
تتراءى كشعاع مدمن **** قدرة الله على سطح الزبر
إنما موت "عليم" عظة **** ليس كل الموت للناس عبر

****

أيها الثاوى على بلقعة **** والموارى بين هاتيك الحفر
أين صوت سامه الموت البلى **** ويراع بين كفيك عثر؟
جره الموت على شقته **** فتثنى وعلى الأخرى انكسر
كنت يابن النفر البيض فتى **** جاء للكون به أى نفر
عزمات دونها برق الدجى **** ومضاء دونه لمح البصر
لك آثار النبيين الألى **** ملأوا العالم ذكرى وأثر

أنت سباق ولكن للعلى **** أنت جبار ولكن في الفكر
أنت باق خالد مدكر **** حيث لا تبقي مع الموت الذكر
رفعته الناس في هاماتهم **** واعتلى عرش حياء وخفر
عبثاً حاول أن يخفضه **** مقزع القول ووضاع السير
كلما مد يداً رعاشة **** نحو ذاك العرض شاكتها الابر
إن أحرى الناس بالخلد الألى **** وهبوا العلم شباباً وكبر
اخلصوا السعى له واستنزفوا **** كل ما في ذرعهم من مصطبر
****

قم "عليم " انظر نفاثات الأسى **** كيف تشتق ورواً وصدر
توسع الأفكار قتلا كلما **** حال بعض الشئ منها وخطر
هذه عبرة خل صادق **** في وداد والأخلاء غدر
عصر القلب ملياً فأنى **** بالتى تعثر في ثوب الحصر
كم وفى لك لا يلوى على **** زخرف السلوى ويأبى ان يسر
يلبس الليل وأما سطعت **** غرة الفجر فسوداء الحبر
يا لودى لك ما أعجبه **** من وداد لم يطل حتى قصر
شد ما كان رهيباً إنما **** طوى اليوم وبالأمس نشر
أنت في ذمة من صاغ الورى **** وتعالى عن ذهول وخور
نحن أودعناك في جوف الثرى **** ودفناك على ظهر القمر
فوداعاً للمعالى للنهى **** للغوالى من قوافيك الغرر
الوداع اللانهائى وفى **** كنف الله وفى حفظ المقر

(ب) كما رثاه أيضاً الشاعر حسين منصور بقصيدة يقول فيها
(كانت وفاته في عيد الأضحى)

أفى العيد تنعى الناعيات أبابكر **** ويسخر فيه الدهر ما شاء من سخر
فيفجعنا في الألمعية والحجى **** وسحر القوافى وهو ناهيك من سحر
ويفجعنا في جملة من فضائل **** تحلت بها نفس الأديب أبى بكر
كثير من الأيام والله فعلة **** أطاحت بها عندى بأفعالها الكثر

وقد كنت عيداً يوم ألقاك عن عفر
وصيّرت نحو العيد فينا محققاً **** فكل فؤاد فوقه مدية النحـر
قسوت علينا حين رحت مبادرا ً**** وما كنت ذا ظلم وما كنت ذا جور
فلا نظرة تحى بها لى ذكرة **** ولا كلمة أشفى بها غلة الصدر
فداك أناس لا تزال قلوبهم **** عليك -كما كانت -كمتقد الجمر
فداك إذا كان الفدا لك نافع **** حياتى ! فما لى غير نفس من وفر
ولوكان هذا الموت يدفعه امرؤ **** ولو خطة كانت سوى خطة الصبر
لضاربت جيش الموت حتى أفله **** وأنفذ في أحشاء عسكره المجر
وبصدمة منى فتى ذو عزيمة **** كليث شرى[1] جهم المحيّا أبى أجر[2]

نعاء أبى بكر إلى كل كاتب **** وكل عليم بالنظيم وبالنثر
وكل محب للنوابغ معجب **** بما خلدوه في الطروس على الدهر
نعاء أبى بكـر إلى كل سيد **** كريم السجايا طيب الفرع والنحر
فماكان مجهولاً ولكن مشهراً **** كما سطعت في الليل دائرة البدر
وما أمسه إلاّ كيوم حليمة **** وما كان يوم من حليمة بالسر
فكم جال في الآداب جولة باحث **** وصال على ثرثارة وأخى هـذر
وغاص كما غاص الأوائل قبله **** فاض إلينا باللآلئ و " الـدر"[3]
ورامى عن الأداب أطيش فتية **** فصادف منهم سعيه ليلة النحر
يدافع عن خير اللغات ولا يرى **** قريناً له في ذلك العـدو الدّثر
فما فيهم كفء ولا فيهم فتى **** أصابته في قسم الحجى نعمة الفكر
فلله شيخ عاش للعلم وحده **** وأفنى على أبحاثه زهرة العمـر
وناضل عن هذا اللسان مجاهداً **** جهاد شهيد خالـد طيب الذكر
أبى أن يرى في القاعدين فلم يزل **** يناضل حتى زل في حفرة القبر
فألقى عن الأكتاف سنين حجّة **** تلألأ' من طهر على مفرق العصر
وما مات حتى صار نسراً بشاهق **** ومن ذا الذى يرقى الى مربأ النسر

[1] طريق
[2] أجر: جمع جرو وهو الشبل
[3] اشارة إلى كتاب الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون

رثيتك لما أن عصى الدمع مقلتى **** وجاش فؤاد قدّ من أصلب الصخر
أبرّد بالشعر الرصين غليله **** ليهدا ! فلا يقضى على ولا يزرى
فما كان قلبى وهو يطّلب العلا **** زماناً! ويبغى عيشة النهى والأمر
ويهزأ في هذه الحيا ة بكل ما **** يمر به منها من الحلو والمر
ليجزع من فقدٍ وإن كان مؤلماً **** ويفرق من غدرات دهر أخى غدر
ولما أبت عينى سماحاً بدمعها **** بكيتك يا خير الإخلاء بالشعر
وما جئت استقصى خلالك إنها **** خلال وافضال تجل عن الحصر
عليك سلام من أخ شدّ ازره **** يذبّك عنه في السّرار وفى الجهر

كل اسم يختلف مع المدلول الذي وصف به ، والأسد له مائه اسم ، ليس هو الأسد الذى نعرفه ، فالحضارة العربية لم تستفد من لغة البداوة ، ولم تعرف الفرق بين الأسماء . وله نظرية غربية في أن الأسماء هى في الفصل مستندة من الأفعال ، فالاسم هو أصل الكلمة في العربية .

- قام بشرح ضاف للرسالة الجدية لبحترى المغرب ابن زيدون موضوع بحثى هذا. كما أنه كما يقول حسين منصور[1] " توفى وهو يشرح أساس البلاغة للزمخشرى ، وقد اطلعت على هذا الشرح ".

شعره :

كان شعره نبعاً من الوطنية والحرية ، وقد أحكم صوره ، ونقح خيالاته ، وراجع رويه وأوزانه ، وحذف من قصائده كل ما كان يراه حشواً.[2]

آراء العلماء والأدباء عنه:

يقول عنه الأستاذ محمد عبد الرحيم [3]

" الآ رحم الله عليماً " فلقد كان الشاعر الذي يعرف فنون القريض على أوضح مذاهب ، مستهدياً بما ثقف من صور الشعر والنثر في عصورهما الزاهرة متوفراً على دراسة الأدب العربى ورجاله حتى أوجد بينه وبينهم الصلة في هذا البيان وهذه القوة.

ويقول عنه الأديب حسين منصور [4]

" وكان رحمه الله واسع الإطلاع متمكناً في اللغة وشاعراً حسن الديباجه "

ولما فرغ أديبنا ابن عليم من تأليف شرحه للرسالة الجدية أهدى نسخاً منها لبعض العلماء والأدباء والكتاب فجاءت تقاريظ شتى أثبت بعضاً منها:

---

[1] ديوان الشاطئ الصخرى – حسين منصور – صفحة (٥٨)

[2] رواد الفكر السودانى - محجوب عمر باشرى -صفحة ٣٥٢

[3] نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والإجتماع – الجزء الأول صفحة ١٥٧

[4] ديوان الشاطئ الصخرى – حسين منصور – صفحة (٥٨)

رأى الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتى السودان وكان قد توفى قبل طبع الكتاب يقول [1] " أما بعد فقد سرحت طرفى في الشرح المسمى بالدر المخزون على رسالة ابن زيدون للأديب الكاتب الماهر المصقع والناثر البارع الواضح المهيع الشيخ ابى بكر بن محمد بن عليم نجاه الله تعالى من كل ضيم فوجدته شرحاً وافياً واضحاً جامعاً للآداب ولسيرة الأدباء " ثم يقول وقد قلت شعراً :

زالت شواغل قلب كان محزوناً **** لما رأيت كتاب الدر مخزوناً
فحين سرحت طرفى في محاسنه **** در نفيس بجيد ظل مكنونا
فذاك شرح ابى بكر العليمى على **** رسالة الفاضل الحبر ابن زيدونا
لما تصفحته ثافنت[2] من سبقوا **** نظماً ونثراً وآداباً وتبيينا
شرح به غدر التاريخ واضحة **** وكل فن به جاد المجيدونا
شرح حوى جملاً من كل شاردة **** فكان فلكا بكل العلم مشحونا
فهو الوسيط بلا طول ولا قصر **** تراه في سائر الحالات موزونا
فكان عقداً فردياً لا نظير له **** وكان كنزاً عن الأبصار مدفونا
أحسنت يا ابن عليم في تنمقه **** فزادك الله إحساناً وتحسيناً
أودعت شرحك هذا كل نادرة **** وزنته بعظات الدهر تزيينا
جلبت فيه نقول السابقين وما **** ألوت جهداً وما قصرت تدوينا
دامت فضائلك اللاتى كملت بها **** ودام شرحك مقبولاً ومخزوناً

وكتب اليه الشاعر صالح أفندى بطرس من موظفى المصلحة القضائية السودانية بقصيدة يقول فيها[3]

إن كنت لا ئمتى بآية ما **** عطلت جيدك من حلى الشذر

---

[1] الدر المخزون صفحة ٣٨٦.

[2] جالست ولا زمت

[3] الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ٣٨٧

هاتى فزينى العطل واستغنى **** بعقود (در) من أبى بكـر
واستعرض (المخزون) منه ترى **** ما شئت من نظـم ومن نثر
قد رام في الخمسين[1] أن يجرى **** فشأى[2] وأحرز نابه الذكـر
واستوجب المدح المضاعف ما **** اوتيته من جـد ومن صـ بر
وسعى إلى تلك العجوز[3] وقد **** شابت واخفتهـا يد الدهـر
ما زال يرتاد الثمين لهـا **** من خير زخرف صاغـه الشعر
ويحوك من وشى البلاغة ما **** ينسى الثياب السـندس الخضر
حتى أعاد لها زمان صبا **** ولى بقـوة ذلك السـحر
فغدت تجر الذيل من مرح **** تروى حكاية سـالف العصـر
حتى إذا وافتك تخطر في **** بردى فتـاة غضـة العمـر
ورأيتها أهلاً لما يرضى **** طبـع (الأديب) مددت بالعشـر

كما كتب إليه الشيخ محمد أمين قراعه السيوطى المصرى قاضى قضاة السودان يقول [4] " ولكنى لم اتمكن إلاّ من إلقاء نظرة بسيطة تيسر لى بها معرفة أنك بذلت جهداً مشكوراً في سبيل شرح هذه الرسالة البديعة والإتيان بالقصص التى يشير إليها صاحبها على الوجه الأكمل وإنك بالغت في أن تكون عباراتك له رقيقة رقة الرسالة التى تصديت لشرحها مع عدم تقصير في إظهار ما استتر في زواياها فصدق المثل (وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه).

كما كتب إليه الشيخ ابو القاسم بن احمد بن هاشم شيخ علماء السودان وكان مما قال في كتابه [5] " ولعمر الحق لقد كان ذلك المؤلف كنزاً مخبوءاً تحت طيلسان

---

[1] يريد بالخمسين سن عمر الشارح
[2] شأى سبق
[3] العجوز الرسالة
[4] المصدر نفسه صفحة ٣٨٨
[5] المصدر نفسه صفحة ٣٩٠

مهنته ولم يعرف إلاّ بعد ابرازه لدره المخزون وهكذا الرجال تعرف بأعمالهم ولعل في تسميته لشرحه بذلك تلميحاً لهذا المعنى.

وقد ذيلت تقريظى لهذا الشرح بعد سبره بهذه الأبيات فقلت:

لله در أبى بكر وفطـنته **** قد نظم الدر في عقد من الكلم
شرحاً بديعاً مفيداً ثم ألبسه **** رسالة لابن زيدون فتى القلـم
أجاد في شرحها شرحاً أبان به **** ما قد حوته من التلميح والحكـم
فالزم قراءته يغنيك عن كتب **** شتى واعرض عن العذال في صمم
دللتنا يا أبابكر العليمى على **** ما فى أديمك من فضـل ومن همم
وجاء شرحك عنواناً وتذكرة **** على انفرادك بالآداب والشمـم
أرقتك همتك الشما لشرح كتا **** ب الايدانيك غير الحاذق الفهـم
أوضحت مشكلة بينت مجمله **** بسطت تاريخ ما يحوى من الأمـم
جوزيت عنا بنى السودان قاطبة **** خيراً وكوفئت بالإحسان والنعـم
لك الثنا ولك الشكر الجزيل على **** جميل صنعك فاسلم للعلى ودم

كما جاءه كتاب من المستشرق الكبير المستر س. هليلسون مدرس اللغات والتاريخ بالقسم العالى بكلية غردون باللغه الانجليزية نجترئ من ترجمته [1]

" أما الرسالة التى أزجى بها إلى ابن جهور وهى التى بين أيدينا فقد طبعت عام ١٨٨٩ ميلادية مع ترجمتها اللاتينية بقلم بستهورن ولكنها لم تصب على ما أظن إلى اليوم شرحاً وافياً من العربية ولهذا كان من بواعث السرور أن تناولها عبد الله ابوبكر أفندى عليم بالشرح الوافى مميطاً القناع عن شواهدها التاريخية ومبيناً ما غمض من معانيها اللغوية لسعة اطلاعه وغزارة مادته وهو أهل لهذا العمل الشاق في هذا المبحث الخطير".

[1] الدر المخزون صفحة ٣٩٢

كما وردته أبيات من شاعر العرب الكبير الشيخ فؤاد الخطيب يقول فيها [1]

قل يا أبابكر فأنت مصدق **** ملك النفوس بيانك المتدفق
واشرح من الآدب العتيق خريدة **** عصماء يشرق نورها المتألق
أوحى ابن زيدون إليك بسره **** فشرحت من مكنونه ما يغلق
وجعلت من تلك الرسالة جنةً **** غنّاءَ تأرج بالعبير وتعبق
أنضرتها ورويت غرس بيانها **** فتكاد أوراق الرسالة تورق
وجلوت من ألفاظها فكأنما **** في كل لفظ عبرة تترقرق
وذكرت شجو حديثها فكأنما **** في كل معنى منه قلب يخفق
جددت للأدب القديم عهوده **** ومضيت في مضماره لا تلحق
لله درك شارحاً ومحققاً **** ما ان يفوقك شارح ومحقق
فاسلم وعش كنز البيان فكلنا **** طرب'' إلى (مخزون درك) شيق

من شعره:

قال رحمه الله ينصح إلى الشباب بالإنصراف عن التعلق بأعمال الحكومة ويشير إليهم بطرق ابواب الأعمال الحرة[2]

الجد في القول حلى الشاعر **** والماجن الخالع كالفاجر
مالى وللتشبيب في غادة **** أو فى عقار الكرمة العاقر
هل الهوى إلاّ جنون جنى **** على نفيس النفس والخاطر
وهل جميل في هوى بثنة **** إلاّ كمجنون بنى عامر
كلاهما ضل سبيل الهدى **** وعاش كالمغبون والحاسر
عدمت نفساً أخطأت رشدها **** تبكى دروس الطلل والغابر

---

[1] الدر المخزون ٣٩٢

[2] نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع بقلم محمد عبد الرحيم – الجزء الأول – صفحة (١٥٧)

وتعتلى متن الكميت الذى **** يرمى بها في التيه والغامر
بل مركبى صهوة أوج العلى **** مرتقياً بالنسب الفاخر
وشيمتى الصدق وبذل الندى **** وهمتى أمضى من الباتر
وما انثنى عودى لدى غامز **** أو هصرلبستفق بهت غصنى يد الهاصر
أبناء قومى كلكم عدتى **** لقا لكم من كبوة العا ثر
مالى أرى أكثركم تائباً **** عن الطريق الجدد الظاهـر
جدوا كاسلاف كرام مضت **** أيامهم كالقمر الباهـر
وعلموا الأبناء ما يرفع الـ **** ـذكرى لهذا الوطن العامر
فالقطر محتاج لأيد تقيم **** الوزن في المعمور والبائر
من صادق النهضة ذى ميعة **** والحاذق الصنعة والكافر
من لم تعن همته نفسه **** فما له في العون من ناصر

****

وبزرة التعليم للمبتدى **** وسيلة لا غاية البازر
وإنما الغاية ما يجتنيه **** الفكر من يانعه الناضر
ترى ثراء المال في زارع **** أو متقن الصنعة أو تاجر
ولم تجد مستخدماً مثرياً **** ما بين مأمور إلى آمر
إلاّ كفاف العيش في زبرج **** كزبرج الحباحب الطائر

****

خير لهذا النشئ أن يعدلوا **** عن خدمة ترهق بالناظر
إلى طلاب العيش في غيرها **** بهمة المجتهد الساهر
فالحر لا يخشى عناء السرى **** كالسيل في القيعان والغائر
من يستطع نفعاً ويبخل به **** فذكره كالمرجع الداثر
من يشتر الحمد بمقرونه **** ينل وفير الربح من شاكر

****

وقال رحمه الله:

في وصف خزان سنار

الا هل رأت عيناك مكوار بعد ما **** اقامت يد الإصلاح في نهره السدا
كأن سليمان الحكيم أقامه **** بتسخير جن يسردون الصفا سردا
بناء يضل الفكر في تيه كنهه **** كطود رسا لم تره عن له ندا
يصادم تياراً يهد إذا طفـ ت **** اواذيه فوق اليم الذرى هدا
كأن دوى الموج مرتطماً به **** دوى ثقال السحب اذا أرسلت رعدا
كأن مرور الماء بين ثقوبه **** مرور سهام لا تكل ولا تهدا
يظل زمام النيل طوع مراده **** يكلفه جزراً ويرسله مدا
وعاج نمير ينساب عنوة **** على المرج حتى جلل الهضب والوهدا
وصير من أرض الجزيرة روضة **** تخال بساطاً سندسياً بها امتدا
كأن نسيم الروض باكره الندى **** اثار على أرجائها المسك والندا
كأن مكاء الطير بين جنانها **** حديث العذارى أحكمت صوغه نشدا
لقد عد فرعون الكنانة نفسه **** الها لأن النيل من تحته انقدا
ولوعاش حتى شاهد اليوم ما أرى **** ما أثمر الخزان ازرى بما عدا

****

لكم يا بنى السودان وجهت دعوتى **** لأكشف من أسياف همتكم غمدا
فأنتم نواة الحى انبتها الثرى **** ثرى أرضكم لا غرو ان اثمرت سعدا
اثيروا خبئ الرزق بالحرث وادأبوا **** على الزرع إن الأرض قد مهدت مهدا
فإن الثراء الحل في باطن الثرى **** مقيم ولكن النجاح لمن كدا
ولا يشغلن حب التوظف بالكم **** فلا خير في رزق يقيدكم قيدا
وفي ساحة الكسب الجزيل مناهل **** عذابٍ لحر مطلق يبذل الجهد
نظيرك من تستغن عن فضل ماله **** عفافاً فإن تحتج إليه تكن عبدا

وقد تجتنى ممن يعاديك خبرة **** تجنبك الفخ الذى مده رصدا
وتدرك بالحلم الأمور موفقاً **** وتخطئ بالحمق الحزامة والرشدا
ومن جانب الهزل استفاد كرامة **** لأن فضول القول شأن الفتى الجعدا
وخازن مالِ لم يصن عرضه به **** تخطفه الوراث إن وسدا اللحدا
ومن سالم الناس اتقى شر ختلهم **** وعاش سليم الصدر من ترك الحقدا

وقال في رثاء الشيخ محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر المجذوب:
أمطرتنى الهموم طلاً ووبلاً **** وسقتنى الأرزاء نهلا وعلا
ورأيت الخطوب عمداً تباغى **** فهى لم تبق لى رفيقاً وخلا
لا رعى الله عهدها افقدتنى **** سلفى الطاهرين فرعا واصلا
سادة العالمين فضلاً ونبلا **** وليوث الحمى إذا البأس حلا
فرعوا النجوم مظهراً وعلوا **** وأقاموا للدين فرضاً ونفلا
لم تحد عنهم المنايا فراحوا **** وكذا الدهر يوسع الكون تبلا
عجباً للأيام كيف أطمأنوا **** اتراهم هن المنية أم لا
فإذا ما سألت شيخاً تفانى **** هل سئمت البقا بها قال كلا
هو حب الحياة أحدث ضعفاً **** في نفوس الورى وأورث ذلا
وإذا الموت لا يوقى بدفع **** كان جبناً خوف الممات وجهلا
أناوحدى الشجاع ودعت نفس **** فإذا الموت جاء اهلاً وسهلا
لا أريد البقاء في ظل عيشِ **** زائل قد مللت بقياى ملا
كيف تهنا لى الحياة وشيخى **** وصفى المجذوب غاب وولى
لحق الطاهر السجايا أباه **** لم يدنس بالشين ردنا وذيلا
كان بحر العلوم في كل فرع **** وقديراً إن اشكل الأمر جلى
تقيا كجده الأكبر المجذوب **** ذى الجاه والمقام المعلى
واديباً وشاعراً لا يجارى **** ينثر اللفظ فوه در تلألا

كنت تلميذة ومنه تثقفت **** ومن بحره تناولت سجلا
وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلاّ الأقلا
فرق البين بيننا وتمادى **** زمن في سعيره اتقلى
طالما رضت للزيادة عنسى **** جاهداً ان اراه كى أتملا
لكن الدهر حاكم **** سل في منتوى العزيمة نصلا
بت حبل الرجاء من قبل أن القاه **** يا سوءتا لدهرى وويلا
****

اى حبيب فدتك نفسى انى **** لم أزل حافظا لودك الا
ولئن صار للبلى جسمك الطهر **** فليست آثارك البيض تبلى
هل درى قبرك الموارى بان قد **** ضم في دفتيه علما ونبلا
قد بكتك العيون حزناً ووجدا **** مرسلات بالدمع تمطر سيلا
هاك منى الرثاء عليه فكر **** شارد نال منه فقدك نيلا
ولو أن التوفيق أسعف نطقى **** لرثى الشيخ كابى أرس وأجلى
فسقى الغيث بالتوالى ضريحاً **** ضم منك العلا وابقاه خضلا
****

من شيوخه:

ذكر أديبنا الكبير أنه تتلمذ على يدى الشيخ محمد الطاهر المجذوب إذ يقول عند رثائه [1]

كيف تهنألى الحياة وشيخى **** وصفى المجذوب غاب وولى
لحق الطاهر السجايا أباه **** لم يدنس بالشين ردنا ذيلا
كان بحر العلوم في كل فرع **** وقديراً إن أشكل الأمر جلى
وتقياً كجده الأكبر المجذوب **** ذى الجاه والمقام المعلى

[1] نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع بقلم محمد عبد الرحيم – الجزء الأول صفحة ١٦١

وأديباً وشاعراً لا يجارى ***** نشر اللفظ فوه در تلألأ
كنت تلميذه ومنه تثقفت **** ومن بحره تناولت سجلا
وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلاّ الأقلا

والشيخ محمد الطاهر المجذوب ولد بضاحية سواكن في ذى القعدة ١٢٥٧هـ : ١٨٤٢م. تعلم على يد والده الفقيه الطاهر . وتلقى فقه الشافعية والعلوم العقلية عن الشيخ محمد مدنى السواكنى . وحج سنة ١٢٩٧ هـ[1]

من رثاه ؟

(أ) رثاه الشاعر التجانى يوسف بشير في عصماء يقول فيها [2]

رثاء فقيد الأدب والصحافة

إلى بكر محمد عليم

اسف مرّ وآهات أمر **** والتياع ملأ القلب شرر
وعصىّ مائر منهمر **** يتدلى زمراً بعد زمر
كم عظيم مشت الدنيا به **** في جلال ومشى فيه القدر
زهت الغبراء من وطأته **** ونهى ما شاء فيها وأمر
مثل الكون بناء شامخ **** يتداعى حجراً بعد حجر

****

فإذا ما انقض عن آخره **** قضى الأمر عليه فاندثر
انظر الأيام في دورتها **** نظر الثاقب ، رأياً وفكر
واعرض الأمس وأمسا قبله **** وتقلب بين أحضان العصر

[1] المصدر نفسه صفحة ٩٣

[2] ديوان اشراقة للتجانى يوسف بشير – بيروت لبنان – الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م صفحة (٩٤)

تجد الأيام في كثرتها **** اخوات بعضها شبه الأخر
ليس إلاّ صورة واحدة **** كررت حتى تراءت كالصور
هى كف الدهر والدهر بها **** يوسع الغادة أخذاً بالطرر
اسرعت دون "عليم" فمضى **** مسرعاً دون سميكات الستر
لفه الموت على مدرجة **** ورماه الدهر في كف الغير
خفقت أفئدة واضطربت **** يا لهول اليوم اكباد البشر
كل من قيل له(مات) انزوى **** يعصر القلب بكف من حجر
لا يقوم الدمع بالدمع له **** كيفما انساب ومهما ينهمر
أمة تفقد فيه امة **** وبلاد ثكلت منه الابر
شاعر الفصحى وما عودها **** هذر القول وما عم الهذر
ينفث السحر ومن منطقه **** طالما اهتزت متون وغدر
وصحافى مشينا خلفه **** واقتفينا في المواضيع الاثر
كتم كالآى في مقطعها **** صعبها سهل ومبغاها عسر
احكمت رصفاً ومعنى مثلما **** احكم البناء مصقول الجدد
تتراءى كشعاع مدمن **** قدرة الله على سطح الزبر
إنما موت "عليم" عظة **** ليس كل الموت للناس عبر
****

أيها الثاوى على بلقعة **** والموارى بين هاتيك الحفر
أين صوت سامه الموت البلى **** ويراع بين كفيك عثر؟
جره الموت على شقته **** فتثنى وعلى الأخرى انكسر
كنت يابن النفر البيض فتى **** جاء للكون به أى نفر
عزمات دونها برق الدجى **** ومضاء دونه لمح البصر
لك آثار النبيين الألى **** ملأوا العالم ذكرى وأثر
أنت سباق ولكن للعلى **** أنت جبار ولكن في الفكر

أنت باق خالد مدكر **** حيث لا تبقي مع الموت الذكر
رفعته الناس في هاماتهم **** واعتلى عرش حياء وخفر
عبثاً حاول أن يخفضه **** مقزع القول ووضاع السير
كلما مد يداً رعاشة **** نحو ذاك العرض شاكتها الابر
إن أحرى الناس بالخلد الألى **** وهبوا العلم شباباً وكبر
اخلصوا السعى له واستنزفوا **** كل ما في ذرعهم من مصطبر
****

قم "عليم " انظر نفاثات الأسى **** كيف تشتق ورواداً وصدر
توسع الأفكار قتلا كلما **** حال بعض الشئ منها وخطر
هذه عبرة خل صادق **** في وداد والأخلاء غدر
عصر القلب ملياً فأنى **** بالتى تعثر في ثوب الحصر
كم وفى لك لا يلوى على **** زخرف السلوى ويأبى ان يسر
يلبس الليل وأما سطعت **** غرة الفجر فسوداء الحبر
يا لودى لك ما أعجبه **** من وداد لم يطل حتى قصر
شد ما كان رهيباً إنما **** طوى اليوم وبالأمس نشر
أنت في ذمة من صاغ الورى **** وتعالى عن ذهول وخور
نحن أودعناك في جوف الثرى **** ودفناك على ظهر القمر
فوداعاً للمعالى للنهى **** للغوالى من قوافيك الغرر
الوداع اللانهائى وفى **** كنف الله وفى حفظ المقر

(ب) كما رثاه أيضاً الشاعر حسين منصور بقصيدة يقول فيها
(كانت وفاته في عيد الأضحى)
أفى العيد تنعى الناعيات أبابكر **** ويسخر فيه الدهر ما شاء من سخر
فيفجعنا في الألمعية والحجى **** وسحر القوافى وهو ناهيك من سحر

ويفجعنا في جملة من فضائل **** تحلت بها نفس الأديب أبى بكـر
كثير من الأيام والله فعلة **** أطاحت بها عندى بأفعالها الكثر
وقد كنت عيداً يوم ألقاك عن عفر
وصيّرت نحو العيد فينا محققاً **** فكل فؤاد فوقه مدية النحـر
قسوت علينا حين رحت مبادراً**** وماكنت ذا ظلم وماكنت ذا جور
فلا نظرة تحى بها لى ذكرة **** ولاكلمة أشفى بها غلة الصدر
فداك أناس لا تزال قلوبهم **** عليك – كما كانت –كمتقد الجمر
فداك إذاكان الفدا لك نافع **** حياتى ! فما لى غير نفس من وفر
ولوكان هذا الموت يدفعه امرؤ **** ولو خطة كانت سوى خطة الصبر
لضاربت جيش الموت حتى أفله **** وأنفذ في أحشاء عسكره المجر
وبصدمة منى فتى ذو عزيمة **** كليث شرى[1] جهم المحيّا أبى أجر[2]

نعاء أبى بكر إلى كل كاتب **** وكل عليم بالنظيم وبالنثر
وكل محب للنوابغ معجب **** بما خلدوه في الطروس على الدهر
نعاء أبى بكـر إلى كل سيد **** كريم السجايا طيب الفرع والنجر
فماكان مجهولاً ولكن مشهراً **** كما سطعت في الليل دائرة البدر
وما أمسه إلاّ كيوم حليمة **** وماكان يوم من حليمة بالسر
فكم جال في الآداب جولة باحث **** وصال على ثرثارة وأخى هـذر
وغاص كما غاص الأوائل قبله **** فاض إلينا باللآلئ و " الـدر"[3]
ورامى عن الأداب أطيش فتية **** فصادف منهم سعيه ليلة النحر
يدافع عن خير اللغات ولا يرى **** قريناً له في ذلك العـدو الدّثر

[1] طريق
[2] أجر: جمع جرو وهو الشبل
[3] اشارة إلى كتاب الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون

فما فيهم كفء ولا فيهم فتى **** أصابته في قسم الحجى نعمة الفكر
فلله شيخ عاش للعلم وحده **** وأفنى على أبحاثه زهرة العمر
وناضل عن هذا اللسان مجاهداً **** جهاد شهيد خالد طيب الذكر
أبى أن يرى في القاعدين فلم يزل **** يناضل حتى زل في حفرة القبر
فألقى عن الأكتاف سنين حجّة **** تلألأ' من طهر على مفرق العصر
وما مات حتى صار نسراً بشاهق **** ومن ذا الذى يرقى الى مربأ النسر
رثيتك لما أن عصى الدمع مقلتى **** وجاش فؤاد قدّ من أصلب الصخر
أبرّد بالشعر الرصين غليله **** ليهدا ! فلا يقضى على ولا يزرى
فما كان قلبى وهو يطّلب العلا **** زماناً! ويبغى عيشة النهى والأمر
ويهزأ في هذه الحيا ة بكل ما **** يمر به منها من الحلو والمر
ليجزع من فقدٍ وإن كان مؤلما ً**** ويفرق من غدرات دهر أخى غدر
ولما أبت عينى سماحاً بدمعها **** بكيتك يا خير الإخلاء بالشعر
وما جئت استقصى خلالك إنها **** خلال وافضال تجل عن الحصر
عليك سلام من أخ شدّ ازره **** يذبّك عنه في السّرار وفى الجهر

الفصل الثاني

شرح الصفدى " تمام المتون"

وصف كتاب تمام المتون

موارد الكتاب:

لقد استقى الإمام الجليل صلاح الدين الصفدى مادة كتابه بعد أن جال في فنون الأدب والسير والتاريخ والتراجم وغاص في أمهات الكتب في مختلف ضروب المعرفة . يتجول بين حناياها وثناياها يقتطف من كل روضة أشهى الثمار وألذها ليتحفنا بشرح لا يخطئ القارئ له المتعة والمنفعة بل ينال منهما الحظ الوفير ، والقدر الكبير ، في سلاسة تعبير ودقة عبارات ومعانٍ . فهو كالصائد الذى يتحرى مكاناً سامقاً يعتليه فتتكشف له كل مآربه فيتخير منها أعزها وأنفسها فينالها . ويقدمها لنا بعد أن يحليها بذاتيته ونكهته الخاصة فتكون ذات مذاق فردى. ونجده كثيراً ما يلجأ إلى قريحته الشعرية فيسوق من قريضه المعانى الرقاق ، العذاب ، يدعم الموقف المعين ، أو ينتقده ويخالفه مبدياً قوة في الحجة ، ومضاء في الفكر ، لا يملك من يخالفه الرأى إلاّ أن يحترمه ، ويشيد به . فهو كاتب ذو ثقافة واسعة ، وعلم غزير ، وحنكة وخبرة ودراية في تخير ما لذ وطاب.

المصادر: بما أن المادة التى اشتملت عليها رسالة ابن زيدون متنوعة ومتعددة لا تنحصر في فن محدد أو علم معين بل هى كشكول حوى العديد من جوانب المعرفة . كان لابد للشارح الأستاذ الصفدى – كما أسلفنا القول – من سعة في الإطلاع في شتى ضروب المعرفة ، حتى يجلو غوامض الرسالة ، ويكشف نتوءاتها مسلطاً الضوء على كل تضاريسها ....فيجلو المبهم ، وينير المعتم .. الأمر الذى قاده إلى الإطلاع على عديد المصادر..

ويمكن أن نحصر مصادره في ضربين أساسيين:

أولهما : المصادر المصرح بها ، وهذه مبثوثة بين ثنايا شرحه للرسالة وهى متنوعة في شتى ضروب المعرفة ويمكن حصرها في :

أدب : ١/ أدب الكاتب للصولى صفحة (٣٨)

٢/ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى صفحة (٥٦٠)

٣/ قلائد العقيان للفتح بن خاقان صفحة (٦)

٤/ نفائس الذخيرة لابن ظافر صفحة (١٤١)

تراجم: الاستيعاب لابن عبد البر صفحة (٩١)

عقائد : الأسماء والصفات للبيهقى صفحة (٣٤)

حديث: ١/ الدلائل لقاسم بن ثابت (١٥٤)

٢/ غريب الحديث للخطابى صفحة (٤٠٠)

٣/ الفردوس الأعلى لشهريار بن شيرويه الخطاب الحافظ صفحة (٣٠٧)

مجموع شعرى:

١/ دمية القصر للباخرزى صفحات (١٨٤) – (٢٥٢)

٢/ الذخيرة لابن بسام صفحات (٦) – (٢١) – (١٤١)

سير:

١/ سيرة ابن سيد الناس صفحة (١٤٣)

٢/ سيرة ابن هشام صفحة (١٤٥)

٣/ القاصمة للفئة الغاشمة صفحة (٣٧١)

لغة:

١/ صحاح الجوهرى صفحة (٣٧٦)

تاريخ:

١/ طبقات ابن سعد صفحة (٢٠٥)

٢/ فضائل أبى بكر لابن زنجوية صفحة (١٨٢)

٣/ مروج الذهب للمسعودى صفحة (٦٢)

أمثال:

١/ فصل المقال لأبى عبيد البكرى صفحة (٥٦)

تفسير:

الكشاف للزمخشرى صفحة (٣٨)

مناقب:

مناقب الشافعى لفخر الدين الرازى صفحة (٣٧١)

معاجم:

معجم البلدان لياقوت صفحة (١٩٩).

ثانيهما:

المصادر التى لم يصرح بها أمثال دواوين الشعر المستفيضة وكتب التفسير المتنوعة ، و كتب الحديث ، والعديد من كتب الأمثال. وهو لم يصرح بهذه المصادر لا ليغمط أصحابها وإنما لأن السياغ اقتضى ذلك.

ترتيب الكتاب وتبويبه:

لقد أملت الرسالة على الشارح طريقته في ترتيب الكتاب . إذ جعل الكتاب وحدة واحدة . وقسم الرسالة إلى مائة وإحدى وثلاثين عبارة ثم شرع في تناول الرسالة عبارة إثر عبارة شارحاً ومناقشاً ومفنداً.

منهج المؤلف في التصنيف:

ويمكن تلخيص منهج المؤلف في التصنيف فيما يلى:

أولاً: الشروح أنواع منها الشرح الممزوج ، وهو أن يأتى الشارح بعبارة من المتن بين قوسين ثم يشرحها بين قوسين أيضاً كما هو الحال في شرح القرآن الكريم والسنة والحديث وكمثال لذلك تفسير النسفى ، وإرشاد السارحى للقسطلانى.

ثانياً : أن يأتى الشارح بعبارة كاملة من المتن ، ثم يقوم بشرحها كشرح ابن كثير للقرآن الكريم .

وجاء شرح الإمام الصفدى لرسالة ابن زيدون من النوع الثاني. إذ أنه يأتى بالعبارة من الرسالة ثم يتولى شرحها. ويمكن أن نلخص منهجه في الشرح في النقاط الآتية:

١- **شرح الغريب**: أي إنه عندما يأتى بعبارة ما يقوم بشرح مفرداتها الغريبة حتى يستبين القارئ معناها وقد كان هذا ديدنه في معظم أجزاء الرسالة ثم تنداح دائرة الشرح لتشمل العديد من صنوف المعرفة. ونسوق مثالين لذلك:

(أ) جاء في مستهل الرسالة " ١- قوله : يا مولاى وسيدي الذي ودادى له" [١]

المولى يجئ في الكلام على معان . [فالمولى ابنُ العم] ، والمولى الحليف ، والمولى المنعم ، والمولى المعتق ، والمولى العتيق.

فالمولى أعلى وأسفل . فهو من الأضداد ، فمن وقف على مواليه فللشافعى رحمه الله تعالى فيه ثلاثة أقوال: أحدهما يصرف إلى الأعلى ، والثاني يصرف إلى الأسفل ، والثالث أن يشترك بينهما ، وعليه الفتوى.

وما أحسن قول أبى اسحاق الغزّيّ:

ولن يتساوى سادةٌ وعبيدهم : على أنّ أسماء الجميع موالى

وقول أبى تمام الطائى:

مولاكَ يا مولاى صاحبُ لوعةٍ *** في يومه وصبابةٍ في أمسِهِ

دنفٌ يجود بنفسه حتى لقد *** أمسى ضعيفاً أن يجود بنفسه

والمولى : الولىّ ، وفي الحديث : " اللهم من كنت مولاه فعلىّ مولاه" . والمولى: الجار والناصر ، وكلّ من ولى أمراً فهو وليّه ، والمراد من هذه المعانى كلها المنعم ، والمعتق ، والسيد. تقول العرب: ساد قومه يسودهم سيادة ، وسوداً ، وسَيْدودة ، فهو سيدهم ، أى فضل عليهم وارتفع عن طبقتهم ، لما امتاز عنهم بمناقبه ، وما أحسن قول أبى نواس في الفضل بن عبد الصمد الرّقاشىّ:

وجدنا الفضلَ اكرم من رَقاشٍ *** لأنّ الفضلَ مولاه الرسولُ

[١] تمام المتون صفحة (٣٠)

أراد أبونواس نفيه عن ولائه ، لأنه جعله أكرم ممن ينتمى إليه ، وذهب الى قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا مولى من لا مولى له " ، وهذا من الهجو الخبيث الخفيّ.

والوداد : المحبة ، تقول منه : وددت الرجل أودّه وداداً ، أحببته ، والودّ والوَد بضم الواو وفتحها : المودة ويقابل المولى مذكراً المولاة مؤنثة ، ويقابل السيد مذكراً السيدة مؤنثة. وأما قولُ الناس : " لسِّتّ " ، فليس في كلام العرب، بل هو مولّد ، وما أحسن قول البهاء زهير:

بنفسى من أسميها بستِّى * * * فترمقنى النحاةُ بعين مقْتِ
يرون بأننى قد قلتُ لحناً * * * فكيف وإننى كزهيرُ وقتى
وقد ملكتُ جهاتى السّتّ حقاً * * * فلا عجب'' إذا ما قلتُ : سِتِّ

وقال الباخرزى:

إنِّ لأعشقُ ستِّي * * * إى والذى شقَّ خمْسِى

وقد غلب على كتاب الحكم عن القضاة أن يقولوا : سيدنا ومولانا قاضى القضاة ، فيما يكتبونه من السجلاّت وغيرها ، والصواب فيه تقديم مولانا على سيدنا ، لامور:

الأول : أن كتاب الإنشاء هم الأصل في هذه الصناعة ، وأول ما يقولون : المؤلَوِىّ الأمِيرِى ، ويأتون بالسيد بالآخر.

الثاني : أن العرب كذا قالوا ، قالت الخنساء في أخيها صخر:

وإن صخراً لمؤلانا وسيدنا * * * وإن صخراً – إذا نشتو – لنّحار
وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به * * * كأنّه علم'' في رأسه نار
حامى الحقيقة محمودُ الخليقة * * * مهدى الطريقة نفّاع'' وضرّار

ولا نورد عليها ما يروى عن أبى عثمان المازنيّ ، قالَ : رأيتُ أبا فرعون العدوانى ومعه ابنتاه ، وهو في سكة العطارين بالبصرة

يقول:

بنيَتى صابراً أباكما * * * إنكما بعين من يراكما
الله ربِّى سيّدى مولاكما * * * ولو يشا بفضله أغناكما

لأنّ الكلامَ في المعطوف ، وليس هذا فيه عطف ، لأنّ مثل هذا لا ترتيب فيه ، كقوله تعالى : " غافر الذنب وقابل التوب " سورة غافر آية (٢) ، والله تعالى يقبل التوبة أولاً ، ثم يغفر الذنب. والثالث: لأن البلاغة أن يذكر الأعّم

ثم الأخص ، كقوله تعالى : " فيهما فاكهة ونخل ورمان " [١] وقوله تعالى : " من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال " [٢]

فالمولى أعمّ من السيد ، لأن المولى يطلق على معانٍ كما تقدم ، والبلاغة أن تقول : يا صاحبي ، يا أخي ، يا حبيبي ، لأن الأصحاب كثيرة ، والإخوة أقل منهم ، الحبيب لا يكون إلاّ واحداً.

ومن أقوى أدلة المعتزلة في تفضيل الملائكة على الأنبياء ما يستدلون به من الأدلة السمعية قوله تعالى : " لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون " [٣] قالوا : والبليغ لا يقول : لا أفكر في السلطان ، ولا في الوزير ، والصحيح ما قاله أهل السنه ، وليس هذا بموضع بيان هذه المسألة.

ومما يؤيد ما قلته ، أن سيد العلماء والفصحاء ، إمام الحرمين ،[٤] قال في كتاب الإرشاد : القول في نبوة مولانا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

وتقول العرب : إن من نعت السيد أن يكون لحيماً ، ضخم الهامة ، جهير الصوت ، إذا خطا أبعد ، وإذا يؤمّل ملأ العين مهابة ، لأن حقه أن يكون في صدر المجلس ، أو ذروة منبر ، متفرداً في موكب ، ويقولون في نعته : يملأ العين جمالاً ، والسمع مقالاً.

وقال دعبل:

فإذا جالسته صدرته * * * وتنحيت له في في الحاشيه[٥]

وإذا سايرته قدّمتَّه * * * وتأخرت مع المستأنيه

---

[١] سورة الرحمن ٦٨

[٢] سورة البقرة ٩٨

[٣] سورة النساء ١٧٢

[٤] إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى ، الملقب إمام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، وكتابه الإرشاد في أصول الدين ، توفى سنة ٤٧٨.

[٥] تمام المتون صفحة ٣٣

وإذا عاشرته صادفته * * * شرس الرأى أبيّاً داهيه
فأحمد الله على صحبته * * * وسل الرحمن منهُ العافيه

ويؤيد هذا قول الفرزدق:

يقلِّب رأساً لم يكن رأس سيِّد * * * وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها [1]

وقال رجل لعمر رضى الله تعالى عنه : من السيد ؟ قال : الجوادُ حين يسأل ، الحليم حين يستجهل ، الكريمُ المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوره. والذى أظنه أن السيد عند العرب ، من ساد قومه أو غيرهم بصفاته المحمودة ، ولا يتوقف في ذلك على أصالةٍ ولا نسب ، من قولِ للقائل:

نفسُ عصام سوّدتُ عصامَا * * * وعلّمته الكرَّ والإقدامَا [2]

وقال عامر بن الطفيل:

فما سودتنى عامر'' عن كلالةٍ * * * أبى اللهُ أن أسمو بأمّ ولا أب [3]
ولكننى أحْمى حماها وأتّقى * * * أذاها ، وأرمى من رماها بمقنب[4]

وقد أنصف عمرو بن عبيد المعروف بالحزين حيث قال:

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤه * * * يروعك في النادى وليس له عقل[5]
وآخر تنبو العينُ عنه مهذب'' * * *يجودُ إذا ما الضخمُ همّته البخلُ

فصل

هل يجوز اطلاق هذين الإسمين على الله تعالى ؟ نعم يجوز ذلك.

أما المولى فقد نطق به القرآن العظيم في غير موضع ، وأما السيد فقد جاء مأثوراً عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكر ذلك الإمام الحافظ ، ركن الإسلام ، سيف السنة ، ابوبكر أحمد بن الحسين بن علىّ البيهقى البروجردىّ رضى الله عنه في كتاب الأسماء والصفات ، قال : أخبرنا ابوعلى الروذبارى ، أنبأنا ابوبكر بن داسة ، حدثنا ابوداود ، حدثنا مسدد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا أبوسلمة سعيد بن

---

[1] المصدر السابق صفحة ٣٣

[2] تمام المتون صفحة ٣٤

[3] المصدر السابق صفحة ٣٤

[4] المقنب: جماعة الخيل من الثلاثين إلى الأربعين.

[5] المصدر السابق صفحة ٣٤ (نهنة البخل)

يزيد ، حدثنا ابو بصرة [1] ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت في وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا: أنت سيدنا ، فقال: السيد الله ، فقلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولا ، فقال: قولوا بقولكم ، أو ببعض قولكم ، ولا يستجرِيّنكم الشيطان .

وقال الحليمى [2] رحمه الله تعالى : ومعناه: المحتاج إليه بإلاطلاق : فإن سيد الناس إنما الذي إليه يرجعون ، وبأمره يعملون ، وعن رأيه يصدرون ، ومن قوله يستمدون . فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقاً للبارى جلَّ ثناؤه ، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود ، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا ، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء ، كان حقاً له جلّ ثناؤه أن يكون سيداً ، وكان حقاً عليهم أن يدعوه بهذا الإسم.

انتهى

وقال السهيلى [3] : والذى أقول في السيّد ، إنّه يعتبر بالإضافة ، لأنه في أصل الوضع بعض ما يضاف إليه ، نقول: فلان سيد قيس ، إذا كان منهم ، ولا تقول في قيسىّ : سيد بنى تميم ، فلذلك لا يقال : الله سيد الناس ولا الملائكة ، وإنما يقال : ربهم . فإذا قلت : سيّد الأرباب وسيد الكرماء جاز ، لأن معناه أعظم الأرباب ، وأكرم الأكرمين . وقد منع أن يشتق له من السؤدد ، ولا حجة في قول حسان يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في جنة الفردوس فاكتبها لنا * * * ياذا الجلال وذا العلا والسؤدد [4]

لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسمعها فيقرها.

هذا ملخص كلام السهيلى ، وفيه نظر ، لأن الخلفاء الراشدين والصحابة المهتدين سمعوها وأقروها . وما أحسن قول الإمام أبى الفضل طاهر بن الفقيه المحدث:

أشارت إلىّ بعنّابةٍ * * * مخضبةٍ من دم الأفئدة

---

[1] هو أبو بصرة الغفارى ، واسمه جميل بن بصرة .

[2] هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى ، صاحب كتاب المنهاج في شعب الإيمان ، توفى سنة ٤٠٣ ، تمام المتون صفحة ٣٥

[3] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى ، صاحب الروض الأنف والتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن . توفى سنة ٥٨١ ، المصدر السابق صفحة ٣٥

[4] المصدر السابق صفحة ٣٥

وقالت : على العهد يا سيِّدى *** فقلتُ إلى الحشر يا سيّده

وقال أبو العلاء المعرى:

حسابكم عند المليك وما لكم *** سوى الودّ منى في هبوط ومفزع

ودادى لكم لم ينقسم وهو كامل *** كمشطور وزن ليس بالمتصرع

(ب) والمثال الثانى: ٤- وقوله : " إن سلبتنى أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتنى من حلِّى إيناسك "[١]

الاستلاب : الاختلاس . واللباس : ما يوارى الجسد والإنعام : المنة واليد ، وما أنعم به عليك.

والتعطيل : خلو جيد المرأة من القلائد ، يقال : امراة''معطال'' ، إذا كانت عاريةً من الحلىّ ، والحلىّ : ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة . والإيناس : مصدر الأنس ، وهو ضد الوحشة ، يقول : إن أخذتَ منى ، واختلست ما كان لك علىّ من لباس الإنعام ، وتركتنى عاطلاً من حلىّ أنسك بى ، وأنسى بك وهو الأولىَ.

وقد استعار الإستلاب للباس ، والعطل للحلىّ ، وهى استعارة حسنة ، كأن إنعامه كان له بمنزلة الحلىّ له ، فعطله منه ، وترك جيده بلا قلادة عارياً من حلىّ الأنس.

وما أحسن قول أبى بكر أحمد الصنوبرى:

وإن أبدلتنى بالسهل *** من أخلاقك الوعرا

وعاد الحلو من ودِّك *** لى فيما مضى مرّا

إذا ما زدتك الآن *** وفاءً زدتنى غدرا

فما تسمع لى قولاً *** وما تقبلُ لى عذرا

وما لى فيكَ إلا الصبر *** ساء الدهر أو سرّا

بعد أن تحدثنا عن الاستطراد في الشرح عن طريق شرح الغريب من المفردات . نجئ إلى نوع الإستطراد الثاني وهو :-

(٢) **استطراد بالنحو** : وهو أن يعرب الشارح بعض كلمات الرسالة فقد

---

[١] تمام المتون صفحة (٣٩)

(أ) جاء في الرسالة ٩١ – وقوله : " عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زياله . "

(ب) وقوله : " عارف"" ، خبر " إنّ" في قوله : " وإنى مع المعرفة بأن الجلاء سباءِ " وما بعده الى آخر البيتين . وقوله : " بانّ الأدب " إن واسمها .[1]

وقوله : " الوطن لا يخشى فراقه " هذه الجملة من المبتدأ والخبر في موضع الخبر ، لـ " إنّ ، في قوله : بأن الأدب " كأنه قال :

الأدب الاّ يخشى فراق الوطنُ وهذا كثير في كلامهم.

(ب) ٩– وقوله : " فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به " .[2]

هذه الفاء جواب الشرط في قوله أول الرسالة : " إن سلبتنى ....." وما بعد من الجمل ، بعد ما نظر الأعمى الى تأميلى لك. فلا غرو ، أى فلا بدع ولا عجب قد يغص بالماء شاربه . وهذه " قد " التى تدخل على الجمل للتقليل مثل : قد يكبو الجواد ، وقد ينبو الحسام ، وقد يصدق الكذوب ، وقد يبخل الجواد .

(ج) ١٠– وقوله : " ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منيةُ المتمنى في أمنيته . "[3]

يؤتى : فعل مبنى لما لم يسم فاعله ، من الإتيان وهو المجئ ، أتيت الى فلان أى جئت إليه . الحذر : اسم فاعل من الحذر ، وهو التحذر . والمأمن : المكان الذي يحصل فيه الأمن ، وهو الطمأنينة . والمنية : الموت.

والمتمنى : اسم فاعل من التمنى ، وهو الترجى . والأمنية واحدة الأمانى.

---

١ تمام المتون صفحة (٣٢١)

٢ المصدر السابق صفحة (٤٥)

٣ المصدر السابق صفحة (٤٩)

(٣) **استطراد بالبلاغة** : وهو أن يتوسع الشارح بذكر بعض النواحى البلاغية ويناقشها مستشهداً بالعديد من الآيات القرآنية مفصلاً وموضحاً ما فيها من جمال بلاغى وقد يستطرد بأبيات من الشعر.

(أ) ومن قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : " ووالله ما غششتك بعد النصيحة .." الى قوله : " وعهد أخذه حسن الظن عليك"[١] مما تسميه العرب وأرباب البديع : الاستقصاء ، وهو أن يتناول البليغ معنى فيستقصيه ، ويأتى فيه بجميع عوارضه ولوازمه ، وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه لمن بعده ممن يتأمله فضلة. وكذا فعل ابن زيدون رحمه الله تعالى لما أراد أنّ يتبرأ عند ابن جهور من الذنوب ، فقال : ما غششتك ، ولا انحرفت عنك ، ولا نصبت لك ، ولا أزمعت يأساً منك ، مع ثقتى بك ، وحسن ظنى بك ...فقد استقصى في التبرى من الذنوب التى يتوهم وقوعها ، ولم يرض بذلك حتى قال : ومع براءتى من ذلك أنا لم أيأس منك لحسن ظنى فيك ، وهذا (كمال الاستقصاء) لذلك ، حتى يقرر وجوب الرحمة له ، والعاطفة عليه . ومن أحسن ما ورد في الا ستقصاء ، قوله تعالى : " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب "سورة البقرة بية(٢٦٦) الى قوله تعالى : " فاحترقت " ، لأنه بعد قوله : " جنة" ، لو اقتصر على ذكرها لكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال : " من نخيل وأعناب " ، لأن الجنة تطلق على كل شجر يستر بظل ورقه الأرض . فإذا قال: " من نخيل وأعناب " كان مصاب ربها أعظم ثم لم يقف عند ذلك حتى قال : " تجرى من تحتها الأنهار " ، متمماً لوصفها بذلك ، ثم كمّل وصفها بعد التتميمين ، بأن قال " له فيها من كل الثمرات" وذلك لما علم : " أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب ، لا يكون ذلك وصفاً كاملاً ، فأتى بكل ما يكون في الجنات ليشتد الأسف على فسادها ثم قال في وصف صاحب الجنة: " وأصابه الكبر " . ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم الجنات بقوله بعد وصفه بالكبر: " وله ذرية". ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف. ثم ذكر استئصال تلك الجنة – التى ليس لهذا الذى أصابه الكبر وليس لذريته الضعفاء غيرها – بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : " فاصابها إعصار " ، فلم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا يحصل به سرعة

---

[١] تمام المتون صفحة (٢٥٦)

الهلاك ، فقال: "فيه نار" . ثم لم يقف عند ذلك أيضاً حتى قال : " فاحترقت" ، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تقوم بإحراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترز عن هذا الاحتمال بقوله : " فاحترقت" .

ومن أحسن ما وقع في الاستقصاء قول ابن الرومى:

وحديثها السحرُ الحلالُ لو أنه * * * لم يجن قتلَ المسلم المتحرّز

إن طال لم يملْ وإن هى أوجزتْ * * * ودّ المحدِّث أنها لم توجِزِ

شركُ العقولِ ونزهة ما مثلها * * * للمطمئن وعقله المستوفز

ومن الإستقصاء قصيدة ابن الرومى القافية ، التى يصف فيها الجارية السوداء ، منها قوله:

أكسبها الحبّ أنها صبغت * * * صبغةَ حبّ القلوب والحدق

فإنه استقصى فيها جميع ما توصف به السوداء من المحاسن . ومن الاستقصاء قصيدة القاضى ناصح الدين أبى بكر أحمد الأرجانى في الشمعة التى أولها :

نمّتْ بإسرار ليلٍ كان يخفيها * * * وأطلعت قلبها للناس من فيها [1]

فإنه استقصى فيها جميع ما توصف به الشمعة من المحاسن.

(ب) ١٠١ – وقوله : " واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع ، والغنى ممن سواك عناء . "

وقوله : " واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع " [2]هذا يعده بعض أرباب البديع من الجناس المطمع ، وهو متى فرغ من ركنه الأول وابتدأ بالثانى اطمع السامع انه موافق الحروف الأوّل ، فإذا كمل الركن الثاني خالف الأول ،

كقوله تعالى : " وإذا جاءهم أمر من الأمن " سورة النساء آية(٨٣) وكقوله صلى الله عليه وسلم : " الخيل معقود بنواصيها الخير ".

---

1 ديوانه ٤٢٥

2 تمام المتون صفحة ٣٣٥

وهذا النوع من أعلى هذا الجناس. ودونه أن يخالف الركن الثانى الأول بحرف في وسطه ، كقوله تعالى: " وإنه على ذلك لشهيد* وإنه لحب الخير لشديد " سورة العاديات آية (٧،٨) وكقوله تعالى : " وهم ينهون عنه وينأون عنه"سورة الأنعام آية (٢٦)

وقوله :

" الطمع في غيرك طبع " من هذا القسم ومن مادة قول ابن زيدون قول الأول:

وإنى وتركى للأكرمين *** وقدحى بكفى زنداً شحاحاً
كتاركةٍ بيضها بالعراء *** وملحقة بيض أخرى جناحا

وقال ابن حيّوس:

وها أنا ثاو في جنابك لم أملْ *** إلى أملٍ ينحى ولا منة تسدى
يعافُ ورود الطرق من وجد الحيا *** ويأبى الرضا بالرشحِ من جاور العدا؟ [١]

وقال ابو هلال العسكرى:

كأنى إذا أمسكتُ منك بعروةٍ *** أخذتُ بأهداب الغيوم السواكب

وقال ابو الطيب المتنبئ:

ولم أرجُ إلاّ أهل ذاك ومن يردْ *** مواطرّ من غير السحائب يظلم

(ج) ١٤- فأقول : هل أنا إلاّ يد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله ! [٢]

عضّ به ، والمراد عضه ، والعض معروف ، وإذا كان حقيقة فهو إما بالأسنان ، ويكتب بالضاد المعجمة وإذا كان مجازاً مثل عظّ الزمان ، وعظت الحرب ، كتب بالظاء القائمة . ثم يواصل الإمام الصفدى حديثه " والإكليل: العصابة للرأس تكلل باللؤلؤ ، ويسمى التاج إكليلاً ، ومعنى هذا أنه لما قال: أتجلد وأرى الشامت أنى لا أتضعضع لما نزل بى منك ، فأكابر نفسى ، وأريها الباطل حقاً ، قال : ما أنا إلاّ يد أدماها سوارها الذي تحلت وتزينت به ، وجبين عض به تاجه

---

[١] والطرق : الماء الذى خوضته الإبل.

[٢] تمام المتون صفحة ٦٥

الذي وضعه فوقه ، ليتجمل به ، ويتحلى بجواهره ، فما ألوم أحداً فعل بى ذلك ، وهذا مأخوذ من قول أبى الطيب:

بنو كعبٍ وما أثرت فيهم *** يد'' لم يدمها إلا السوار'

بها من قطعة ألم'' ونقص'' *** وفيها من جلالته افتخار'

وهذا من باب تحسين القبيح ، وهو أن يعتذر له بشئ يعود قبحه حسناً كما اتفق للعزيز صاحب مصر ووزيره ابن كلس [1]، لما تسابقا بالحمام ، فسبق حمام' الوزير ، فشق ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه:

قلْ لأمير المؤمنين الذي *** له العلا والنسب' الثاقب'

لما ترك السابق لكنه *** جاء وفي خدمته حاجب'

فسكن غيظ' الخليفة 4 . وكما قال الآخر لما احترق حرم' النبى صلى الله عليه وسلم :

لم يحترق حرم' النبى لريبةٍ *** تخشى عليه ولا هنالك عار'

لكنما أيدى الروافض لامست' *** ذاكَ الضريحَ فطهرته النار'

وقال ابو الحسين الجزار من أبياتٍ ، وقد ذكر حريق الحرم النبوى:

لله فى النار التى وقعت' به *** سر'' على العقلاء لا تخفيه

أن ليس يبقى في فناه بقية'' *** مما بنته بنو أمية فيه

وكما قال صناجة الدوح محمد بن القاسم بن عاصم ، شاعر الحاكم :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً *** نجلَ العلا وسليل السادة الصلحا

ما زلزلت مصر' من كيد يراد بها *** وإنما رقصت' من عدله فرحا

ولابن الابار مصنف سماه : " قطع الرياض ، في بدع الأغراض " وكله جمعه من هذا الباب في تحسين القبيح.

وقوله : " يد أدماها سوارها " ، يشبه قول الباخرزى :

هى الآداب حلىّ'' غير أنى *** بحرفتها اضطررت' الى الصغارِ

كذاك لمعصم الحسناء صبر'' *** على ضيق الخناقِ من السوار

وقال ابن بابك:

لا صبر عنك ولو عضّ السوار يدى *** وبتّ' مرتفعاً في رأس غمدانا

---

[1] هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف والخبر مع البيتين في ترجمته ، في ابن خلكان ٢ : ٣٣٥

كلا ولو هزّ عرشُ الملك ناصيتى *** وصرتُ للمنبر الشرقيِّ ديّانا

وقال الأحوص من قصيدة:

فطلقها فلست لها بكفءٍ *** وإلا عضّ مفرقكَ الحسام

(٤) **استطراد بالشعر**: وفيه يسوق الشارح الكثير من الأبيات الشعرية المماثلة، وينتقل من بيت لآخر مقارناً وموضحاً وناقداً في لطف وسلاسة ومن ذلك:

(أ) ١٠٧ – وقوله :

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم *** وجداننا كل شيءٍ بعدكم عدم[1]

هذا البيت من قصيدة لأبى الطيب أولها:

واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ *** ومن بجسمى وحالى عنده سقمُ

وكان سيف الدولة بن حمدان إذا تأخرت عنه مدائح أبى الطيب ، شق ذلك عليه وأقلقه ، وأكثر معاتبته إذا حضر ، وتقدم إلى من بحضرته بالتعريض بالمكروه ، ومخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبى الطيب ، وآلمه غاية الإيلام ، فأنشده هذه القصيدة بمحضر من العرب والعجم ، وكان سبب الوحشة بينهما وفساد الحال. وبعد البيت الذى أورده ابن زيدون :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ *** لو أن أمركم من أمرنا أممُ

إن كان سركم ما قال حاسدنا *** فما لجرح إذا أرضاكم ألمُ

ومنها قوله:

يا أعدل الناس إلاّ في معاملتى *** فيك الخصام وأنتَ الخصم والحكمُ

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً *** أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره *** إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلمُ

ولم أورد هذه الأبيات إلاّ لأنها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أثنائها ، وتنخرط في سلكها:

وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه إجازة الشيخ العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود صاحب ديوان الإنشاء بالشام:

قل للذين رجونا والأمور لها *** حكمٌ بأنا سنحظى أن نرافقهمْ

[1] تمام المتون صفحة ٣٤٤

أوحشتمونا وعز الصبرُ بعدكمُ * * * يا من يعز علينا أن نفارقهمُ !

(ب) وقوله : " ومشرفى ألصقه في الأرض صاقله ، وسمهرى عرضه على النار مثقفة . "

قال الخفاجى : [1]

ألامُ إذا ما ناوشَ الدهرُ جانبى * * * وأى حسامٍ لا يحادث بالصّقل ! [2]

وما هو فيما بيننا من صنيعة * * * بمطرحٍ قولى ولا جاهلٍ فعلى

وقال أبو اسحاق الغزىّ:

صقلتُ العلا بالمكرمات وإنما * * * نِمّ بأسرار السيوف الصيَّاقِلُ

وقال ابو تمام الطائى:

وما السيف، إلاّ زبْرة لو تركته * * * على الحالةِ الأولى لما كان يقطع[3]

وقال أبو فراس بن حمدان:

ولئن بقيتُ فإننى * * * غيظ ُ العدا طفلاً وكهلا

ما كنتُ إلاّ السيفُ أخلصه * * * القيونُ فزاد صقلا

يفرى رءوسَ عداتهِ * * * ويشلهمُ بالضربِ شلاّ

ولئن هلكتُ فانما * * * موتُ الكرام الصيد قتلا

وقال شهاب الدين الخيمى لما تولى تفاشف عذاب ابن الزبير:

لابن الزبير مكارمٌ أضحتُ بها * * * طيرُ المدائح في البلاد تغرِّدُ

إن قيّدوه وبالغوا في عصره * * * فالكرْم يعصر والجواد يقيّدُ

وقال الأمير ابو المنيع قراوش:

لله درّ النائبات فإنها * * * صدأ اللئامِ وصيقلُ الأحرارِ

ما كنتُ إلاّ زبرةً فطبعننى * * * سيفاً وأطلق صرفهنّ غرارى

وقال ابن الساعاتى:

وما أبيضَّ وجهُ الخائضِ الحربَ في الوغى * * * بصارمه لولا سوادُ القساطل

---

[1] تمام المتون صفحة ٦٨

[2] وهو عبد الله بن سعيد المعروف بأبى محمد الخفاجى . والتحادث هنا جلاء السيف.

[3] والزبرة : القطعة من الحديد

يزيد النضارُ الطلقُ بالنارِ رفعةً *** ويذهب بالتثقيف زيغُ العوامل
كذاك سيوفُ الهند يركبها الصدأ *** فتكسبها حسناً أكفّ الصيّاقِلُ

وقال ابو الفتيان بن حيوس فأحسن:

أرى كلّ معوجٍّ المودةِ يصطفى *** لديكم ، ويلقى حتفه من تقوما
حنى الناس من قبلُ القسىّ لتقتنى *** وثقّف منآدُ القنا ليحطّما

وقال ابن سناء الملك:

حاربتُ هذا الدّهر لكن *** ما وجدت عليه نصرا
من أجل حربى قد أعدّ *** وقد احد شباً وظفرا
والقوسُ يحنى والمهند *** ينتضى والسهمُ يبرى

وقال على بن الجهم لما حبس:

والبدرُ يدركه السِّرارُ فتنجلى *** أيّامه فكأنه متجددُ
والغيثُ يحصره الغمامُ فما يرى *** إلاّ وريقه يراح ويرعد[1]
والزاعبيةُ لا يقيم كعوبها *** إلاّ الثقافُ وجذوة تتوقّدُ[2]
والنارُ في أحجارها مخبوءة *** لا تصطلى إن لم تثرْها الأزندُ
والحبسُ ما لم تغشه لدنيةٍ *** شنعاءَ نعمَ المنزلُ المتوردُ

وقال القاضى ابو الفتح نصر بن سيار الهرمزى السهروديّ:

عزاءك إن حُبستَ فليس عيباً *** فتلك الراحُ تحبس في الدِّنانِ
وهذا الورد قد يزداد طيباً *** إذا حبسته أطراف البنان
وضربك – إن ضربت – فليس عاراً *** كما قد يضرب السيف، اليمانى
ومثلك من تعانده الليالي *** وتجمع نحوه نُوب الزمان

وقال آخر:

لئن صرفت وحاشا *** ك – فالدنانير تصرفُ
وما أعتقلتَ كريماً *** إلاّ وأنت مثقفُ

وقال سيف الدين بن قزل المشدّ

انت الحسامُ إذا ما هاج معترك *** والرمحُ أنت اذا ما ضاقت السبلُ

---

[1] ريق كل شئ : أوله

[2] الزاعبية: رماح منسوبة الى رجل من الخزرج اسمه زاغب كان يعمل الأسنة

فلا تبال بأمرٍ جاء عن قدر * * * فالسيف يضرب والخطىّ يعتقل

وقال الباخرزى صاحب الدمية:

ابا عاصم كن عاصماً لابن محنةٍ * * * أبتْ نكبات الدهر إلاّ ثقافة
صبور ''على عضِّ الثقاف وما القنا * * * بمعتدلٍ ما لم تحسنْ ثقافة
هو الخادر الملقى بأرضك رحلة * * * فإن زرته بدّلت بالخاء قافه

وقال ابراهيم بن المدبِّر ، وقد حبس:

ألستِ ترين الخمر يظهر حسنها * * * وبهجتها بالحبس في الطين والقارِ
وما أنا إلاّ كالجواد يصونه * * * مقومه للسبق في طيِّ مضمارِ
أو الدّرة الزهراءِ في قعرِ لجةٍ * * * فلا تجتلى إلاّ بهولٍ وأخطارِ
فلا تنكرى طوالَ المدارة للعدا * * * فإنّ نهايات الأمورِ لإقصارِ
لعلَّ وراءَ الغيب أمراً يسرّنا * * * يقدِّره في علمه الخالق البارى

(ج) ٢٨ - وقوله:

" إلاّ يكنْ ذنب'' فعدلكَ واسع'' * * * أو كان لى ذنب'' ففضلك أوسع[١]

إلاّ بكسر الهمزة ، أصله " إنْ لا " مركّب من إن الشرطية ، ولا النافية ، فأدغمت النون في اللام ، ولهذا جاءت الفاء في الجواب في قوله : " فعدلك ".

وهذا البيت من قول البحترى من قصيدة أولها:

شوق'' إليك تفيض منه الأدمع * * * وجوى عليك تضيق عنه الأضلع

[١] تمام المتون صفحة ١٠٣

ومن هذه القصيدة قوله:

يعتادنى طربى إليـك فيغتلى * * * وجدى ويدعونى هواكَ فاتبعْ

وقال نصيب يمدح مولاه المهدى:

تلمّستْ : هل من شافع لى فلم أجدْ * * * سوى رحمة أعطاكها اللهْ تشفع

لئن جلّت الأجرام منى وأفظعتْ * * * لعفوكَ عن جرمى أجلّْ وأوسعْ

وقال إسحاق بن ابراهيم الموصلى للفضل بن الربيع:

لا شئ أعظمْ من ذنبى سوى أملى * * * في حسن صفحك عن جرمى وعن زللى

فإن يكن ذا وذا في القدْر قد عظما* * * فأنت أعظمْ من ذنبى ومن أملى

وما أحسن قول الشريف أبى الحسن على بن الحسين العقبلىّ

يا طاعنى بعتابٍ كاد ينفـذنى * * * لو لم أكنْ لا بساً درعا من الأمل

اخلعْ على جديداً من رضاك فقد* * * رقعتَ بالعذر ما خرقتْ بالزللِ

وما احسن قول الإمام الشافعى رضى الله عنه:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * * * جعلتْ الرّجا – ربّى – لعفوك سلّما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * * * بعفوك – ربى –كان عفوك أعظما

وقول أبى نواس:

يا ربِّ إنْ عظمت ذنوبى كثرةً * * * فلقد علمتْ بأن عفوك أعظمْ

إن كان لا يرجوك إلاّ محسن''* * * فمن الذي يدعو ويرجو المجرم !

وكل هذا مأخوذ من قول الأوّل:

بنى هاشم عفواً ، عفا اللهْ عنكم * * * وإن كان ثوبى حشوَ ثنييه مجرمْ

لكم حرمْ الرحمن والبيتْ والصّفا* * * وجمع'' ، وما ضم الحطيمْ وزمزمْ

فإن قلتم بادهتنا بعظيمـةٍ * * * فأحلامكم منها أجلّْ وأعظمْ

وأحسن الذي قال:

أغتنمْ زلّتى لتحرز فضل العفو * * * عنى ولا يفوتك شكـرى

لا تكلنى الى التوسل بالعـذر * * * ولعلى ألاَّ أقومَ بعـذرى

وقال ابراهيم بن المهدى يخاطب المأمون:

فإن لا أكنْ أهلاً لما أنتَ أهله * * * فانتَ – أمير المؤمنين – له أهلُ

ففضلك أرجو لا البراءة إنه * * * أبى اللهُ إلاّ أنّ يكون له الفضلُ

وما أحسن قول السّلامى:

تبسّطْنا على الآثام لما * * * رأينا العفو من ثمر الذنوبِ

وقول ابن قلاقس:

وغيرُ عجيبٍ أن أوفيك مجرماً * * * أنيبُ وأرجو في ذراك متابا [1]

فأسبل رداء العفو منك تكرماً * * * فحسبى كونى غبتُ عنك عقابا

وهو مأخوذ من قول الأول:

أرضَ لمن غابَ عنك غيبتهُ * * * فذاكَ ذنب'' عقابه فيهِ

لو لم ينله من العقاب سوى * * * بعدك عنه لكان يكفيهِ

ولقد زاد ابن زيدون في هذا المقام ، وأفرط في الخضوع والتوسل ، وما أحقه أن ينشد قول المؤمل بن أميل:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم * * * وتذنبون فنأتيكم ونعتذرُ

وقول محمد بن عبد الله بن المولى:

وأبكى فلا ليلى بكتْ من صبابة * * * لذاك ولا ليلى لدى الودّ تبدلُ

وأخضع بالعتبى إن كنت مذنباً * * * وإن أذنبتْ كنتُ الذى أتوسلُ

وما أحسن قول مسلم بن الوليد:

ويخطئُ عذرى وجه جرمى عندها * * * فأجنى إليها الذنبَ من حيثُ لا أدرى

إذا أذنبتْ أعددتُ عذراً لذنبها * * * وإن سخطتْ كان اعتذارى من العذرِ

وقال العباس بن الأحنف:

إذا رضيتْ لم يهنى ذلك الرضا * * * لصحّة علمى أن سيتبعه عتبُ

وأبكى إذا ما أذنبتْ خوفَ عتبها * * * فأسألها مرضا تهاولها الذنبُ

وقال ابو فراس بن حمدان:

---

١ لم أجدهما في ديوانه

وكنى الرسولُ عن الجوابِ تظرفاً *** ولئن كنى ، فلقد علمنا ما عنى
قلْ يا رسولُ ولا تحاشِ فإنه *** لابد منه أساءَ بى أم أحسنا
الذنبُ لى فيما جناهُ لأننى *** مكنته من مهجتى فتمكنا

قلتُ : مقتضى الكلام كله أن يقول: " مكنته من مهجتى فتسلطا " أو فتحرما ، او فترعنا ، وتركه لأجل القافية.

وما أحسن قول مهيار:

لا والذي لو شاء لم أعتذر *** في حبه من حيثُ لم أذْنبِ
ما حدرتْ ريح الصبا بعده *** لثامها عن نفس طيّب

وما أحسن قول البحترى:

عفا الله عنك أما حرمه *** تعودُ بعفوك أن أبعدا ![1]
ألمْ تر عبداً عدا طوره *** ومولىً عفا ورشيداً هدى !
ومفسد أمر تلافيته *** فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلْنى أقالك من لم يزلْ *** يقيك ويصرفُ عنك الردى

وقوله أيضاً:

إنّ دونَ السؤال والإعتذار *** خطةً صعبةً على الأحرار
فارضَ للسائل الخضوع وللمذنب *** ذنباً غضاضة الإحتقارِ
واستعدْ منهما فبئس المقامان *** لآل العقولِ والأخطارِ

(٥) **استطراد بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف:** مع ما جاء في رسالة ابن زيدون حيث يربط بين الكلمة التى وردت في الرسالة مع نظيرتها في الآية القرآنية أو الحديث الشريف ثم يسترسل بذكر مواقف تشكل الكلمة فيها جوهراً أساسياً أو يربط بين الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

(أ) ٢٥ – وقوله:

" وأعود فأقول : ماهذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ! " [1]

[1] لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه.

يقول الإمام الصفدى: [٢]

أما العفو فإنه أمر نطق به القرآن العظيم ، ووردت به السنة ، وحثّ عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى: " خذ العفو وأمر بالعرف " [٣] وقال تعالى : " فاصفح الصفح الجميل " [٤] ، وقال تعالى " والعافين عن الناس " [٥] والآيات في هذا كثيرة.

وممن قدر وعفا ، وصفَ لآلى غفرانه وصفا ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أهل مكة كانوا يؤذونه في نفسه ، ويقصدون نكايته في أهله ، قتلوا أعمامه ، وعذبوا أصحابه ، وألبوا عليه ، وأخرجوه من أحب البقاع إليه ، حتى إذا فتحها الله عليه ودخلها بغير حمدهم ، وظهرت كلمتهُ بها على رغمهم ، قام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشكره على ما منحه من الظفر ، ثم قال : أقول لكم كما قال أخى يوسف : " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " [٦] .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد يا ليل " ابن عبد كلال" ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهى ، فلم استفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب ، [٧] فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال : فنادانى ملك الجبال ، فسلم علىّ ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك " فما شئت " ؟

---

[١] تمام المتون صفحة ٨٩

[٢] نفس المصدر صفحة ٩٠

[٣] الأعراف ١٩٩

[٤] الحجر ٨٥

[٥] آل عمران ١٣٤

[٦] يوسف ٤٢

[7] قرن الثعالب ، من مواقيت أهل نجد ، وفي الأصل :" قرية" وصوا به من صحيح مسلم

إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين [1] ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده ، ولا يشرك به . متفق عليه[2]

وعنها رضى الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلاّ أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شئ قط ، فينتقم من صاحبه ، إلاّ أن ينهك شئ من محارم الله تعالى ، فينتقم الله تعالى. رواه مسلم.

وعن ابن مسعود قال : كأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحكى أن نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون. متفق عليه.

قيل لخالد بن صفوان : أىّ أخوانك أحب إليك ؟قال : الذى يسد خللى ، ويغفر زللى ، ويقبل عللى.

حكى أن المأمون كان يوضئه غلامه ، فغفل عن شأنه ، فنزلت الميضاة من يده على جبهته فشجته ، فنظر إليه المأمون مغضباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، " والكاظمين الغيظ " ، قال كظمت غيظى ، قال : " والعافين عن الناس " ، قال : قد عفوت عنك ، قال : " والله يحب المحسنين[3] قال: اذهب فأنت حر.

(ب) ٥٥- قوله : "" وهم الهمازون المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا " [4] .

هذا تفسير لما تقدم ، يعنى أن هؤلاء ذكرهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى : " هماز مشاء بنميم "[5]

الهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس بالطعن عليهم والغيبة.

وقال الحسن: يلوِّى شدقيه في أقفية الناس. والنميم والنميمة واحد ، وهو نقل الكلام السئِّ ، والمعنى أنه فتان يسعى بين الناس بالنميمة ليفسد ما بينهم.

والمراد بقوله تعالى : " ولا تطع كل حلاف مهين " [1]

---

[1] الأخشبان: جبلان بمكة.

[2] صحيح مسلم ١٤٢٠

[3] آل عمران ١٣٤

[4] تمام المتون صفحة ٢٢٥

[5] سورة القلم

الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأخنس بن شريق.

وقد جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم النميمة ، منها ما هو متفق عليه ، وهو ما رواه حذيفة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة نمام "

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين ، فقال : " إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول " . وهذا لفظ إحدى روايات البخارى. ومعنى " في كبير" هنا أنه صغير في زعمهما ، وإلاّ فهو كبير في نفسه .

وعن ابن مسعود ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " الآّ أنبئكم ما العضْه ؟ هى النميمة ، القالة بين الناس " [٢] رواه مسلم بفتح العين المهملة ، وسكون الضاد ، وبعدها هاء ، على وزن الوجه . وروى العضه بكسر العين ، وفتح الضاد على وزن العدة ، وهى الكذب والبهتان.

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم : " لعن الله المثلث " ، فقيل : يا رسول الله ، وما المثلث ؟ قال " الذي يسعى بصاحبه إلى السلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه ".

(ج) ٥٩ وقوله : " والله ما غششتك بعد النصيحة " [٣]

الغش خلاف النصح ، كأنه شئ غطى عليه . والنصح ضد ذلك . والنصح : الإخلاص ، والناصح : الخالص من العسل والغش أمر مذموم منهى عنه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا " رواه مسلم. [٤]

وفي رواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبْرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال: أصابتنا السماءُ يا رسول الله ، قال: " أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ! من غشنا فليس منا " [٥]

---

[١] سورة القلم ١٠

[2] صحيح مسلم ٢٠١٢

[٣] تمام المتون صفحة ٢٤٢

[٤] صحيح مسلم ٩٩

[٥] م " فأصابت" . والصبرة الكومة المجموعة من الطعام.

والنصيحة أمر واجب ، قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام : " وأنصح لكم " [1] ، وعن هود عليه السلام: " وأنا لكم ناصح'' أمين''" [2]

وفي مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " الدين النصيحة " ، قلنا : لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

وفي البخارى ومسلم ، عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وفيهما عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

(د) ١١٣ – وقوله : " وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة . " [3]

المعروف ضد المنكر ، وهو اسم جامع لكل خير .

ومن كلام الحكمة : بذل الجاه أحد المالين ، وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان ، وبذل الجاه رفد المستعين ، والشفيع جناح الطالب، والشفاعة أمر مندوب إليه ، نطق القرآن بذلك ، وجاءت عليه السنة ، قال الله تعالى: " من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل'' منها ".[4]

وعن أبي موسى الأشعرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم: إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه ، فقال : " أشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب " ، متفق عليه . وفي رواية : " ما شاء".

وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قصة بريرة وزوجها ، قال : قال لها النبى صلى الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرنى ؟ قال : إنما أشفع ، قالت : لا حاجة لى فيه .

وفي هذه الآية الكريمة سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : " في الشفاعة الحسنة نصيب ، وفى الشفاعة السيئة كفل'' منها " فالجواب : أن النصيب الحظ ،

---

[1] الأعراف ٦٢

[2] الأعراف ٦٨

[3] تمام المتون صفحة ٣٥٨

[4] سورة النساء ٨٥

والكفل مشتق من قولك : كفلت البعير إذا رددت على سنامه كساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل جانباً من ظهره لأنك تحمى سنام البعير بالكساء الذى وضعته عليه من الآفة دون باقى ظهره ، ويحمى الراكب بدنه بذلك ، ومنه قيل للضامن: كفيل ، لأنه يعتمد عليه ، فكان الكفيل ذخيرته التى يعتمد عليها ، فجاء الكفيل في الشفاعة السيئة بهذا اللفظ ، لأن الشافع قد ادخر ما يعتمد عليه في يوم القيامة . وهذا الكلام قد خرج مخرج التهكم ، كقوله تعالى : " فبشرهم بعذاب اليم " .[1]

والمقصود أن الشفاعة الحسنة للشافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقابها عظيم ، ووزرها كبير، فهى مغلظة الأمر بخلاف غيرها.

بعد استعراض هذه النماذج يتضح لنا أن منهج المؤلف في التصنيف كان متنوعاً فهو تارة يبتدر الشرح بمعانى المفردات ثم يعضد حديثه بأقوال الشعراء وربما ذهب في حديثه عن النواحى البلاغيه واستطرد في تفصيل معنى من المعانى أو حادثة من الحوادث . وتارة أخرى يعلق على عبارة من الرسالة ويذكر مناسبتها مفصلاً الحديث عنها وربما ربط الأمر بموقف مشابه.

نجد أن الإمام الصفدى في كل أولئك يستوفى عناصر الموضوع الذي يتناوله ....فإذا تعرض لراوية ترجم له واستوفى في ترجمته . وإن تناول قصة ذكر كل ما يتصل بها من أحداث وربما اتبع ذلك بتعليق مما يجعل الكتاب مرجعاً ومصدراً لتلك الترجمة أو القصة.

---

[1] سورة التوبة آية (٣٤)

تأثر الكتاب بالدراسات السابقة وأثره:

تأثر الكتاب في نهجه بالدراسات السابقة ، أعنى أنه لم يبتدع طريقة الشرح وإنما كانت هناك دراسات سالفة في هذا المضمار – مضمار الشروح والحواشى والتعاليق – مما زخرت به الآداب العربية. وفي رأى الكاتب الكبير الجاحظ أن المبدع الممتاز: " هو الذى يستطيع تصريف المادة الخام وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الإفتتان والإبداع ويدعو إلى الإعجاب " ثم يستطرد فيقول " المعانى مطروحة في الطريق بعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك " . [1]

وبالنظر لما احتوى عليه الكتاب فإن الإمام الصفدى قد وفق توفيقاً كبيراً ، في نوعية المادة وطريقة عرضها ، وبالرغم من أنه لم يسلك طريقاً بكراً إلاّ أن عرضه إمتاز بنكهة خاصة ، واتسم بعمق في الثقافة ، وخصوبة في المعرفة ، وجودة في السبك . إذ أنه شكل المادة الخام بصورة تعكس الإبداع والرؤي التى لا تتسنى إلاّ لكاتب ضليع ، متفحص ، متمرس . يري الكلمة من علٍ فيشاهدها ويشاهد ظلها الوريف فيبث من المعانى ما يدل على سعة في الذخيرة اللغوية ، وتمكن من التفنن في استخدام العبارات . التى تبدو كأنها توحى إليه إيحاءً ، أو كأنه يستمدها من معين لا ينضب.

بعتبر هذا الكتاب ذخيرة ومرجعاً للكثير من أشعار الأقدمين والمحدثين . بل لمختلف أبواب العلوم التى أودعت في بطون الكتب والتى ربما تكون قد ذهبت بها عوادى الأيام. كما يعتبر شرح الأستاذ الصفدى من الشروح القيمة والنفيسة لما اشتمل عليه من مادة ثرة تغطى مختلف الفنون الأدبية مما يمكن أن يفيد القراء وبصورة خاصة الباحثين والدارسين على مر الأيام والعصور.

---

[1] الحيوان – الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون – ١٣١/٣

الفصل الثالث

شرح ابن عليم " الدر المخزون"

وصف كتاب الدر المخزون

موارد الكتاب:

استمد ابن عليم مادة كتابه من عديد المصادر ، واستقاها من أمهات الكتب ، فجاءت حافلة بالمعلومات الوافية ، والشواهد المتنوعة ، من القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وبالكثير من الشعر ، والنثر ، والقصص ، والتاريخ ، والحكم ، والأمثال ، وغير ذلك.

فصار شرحه كالحديقة التى تزخر بأطيب الثمار وأشهاها وألوان الفواكه التى تجتذب زائرها بصورة لا يملك منها فكاكاً. فهو ينعم بما لذ وطاب في تنوع ووفرة فيجد حظه مما يحب ويهوى فيظل يقتطف من هذا وذاك ، وهو في نشوة وطرب ، وترقب ومتعة ، تلهيه عن الزمان كأنه يخرج منه أو يكاد . فهو لا يحس بالوقت وهو يمضى . لما هو فيه سعادة وهناء ، ولا يكاد يشعر بسأم أو ملل. وأنى له السأم وهو في روض بهيج تنوع ثمره ولذّ قطافه.

،أثناء تصفح الشرح نلحظ أن المؤلف لم يشر إلى مصادر بعينها في كتابه ، والكتاب لم يحققه أحد فلا إيماء فيه لمصدر.

ترتيب الكتاب وتبويبه:

الكتاب عبارة عن شرح لرسالة ابن زيدون الجدية . ولقد تناولت الرسالة مواضيع متنوعة فلم يشأ الشارح أن يقسم كتابه إلى أبواب أو فصول لصعوبة ذلك إنما دلف الى الشرح المباشر دون ترتيب وتبويب إلاّ ما اقتضته الرسالة وموضوعاتها.

منهج المؤلف في التصنيف:

تحدثت في الفصل الثانى من هذا البحث عن الشروح وأنواعها مما لا يقتضى التكرار هنا غير أنه من المفيد أن نعلق على تصنيف ابن عليم فنقول

إنه اعتبر الكتاب وحدة واحدة أو باباً واحداً موضوعه الرسالة. أما نهجه في الشرح فقد كان مباشراً ، إذ كان ديدنه أن يبتدر الشرح بتناول معانى المفردات ثم يفصل الحديث عن الموضوع المعنى إن كانت قصة حكاها ، وإن كان مثلاً ذكر قائله ومناسبته ، وإن كان بيتاً من الشعر نسبه إلى قائله ، وتناول حياته ، وتطرق لبعض شعره كل ذلك في دقة وسلاسة إذ يجد القارئ نفسه أمام مورد ثر ، ومنهل عذب ، يروى عطاشك ، ويسوق المتعة إليك وكأن رأسك يحلم.

ولقد تشكل شرح ابن عليم بصور شتى ، وأساليب متنوعة ، ولنعطى الوصف بعداً ميدانياً فسأتناول نماذج من صور شرحه:

أولاً: الاستطراد والتوسع بنسبة الشئ الى أصله أو بنسبة القول إلى قائله ، ثم الحديث عن القائل وشخصيته وبعض الصور والمواقف عن حياته وكمثال على ذلك

" بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك وسمع الأصم ثنائى عليك وأحس الجماد باستنادى إليك فلا غرو فقد يغص الماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به "[1]

أخذه من قول المتنبى:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبى **** وأسمعت كلماتى من به صمم

من قصيدة يمدح بها سيف الدولة على بن حمدان ويعاتبه فيها و مطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شبم *** ومن بجسمى وحالى عنده سقم

يقول في أثنائها:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى *** واسمعت كلماتى من به صمم

أنام ملء جفونى عن شواردها *** ويسهر الخلق جراها ويختصم

وجاهل مده في جهله ضحكى *** حتى أتته يد فراسة وفم

إذا نظرت نيوب الليث بارزة *** فلا تظنن أن الليث مبتسمُ

ومهجة مهجتى من هم صاحبها *** أدركتها بجواد ظهره حرم

رجلاه في الركض رجل واليدان يد *** وفعله ما تريد الكف والقدم

[1] الدر المخزون صفحة ٢٥ – ٢٧

ومرهف سرت بين الجحفلين به *** حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى *** والضرب والطعن والقرطاس والقلم

ذكر المتنبى وبعض اخباره:

هو ابو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكوفى الشاعر المشهور وقيل احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها واكثر من نقل اللغه غريبها وحواشيها حتى كان لا يسأل عن شئ إلاّ اسشتهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر وله ديوان من الشعر كبير حوى من جيد المديح والحكم والمراثى والهجاء ما جعله في مقدمة دواوين الشعراء واعتنى العلماء بشرحه فيقال إن له أربعين أو خمسين شرحاً بين مطول ومختصر ولم يفعل هذا بديوان شعر غيره ورزق بالشعر سعادة تامة وإنما قيل له المتنبى لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة موضع بين الكوفه والشام وتبعه خلق كثير فمخرق عليهم بأشياء هى بالسحر أشبه منها بالمعجزات كصدحة المطر التى كان قد تعلمها من بعض الأعراب وهى إيقافه المطر في البقعة التى يريدها وسيره من حلة إلى حلة وبينهما مسيرة أربعة أيام في ليلة واحدة وكان مشاء وله خبرة بالطريق فيختصرها ويأتى فينعل يديه ورجليه ويخبرهم أن الأرض تطوى له وقال في دعاويه أن رسول الله قال لا نبى'' بعدى فانا اسمى في السماء لا جعل الحرف اسما وقال

أى محل ارتقى أى عظيم أتقى
وكل ما خلق الله وما لم يَخْلق
محتقر في همتى كشعرة في مفرقى

وقيل لأنه قال في شعره

ما مقامى بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيح بين اليهود

ولقوله أيضاً:

أنا من أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

فشبه نفسه بعيسى بن مريم وصالح عليهما السلام وقد افتخر في هذه القصيدة بأبيات منها قوله:

مفرشى صهوة الحصا ن ولكنّ قميصى مسرودة من حديد

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

لا بقومى شَرُفتُ بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى

أن اكن معجباً فعجبُ عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد أنا

ترب الندى وربّ القوافى وسِمامُ العدا وغيظُ الحسود

قالوا ولما ظهر أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدى بمصر فأسره وتفرق عنه اصحابه وحبسه زمناً ثم استتابه وأطلقه بعد أن استعطفه المتنبى مراراً وبعث له وهو فى السجن بقصيدته التى أولها

أيا خَدّد الله وَرْدَ الحدود *** وقدّ قدود الحسان القدود

يقول في أثنائها يمدحه ويتنصل مما آتهم به

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

فأنجم أمواله في النّحوس وأنجم سؤّاله في السعود

دعوتك لما برانى البلى وأوهن رجلى ثقلُ الحديد

وقد كان مشيهما في النّعال فقد صار مشيهما في القيود

فلا تسمعَنّ من الكاشحين ولا تَعْبأنَّ بمحك اليهود

وكن فارقاً بين دعوى أردتُ ودعوى فعلتُ بشأوٍ بعيد

وبعد انطلاقه التحق بسيف الدولة بن حمدان [1] وأفرغ جعبة مدحه فيه ورثى أمه واخته وبعض أقاربه حتى مملوكه ونال منه حظوة تامة واكثر قصائده

[1] جاء عن سيف الدولة صفحة (٣٠) من كتاب الدر المخزون :- هو ابو الحسن على بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون وينتهى نسبه الى عمرو بن تقلب التغلبى وكان سيداً من سادات تغلب ولقبه الخليفة المستكفى بالله العباسى بسيف الدولة وولاه حلب وذلك في سنة ٣٣٠هجرية واخوه ناصر الدولة ابو محمد الحسن كان والياً على الموصل فلما قتل خلفه والده ناصر الدولة وكان سيف الدولة واسطة عقدهم مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلية الشعراء ويقال

المختارة كانت فيه ولم يقل في غيره مثله سوى كافور الأخشيدى ذلك لأن سيف الدولة كان عربياً صميماً عالماً بالشعر فطناً بجيده ورديئه حتى قال المتنبى ما رد علىّ أحد شيئاً فقبلته الا سيف الدولة أنشدته

وكأن بها مثل الجنون فأصبحت *** ومن جيف القتلى عليها تمائم

فقال لى مهْ قل ومن جثث القتلى فقبلت وقلت كما قال لى وهذه القصيدة من جيد مدحه فيه ومنها.

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً *** مضى قبل أن تلْقَى عليه الجوازم

وكيف ترجى الروم والروس هدمها*** وذا الطعن اساس لها ودعائم

يريد القلعة التى بناها سيف الدولة بثغر الحدث وغار عليها الدّمسْتق في خمسين الف فارس وراجل من جموع الروم والأرمن والبلغار والصقالب فصدهم عنها بمقتلة عظيمة

وقد حاكموها والمنايا حواكم *** فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتوك يجرون الحديد كأنهم *** سروْا بجياد مالهن قوائم

اذا برقوا لم تعرف البيض منهم *** ثيابهم من مثلها و العمائم

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه *** وفي أذن الجوزاء منه تمائم

تجمع فيه كل لسن وأمّه *** فما تفهمُ الحداث الاّ التراجِمُ

نجتزى هذا القدر من الحديث عن المتنبى وننتقل لموضوع آخر

ثانياً: الاستطراد والاسترسال عن طريق سرد القصص عن حياة الشخصيات التى يرد ذكرها في الرسالة والتوسع في ذلك بصورة تجعل الشرح يصلح مرجعاً لتلك القصة أو الشخصية لما يحويه من معلومات وافية ، وتفاصيل مهمة عن سيرة

إنه لم يجتمع بأحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه وكان أديباً شاعراً محباً لجيد المديح وأحب المتنبى وعلمه الفروسية وبه اشتهر اسمه ولد في ١٧ ذى الحجة سنة ٣٠٣ وتوفى بحلب في ٥ صفر سنة ٣٥٦.

الشخصية ، أثر الجهد المبذول فيها لا يحتاج إلى كبير دليل وكمثال على ذلك عند شرحه لقول ابن زيدون (وضحيتْ بالأشمطِ الذى عنوانْ السجود به)[1]

الضحاء بالمد أصله امتداد النهار كأنه اسم للوقت ومنه الأضحية وجمعها أضاحى والضحية وجمعها ضحايا أي الذبح وقت الضحى ثم كثر حتى قيل ضحى في أي وقت كان من أيام التشريق ويقال قتل فيها عثمان بن عفان رضى الله عنه وأيام التشريق ثلاثة بعد يوم النحر لأن لحوم الأضاحى تشرّق فيها أى تشرر في الشمس إلاّ أن ما فى التاريخ للطبرى لا يؤيد أن قتله رضى الله عنه كان فيها كما سيأتى وقوله بالأشمط اى الذى اختلط سواد شعر رأسه ببياضه وكان رضى الله عنه كذلك والعنوان بضم أوله وكسره كل شئ يستدل به عليه ومنه عنوان الكتاب واختلفوا في اشتقاق عنوان فزعم بعضهم أنه ماخوذ من العنوان أى الأثر وزعم آخرون أنه مأخوذ من قول العرب عنت الأرض تعنو إذا أخرجت النبات واعناها المطر أى أظهر نباتها وقيل مأخوذ من عنّ يعنّ اذا عرض وبدا والسجود الخضوع ومنه سجود الصلاة معلوم يشير الى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه.

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

من أبيات يرثى بها عثمان رضى الله عنه الذى قتل في داره بالمدينة وكان قد وخطه الشيب وسيأتى خبر مقتله عقب أخبار حسان بن ثابت رضى الله عنه

ذكر حسان بن ثابت الأنصارى الشاعر وبعض أخباره

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة من الخزرج ويكنى ابا الوليد وابا الحسام ويلقب ذا الآكلة شاعر فحل من فحول الشعراء ويقال إنه أشعر أهل المدر وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ومن المعمرين عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام وقيل أكثر وكان يقال أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعتدّون ستّة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد وعبد الرحمن وحسان وثابت والمنذر وحرام وكان معروفاً في الجاهلية

[1] الدر المخزون صفحة ١٨٧

بجودة الشعر وزاحم النابغة الذبيانى وعلقمة بن عبدة عند عمرو بن الحرث الغسانى وامتدحه بحضرتهما بقصيدته اللامية المشهورة ومنها

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلّق في الزمان الأول
يمشون في الحلل المضاعف نسجها مشى الجمال إلى الجمال البزل
الضاربون الكبش يبرق بيضه ضرباً يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون درياق الرحيق ولم تكن تدعى ولائدهم لنقف الحنظل
بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

الى أن قال مفتخرا بنسبه:

نسبى اصيل في الكرام ومذودى تَكوِى مواسمه جنوبَ المصطلى
ولقد تقلّدنا العشيرة أمرها وتسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاجِحَ سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابه فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور ابواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في البرية نعدل

ولما جاء الإسلام وانتظم في سلك الأنصار نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده ولذلك فضل على الشعراء بثلاث كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام وكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو من يهجوه فقال فيه اللهم أيده بروح القدس وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله عز وجل وعن رسوله وكان ثلاثة رهط من قريش يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن الزبعرى وابو سفيان بن الحرث وعمروبن العاص فتعرض لهم ثلاثة من

الأنصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فكان أشد القول عليهم قول حسان ثم كعب لأنهما كانا يعارضانهم بمثل قولهم في الوقايع والأيام وأهون القول عليهم قول ابن رواحه لأنه كان يعيرهم بالكفر فلما دخلوا في الإسلام وتفقهوا في الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة وكان لحسان رضى الله عنه لسان اسود يضرب به روثنة أنفه ويقول ما يسرنى به مقول'' بين بصرى وكنعان ولو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقّه ولما استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجو قريشاً قال كيف تهجوهم وأنا منهم قال اسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين فأذن له وقال ائت ابابكر الصديق فإنه أعلم الناس بأنساب العرب فاتاه فأعلمه فقال له كف عن فلان واذكر فلانا . فقال يهجو ابا سفيان بن الحرث

الا ابلغ ابا سفيان عنى فأنت مجوّف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمداً فأجبت' عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشركما لخيركما الفداء

في البيت الأخير كلام لأهل العلم لأجل خير وشر لأنهما من أدوات التفضيل وتقتضى المشاركة وإنما أجابه حسان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم

هجوت مباركاً برّاً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبى ووالدتى وعرضى لعرض محمد منكم وقاء
فاما تَثقفنّ بنى لؤى جذيمة ان قتلهم شفاء
اولئك معشر نصروا علينا ففى أظفارنا منهم دماء
وحلف الحرث بن أبى ضرار وحلف قريظة منا براء
لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

وابو سفيان هذا ابوه الحرث بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أخا النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعتهما حليمة بنت

أبى ذؤيب السعدية وأشبه الناس به فقيل إن قريشاً لما سمعت بشتمه قالوا إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن ابى قحافه يعنون ابابكر رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب بشعره ففي ليلة وهو في سفر قال أين حسان فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك قال أسمعنى شعرك فجعل ينشد والنبى صلى الله عليه وسلم يصغى اليه فما زال يستمع وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة تمس الورك إلى أن فرغ فقال صلى الله عليه وسلم لهذا أشد عليهم من وقع النبل وقال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان فشفى واشتفى فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه نهى الصحابة عن أن ينشدوا شيئاً من مناقضات الأنصار وقريش وقال إن ذلك فيه شتم الحى بالميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء به الإسلام وحديث وفد تميم باشرافهم وخطبائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعين رجلاً ودعاؤهم إياه للمفاخره وما قالوه من الخطابة والشعر وما رد به شماس بن قيس من الأنصار في الخطابة وحسان بن ثابت في الشعر حتى أذعنوا لهما بالتبرز عليهم في الفصاحة والبلاغة مشهور معلوم لا حاجة بنا إلى ذكره ولحسان رضى الله عنه ديوان من الشعر حوى كثيراً من أنواعه في المدح والنسيب والهجاء والمراثى ومما رثى به النبى صلى الله عليه وسلم (وهو كثير) قوله

كنتَ السواد لناظرى فَعَمى عليك الناظر

من شاءَ بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وإنما كان رضى الله عنه يوصف بالجبن فقد قيل أنه جبن يوم الخندق عن قتل يهودى طاف بالحصن وقد كلمته صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها أن ينزل إليه ليقتله فقال لها ما أنا بصاحبه فأخذت صفية عمودا ونزلت إليه من الحصن فضربته به حتى قتلته وأجابوا عنه بأنه ما كان يستطيع أن يضرب بيده شيئاً لأن أكحله مقطوع والأكحل عرق في اليد يفصد ولا يقال عرق الأكحل ومما عد عليه أيضاً إفاضته في حديث الإفك كما مر عليك فيما مضى من هذا الكتاب

وعاش رضى الله عنه زمن خلافة معاوية بن أبى سفيان وكان عثمانيا ومات في سنة أربع وخمسين هجرية بالمدينة أو سنة ٦٧٦ ميلادية والله أعلم إنتهى.

ذكر عثمان بن عفان رضى الله عنه وخلافته وموته.

هو عثمان بن عفان بن العاص وكنيته أبوعبد الله من بنى أمية احدى العشرة الأبطن المذكورة في نسب قريش ويلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بدرا وبذل نفسه في سبيل الله وجهز جيش العسره من ماله وسماه النبى صلى الله عليه وسلم ذا النورين لأنه تزوج بنته رقيه فلما ماتت عنده زوجة اختها أم كلثوم ووردت فيه أحاديث شريفة تدل على فضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم منها (اللهم إنى رضيت على عثمان فارض عنه اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت) . ومنها (إنى لأستحى ممن استحت منه ملائكة الرحمن) .ولما تغيب عن بيعة الحديبية وكان قد أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة في حاجة ضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان ولشمالى خير من يمينه وكان مولده بالطائف في السنة السادسة من عام الفيل فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وبويع له بالخلافة لليلة بقيت من ذى الحجة وقيل في أول المحرم سنة أربع وعشرين بأغلبية أهل الشورى التى قررها عمر رضى الله عنه قبيل وفاته كما هو معلوم ولما بويع خرج الى المسجد فرقى المنبر وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس انكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فقد أتيتم صبحتم أو مسيتم الا وان الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إعتبروا بما مضى ثم جدّوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا واخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً ألم تلفظهم إرموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً فقال عز وجل واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء إلى قوله آملاً الآية وأقبل الناس يبايعونه وخطب أيضاً فقال أما بعد فإنى قد حمّلت وقد

قَبِلْتُ الا وإنى متبع ولستُ بمبتدع الا وأن لكم علّى بعد كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسنّ سنّة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ والكفّ عنكم إلاّ ما استوجبتم الا وأن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إليها ولا تثقوا بها فإنها ليست بثقةٍ واعلموا انها غير تاركة إلاّ من تركها انتهى وفي أيام خلافته جمع القرآن وافتتح سابور وافريقيا وسواحل الأردن وسواحل الروم واصْطَخَرْ وفارس الأولى وطبرستان وكرمان وسجستان والأساورة ومكث يدبر أمر الخلافة اثنتى عشرة سنة إلاّ اثنتى عشرة ليلة حتى كان ماكان من أمور أنكروها عليه فقتلوه في داره مظلوماً رحمه الله ورضى عنه وكان السبب في ذلك على ما يقال أنه بعد أن ولى الخلافة اخذ في تولية الأحداث من قومه وآثرهم على من عداهم من كبار المهاجرين والأنصار حتى كاشفه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وقال إنك لم تسر سير سلفك عمر رضى الله عنه فأوطأت أهل بيتك وقرابتك رقاب المسلمين فقال له عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا اصل قرابتى في الله فقال له عبد الرحمن بن عوف لله علىّ أن لا أكلمك ابدا فلم يكلمه حتى مات ولما تمادى الأمر اجتمع بعضهم وكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من هبته خمس افريقية لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وماكان من تطاوله في البنيان حتى عدّوْا سبع دور بناها بالمدينة وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وماكان من افشائه الولايات في أهله وبنى عمه أحداث'' وغِلْمَة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور وماكان من الوليد بن عقبة عامله بالكوفه إذ صلى بهم الصبح سكران أربع ركعات وتعطيله اقامة الحد عليه إلاّ بعد أن كلم فيه وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم ولا يستشيرهم في شئ واستغنائه برأيه وماكان من الحِمَى الذى حمى حول المدينة وماكان من إدراره العطايا على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبى صلى الله عليه وسلم ولا يغزون ولا يذبّون وماكان من مجاوزته الخيررانة الى السوط وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس ثم تعاهد القوم

ليدفعن الكتاب في يد عثمان فدفعه إليه عمار بن ياسر رضى الله عنه فقرأه وقال له أأنت كتبته قال نعم قال ومن معك قال معى نفر تفرقوا فرقاً منك قال من هم قال لا أخبرك بهم قال فلم اجترأت علىّ فقال مروان بن الحكم وكان حاضراً يا أمير المؤمنين انّ هذا العبد الأسود قد جرّأ الناس عليك وانك إن قتلته نكلت به وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه حتى غشى عليه وجروه وطرحوه على باب الدار فغضب له بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الصبح عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار لنقتلن به عظيماً من بنى أميه فقال عثمان لست هناك وكانت من عثمان هنات الى عبد الله بن مسعود وأبى ذر الغفارى فكانت هذَيْلٌ وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لابى ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم أيضاً قد حنقت على عثمان رضى الله عنه بحال عمار بن ياسر ثم إن عبد الله بن أبى سرح عامله بمصر ضرب رجلاً ممن أتى عثمان يشكو اليه فقتله فذهب هدراً وكان كلما شكى الناس أمره إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه أرسل الحسن ابنه إليه فلما أكثر قال له يوماً إن أباك يرى أن لا أحد يعلم ما يعلم ونحن أعلم بما نفعل فكف عنا فلم يبعث على رضى الله عنه ابنه في شئ بعد ذلك قالوا وقبلها قال له علىّ رضى الله عنه وقد سأله الناس أن يكلمه إن الناس قد كلمونى أن أكلمك والله ما أدرى ما أقول لك وما أعرف شيئاً تنكره وما اعلمك شيئاً تجهله ما ابن الخطاب بأولى بشئ من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وإن الطريق لبين واضح تعلم يا عثمان ان أفضل الناس عند الله امام عدل هدى وهدى فأحيا سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة وأن شر الناس عند الله إمام ضلالة ضلّ وأضلّ به فأحيا بدعة مجهولة وأمات سنة معلومة وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالإمام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا عازر فيلقى في جهنم فيدور دورة الرحى يرتطم بجمرة النار إلى آخر الأبد وأنا احذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه يقال يقتل في هذه الأمة إمام يفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيامة يمرجُ

بهم في أمرهم ويمرجون فقال له عثمان رضى الله عنه أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت' عليك وكلمته أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى تعظه فقالت يا بنى مالى أرى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين لا تعف طريقاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها ولا تقتدح بزندٍ كان عليه السلام أكباه توخى حيث توخى صاحباك فانهما ثكما الأمر ثكما[1] ولم يظلما هذا حق أمومتى قضيته إليك وإن عليك حق الطاعة فقال عثمان رضى الله عنه أما بعد فقد قلت فوعيت' وأوصيت فقبلت ولى عليك أن تنصتين لما أقول ان هؤلاء النفر رعاع ثغر تطأطأت لهم تطأطؤ الدلاء وتلددت لهم تلدد المضطرب فأرانيهم الحق اخوانا وأراهمونى الباطل شيطانا أجررت المرسون رسنه وأبلغت الراتع مسقاته فتفرقوا على فرقاً مضى من صمته أنفذ من صول غيره وساع أعطانى شاهده ومنعنى غائبه فأنا منهم بين ألسنٍ لدادٍ وقلوب شداد وسيوف حداد عذرنى الله منهم أن لا ينهى عالم منهم جاهلاً ولا يردع أو ينذر حليم سفيها والله حسبى وحسبهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قالوا وأتاه وفد من أهل مصر يتظلمون إليه من واليها عبد الله بن سعد ين أبى سرح وأنه لما سمع شكواهم أمر بعزله وولى محمد بن أبى بكر رضى الله عنه مكانه ولما سار محمد بمن معه قاصداً مصر زور مروان بن الحكم كاتبه كتابا لابن أبى سرح وختمه بخاتم عثمان وفيه إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل على قتلهم وقرّنى عملك حتى يأتيك رأيى واحتبس من جاء يتظلم منك وبعث مروان بالكتاب عبداً من عبيد عثمان فضبطوه في الطريق وأخذوا الكتاب منه وقرأوه فرجع محمد بن أبى بكر بمن معه الى المدينة وجمعوا على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعدا رضى الله عنهم أجمعين ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا وعرضوا الكتاب على عثمان رضى الله عنه وقالوا كتبت فينا كذا وكذا فقال إنما هما ثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذى لا إله إلاّ هو ما كتبت ولا أمليت' ولا عملت' وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم قالوا قد

[1] اى اقتصا الأثر أو لزما الطريق

أحل الله لنا دمك وحصروه في الدار وكان رؤساء الوفود أربعة قواد كنانة بن بشر وقيل عبد الرحمن بن عديس البلوى التجيبى الذى عناه عقبه بقوله بعد قتل عثمان رضى الله عنه الاّ أن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبى الذى جاء من مصر وسودان بن حمران المرادى وعمرو بن الحمق الخزاعى وابن النباع الليثى ومن معهم من قومهم وطلبوا إليه واحدة من ثلاث ليس عنها بد أن يخلع لهم أمرهم أو يقتصى من نفسه أو هم قاتلوه. فقال لهم أما أن أخلع نفسى فما كنتُ لأخلع سربالا سربلنيه الله فيكون سنة من بعدى كلما كره القوم إمامهم خلعوه وأما أن أقتص من نفسى فوالله لقد علمتُ أن صاحبى بين يدىّ كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص وأما أن تقتلونى فلئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى ابدا ولا تصلون بعدى جميعاً ابدا فتفرقوا عنه ويقال أنهم سألوه أن يسلم لهم مروان بن الحكم ليحاكموه على تزويره الكتاب فأبى عليهم وكان مروان أصل الشر ثم لزم بيته رضى الله عنه وألان جانبه وحذر كل من يريد نصرته على أن يقاتل أحدا وأشرف عليهم مرة فقال لهم إنه لا يحل سفك دم امرئ مسلم إلاّ في احدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس فهل أنا في واحدة منهن فما وجد القوم له جوابا ثم قال انشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعةٌ من اصحابه أنا أحدهم فتزلزل الجبلُ حتى همّتْ حجارته أن تتساقط فقال اسكن حراء فما عليك إلاّ نبىّ وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى ورب الكعبة قلت وهؤلاء التسعة هم ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد ولم يذكر بينهم ابوعبيدة وهو عاشر العشرة المبشرين بالجنة ثم خطب رضى الله عنه خطبته التى قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس والله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله وما جئت شيئاً الاّ وأنا أعرفه ولكنى منتنى نفسى وكذبتنى ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زل فليتب ولا يتمادى في الهلكة ان من تمادى في الجور كان ابعد عن الطريق فأنا أول من اتعظ استغفر الله مما فعلتُ وأتوب اليه فمثلى نزع وتاب فإذا نزلت فليأتنى

اشرافكم فليروني رأيهم فو الله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد ولأكونن كالمرقوق ان ملك صبر وان اعتق شكر وما عن الله مذهب إلاّ إليه فلا يعجزن عنكم خياركم ان يدنوا الى لئن ابت يميني لتتابعني شمالى قال فرق له الناس يومئذٍ وبكى من بكى منهم ولم يشأ الله أن تهدأ الفتنة الى أن انتهت أخيراً بقتله في داره مظلوماً بعد أن حوصر فيها أربعين ليلة قالوا تسوّر عليه الحائط محمد بن أبي بكر مع آخرين من دار عمرو بن حزم الأنصارى ويقال أن محمداً تراخت يده لما قال يا ابن أخي لو راك ابوك لساءه مكانك ولكنه غمز أحد اصحابه فوجأه بمشقص حتى قتله وقيل ضربه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما إنها أول يدٍ خطّت المفصّل[1] واختلفوا فيمن قتله فبعضهم يقول نيار بن فيض وبعضهم يقول سودان بن حمران والله أعلم بحقيقة ذلك وكان قتله لثماني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وعمره اثنتان وثمانون سنة ودفن بالبقيع وقيل بحشّ كوكب ليلاً.

[1] يريد بالمفصّل سوراً من القرآن من الحجرات فنازلا في أصح الأقوال سميت بذلك لكثرة الفصول بين سورها أو لقلة المنسوخ منها.

الفصل الرابع

المقارنة والموازنة بين الشرحين

المبحث الأول

مدخل:

لابد من الإشادة في مستهل الحديث (عن المقارنة والموازنة بين الشرحين للأديبين الكبيرين صلاح الدين أيبك الصفدى وابوبكر محمد عليم.) بحسن اختيارهما لرسالة أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون المولود في ٩٣٤هـ الموافق ١٠٠٣م والمتوفى فى ١٠٠٤هـ الموافق ١٠٧١م. من فحول شعراء الأندلس ومن مشاهير أدبائها المسلمين ، التى بعث بها إلى أبى الوليد محمد بن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس ، أيام اعتقاله ، التى عرفت – بالرسالة الجدية – وذلك لما لكاتبها الشاعر المشهور ، والناثر البليغ ، من شهرة وذيوع صيت. إذ أن رسائله أشبه بالمنظوم منها بالمنثور. وكان يسمى بحترى الغرب. ذكره ابن بسام في الذخيرة ، وقال عنه :(كان ابو الوليد غاية منثور ومنظوم وخاتمة شعراء بنى مخزوم. أخذ من حر الأيام حراً ، وفاق الأنام طراً ، وصرف السلطان نفعاً وخيراً ، ووسّع البيان نظما ونثرا ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه . وحظ من النثر غريب المبانى ، شعرىّ الألفاظ والمعانى). كذلك حفلت رسالته الجدية ببديع الاستعارات ، ومحاسن الكنايات ، وضروب الأمثال ، وروائع اللمح التاريخية ، والإشارات العلمية . فاصبحت مائدة شهية تزخر بما لذ وطاب . الأمر الذى مكن الأديبين الشارحين من أن يميطا اللثام عن شواهدها التاريخية ، ويبينا ما غمض من معانيها اللغوية ، ويسلطا الضوء على أسلوبها العذب السلس ، وبلاغتها التى لا تجارى . فتوسعا فى شرح تمام متونها ، ودرها المخزون بل وجوهرها المكنون . فجاء شرحاهما قمة سامقة في البلاغة ، وروعة ودقة في البيان . خصبا الأدب بشرحيهما ، بما تفتقت بهما قرائحهما الوقادة من ذخائر

وقصص وحكايات. فقد صدق شاعر العرب الكبير الشيخ فؤاد الخطيب إذ قال عن شرح ابن عليم[1]

أوحى ابن زيدون إليك بسره *** فشرحت من مكنونه ما يغلق
وجعلت من تلك الرسالة جنة *** غناء تأرج بالعبير وتعبق
أنضرتها ورويت غرس بيانها *** فتكاد أوراق الرسالة تورق
وجلوت من ألفاظها فكأنما *** في كل لفظ عبرة تترقرق

فأصبح شرحاهما كنزاً من كنوز الأدب . أضفى عليه كل منهما من فرديته ما أضفى فصار لكل شرح نكهته ، وطعمه ، وأهميته التى ينماز بها عن الآخر.

الشرحان جريا في تطويل من غير إملال ، واستطراد جم الفوائد . والشارحان – بهذا العمل – قد كشفا النقاب عن أدب كتابة الرسائل ، وبسطا بالايضاح ما كان موجزاً . وبنهجهما هذا رفعا الستار عما تزخر به الآداب العربية النفيسة من علوم وفنون وعجائب ، لا يأتى عليها الزمن. بل يجلوها الطرق ويجلب الشرح إليها الأنظار ، ويكشف عنها غبار الزمن. كما أنه يغذيها بما يتمتع به الشارح من غزارة في العلم ، وسعة في الاطلاع . مما يجعل الرسالة كأنها الروضة المؤنقة التى تحفل بأطيب الثمار وأشهاها . فإن القارئ لا يمل السير بين أشجارها يقتطف من ثمارها مختلفة الألوان متعددة الطعوم . فلا يحس بالزمن وهو بين هذه الحدائق الغناء . ولعمرى فإن في هذا العمل خدمة جليلة للأدب ، واحتفاء كبيراً بالتراث ، وما بذله السابقون من جهد وعناية باللغه والآداب. وقد خدما بهذا العمل الجليل العربية ، بتسليط الضوء على فترة زاهية زاهرة في الأندلس حاكت المشرق العربى في كل شئ . حتى إن صاحب الذخيرة ليقول " أبو إلاّ متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتاباً محكما "[2]. وألف ابن عبد ربه الأندلسى " العقد الفريد" فلم يجمع فيه

[1] الدر المخزون صفحة ٣٩٢

[2] **الذخيرة المجلد الأول صفحة ٢**

شيئاً من الآثار الأندلسية ، وإنما جمعه من الآثار المشرقية ، ويروى أن الصاحب بن عباد اطلع عليه ، فقال عبارته المشهورة : " هذه بضاعتنا ردت إلينا " [1]

ولقد ابتدر كل من الأدبيين شرحه بالحديث عن رسالة ابن زيدون التى خطها لابن جهور فقد قال عنها الأستاذ الأديب صلاح الدين أيبك الصفدى [2] (فإن رسالة ابن زيدون التى كتبها لابن جهور ، من الرسائل الطنآنه ، والخمائل التى لا يذوى زهرها وحمائم غصونها بالتغريد رنانة ، و الفضائل التى لا تزال محاسنها على من حاول معارضتها منانة ، قد أبرزها منشئها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر المخبوء في أكمامه ، أتعبت من يجاريها فما تشق الغبراء لها غباراً ، ولا يبيت داحس ذا حس في مباراتها فهو في أصله وفرعه يتمادى ويتمارى ، ولا يملك البرق المتألق إذا سار على أثرها إلاّ عثاراً ، مشحونة بما فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وحلّ الأبيات الأبيات في الانقياد على الرجال ، نمط في الإنشاء غريب ، وحلاوة ألفاظ ليس الضرب لها بضريب ، وطلاوة عبارة ما تريب ، إنها تحلى الأجياد والتريب لم تر فيها من البلاغة ترفيها ، ولم تجد فيها لفظة تحويها ، ولم تنظر معانيها إلاّ وهى تطوى المحاسن وتطويها) . ثم استشهد بأبيات للمتنبى استهلها بقوله:

لديها رياض لم تحكها سحابة و أغصان دوح لم تغنِّ حمائمه

أنظر كيف ألهمت كلمات الرسالة هذا الأديب ما ألهمت فجرت عباراته مسجوعة سلسلة هى إلى النظم أقرب منه إلى النثر ، ولنتأمل كيف استطاع ابن زيدون أن يحرك كوامن هذا الأديب فأمطرت نرجساً من العبارات الرقراقة وهكذا الكبار دائماً يلهبون المشاعر فتشتعل وهكذا ترسل الدرر.

أما أديبنا ابوبكر محمد عليم فقد عاد من غرب السودان بعد أن أصابته الحمى فخلد إلى الراحة وأثناء ذلك اطلع على رسالة ابن زيدون في المجلد السادس من مجلة المقتبس التى أنشأها الكاتب الأديب محمد كرد بدمشق فاستهوته الرسالة وشغلته أيما شغل فقال عنها [3] (وفيها ضروب من البلاغة تسحر العقول وتخلب

---

[1] معجم الأدباء لياقوت (طبعة فريد الرفاعى) ٢١٤/٤

[2] تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة (٣)

[3] الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة (٤)

الألباب شمم في استعطاف وتواضع في استنكاف وحرارة فؤاد تذيب الصفاة الصماء وشكوى حال ترق البهيمة العجماء فجعلت أكرر تلاوتها . واستطعم حلاوتها وكلما فرغت منها عدت إليها (والمكرر أحلى وأغلى) وتمنيت لشدة اعجابى بنمطها العجيب وأسلوبها الغريب أن يشاطرنى كل قارئ وسامع الإلمام بمعانيها واستيطان مغانيها لصوغها في قوالب الاستعارات المجازية والأمثال الرائقة العربية بما بعثنى الى البحث عن شرح لها يشبع الغرثان ويروى الظمآن كى يسهل على المبتدئ فهمها كما سهل على العالم علمها).

انظر أخى القارئ إلى الكبار كيف تحركهم الكلمة وتثيرهم العبارة ، فينزعجوا ، وتتحرك كوامنهم كأنها البراكين المتدفقه ، وهم في نشوة السكر يودون مشاركة الآخرين فهم يرددون مع المعرى قوله :

فلا هطلت علّى ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

أعود فأقول كيف امتلك ابن زيدون ناصية الكلم وأودع فيه من روحه وحرارته ما حرك أديبنا ابن عليم الذى عاش بعده بما يقارب الألف عام ؟ كيف احتفظت الكلمة العربية بهذه الحرارة وهذا الدفء؟ ! هذا سر أودعه الله في لغة الضاد !

الناقد فنان:

أولاً: لابد أن أشير في بداية حديثى عن النقد الأدبى أن الناقد فنان . والفنان ألهمه الله حساً مرهفاً ، يرى ما لايراه الإنسان العادى ، ويحس بما لا يحس به الإنسان العادى . فإن النحات مثلاً إذا نظر إلى تمثال أبى الهول فإنه يرى صورة متكاملة لكل المشهد ، كما أنه يرى في ذات الوقت صورة مفصلة لدقائق جزئيات التمثال. ويلاحظ من الدقائق ما لا يلاحظه الشخص العادى . فالفنان يرى الصورة الكلية والصور الدقيقة الجزئية في ذات الآن. وقد قيل " إنما سمى الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره "[1] بهذا الفهم فإن النقد إحساس يستشعره الإنسان عندما يرى لوحة او عندما يطالع نصاً شعرياً أو نثرياً ، ومن هذا المنطق

[1] نظرات في أصول الأدب والنقد د. بدوى طبانة شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ص ٢٤١

أو المنطلق يحق لكل شخص أن يبدى رأيه فيما يقرأ أو يشاهد " وفوق كل ذى علم عليم "[1]

لعل هذا المنطق أو المنطلق هو الذى أباح لى وأعطانى الحق في الحديث عن هذين الأديبين الكبيرين ، صلاح الدين أيبك الصفدى ، وابوبكر محمد عليم. وغنى عن التنبيه أن أقول أنهما رقمان في الأدب نظمه ونثره ، و استاذان في كل أولئك ، لا يشق لهما غبار ، أغنيا الساحة الأدبية بعلمهما الثر الوفير ، وفكرهما الخصب المتدفق ، وآرائهما القوية الشجاعة . وقد أبدعا أيما إبداع ، واظهرا جملة من القدرات الأدبية والذوق الرفيع . وإنى لأطمح بل أطمع في أن أسلط الضوء على شرحيهما بصورة تظهر رونقه وتلفت النظر إليه ، ثم أبدى في تواضع جم رأيى ووجهة نظرى . والله هو المسئول أن يكلل مسعاى بالعون والتسديد ، ويدفعنى لامضى في طرقات هذا الوادى الخصيب.

ثانياً: هذان الشرحان يتسمان بخصائص كثيرة. ويظفران بمعلومات وفيرة ، فهما مصدران لأدب السيرة الذاتية ، وللعديد من الشخصيات اللامعة في الحياة الانسانية على مر العصور والأزمان ، كما أن فيهما ثروة غزيرة من شعر ونثر ، وعلوم شتى ، ماكان يمكن أن تتاح لهما هذه الفرصة لولا هذه الرسالة الفريدة " الرسالة الجدية " التى خطها – الشاعر ، الناثر الذى سارت بصيته الركبان – ابن زيدون . الأمر الذى مكنهما من التصدى بالبحث والإستقصاء لما حوته الرسالة البديعة من حكم وأمثال وغزوات وغير ذلك فاتحفا العربية بهذين الشرحين الوافيين.

ثالثاً: بما أن الكتابين لم يلتزما بتبويب معين ، أو بفصول محددة ، فإن حديثى عنهما يشمل مسائل أساسية تتعلق بالأسلوب واللغه والموضوعات والتقييم العام.

---

[1] سورة يوسف أية (٧٦)

المبحث الثانى

الأسلوب

الأسلوب هو الجوهر عند التعبير ، فإن الكلمة ومعناها هما قوامه ، ومرتكزاته الأساسية ، فإن امتلك الكاتب خيوط موضوعه التى ينسجه بها. جاء موضوعه جيد الحياكة ، حسن السبك ، وإلاّ اضطربت الكلمات لعدم تمكن الكاتب وهيمنته على موضوعه . ولتشتت أفكاره ولعدم تمكنه من إختيار الألفاظ المناسبة التى توضح ما يريد. إذ أن الأسلوب في حقيقة الأمر انعكاس لشخصية الكاتب . فإن الكاتب المتمكن يستخدم الكلمات بطريقة متكاملة فيعطيها أبعادها المناسبة فتنير للقارئ الطريق كاشفة عن سهوله ، وهضابه بل وتضاريسه المختلفة فيسير القارئ على ضوء إشعاع الكاتب بعين مفتوحة ، وبصيرة دراكة . ترى الأمور بوضوح ، وتستبين الأفكار بجلاء – كل أولئك والكاتب يقوده من وراء عقله حتى يبلغ به الغاية المرجوة ، والهدف المنشود ، في اناة وتؤدة.

يقول الناقد الإنجليزى رأ اسكوت عن الأسلوب " يعنى الأسلوب الطريقة التى تستعمل بها الكلمات لغرض التعبير ، فالقدرة على التعبير هى ، جوهر المسألة كلها ، فهى تتضمن درجة الكمال ، أو عدم الكمال التى يعبر بها الكاتب عن المعنى ، فيتوجب أن تضطرب اللغه إذا كان التفكير الذى خلفها مضطرباً ، ولايمكن إن تكون واضحة إلاّ إذا كان التفكير سليماً " [١]

على هذا الفهم فإن الكاتب واسع الإطلاع ، غزير العلم والمعرفة ، مستبين الفكرة ، يكون سلس العبارة ، مستقيم الأسلوب ، ولابد أن يجئ أسلوبه انعكاساً طبيعياً لشخصيته ، وتعبيراً عن ذاتيته التى ينماز بها عن القطيع ، إذ أن حقيقة الأسلوب هى جملة أفكار الكاتب التى يحملها ولقد صدق دى كوينس [٢] الذى يقول إن الأسلوب يجب أن يكون " تجسيداً للتفكير".

---

[١] جريدة الرأى العام السودانية العدد ٢٨٠٤ بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠٥م ملحق الرأى العام الثقافى.

[٢] جريدة الرأى العام السودانية ٢٨٠٤ ملحق الرأى العام الثقافى

ولما سبق القول أن الأسلوب يعبر عن ذاتية الكاتب ، فإنه يختلف من كاتب لآخر ، ومن مؤلف لآخر ، بل ومن موضوع لآخر ... إذ تتحكم في نوعية الأسلوب عوامل شتى لعل من أهمها الكاتب نفسه.

– أى فرديته وأفكاره وثقافته وبيئته – والموضوع ومادته ثم اختلاف إدراك المخاطبين وذلك استناداً على قوله عليه الصلاة والسلام " نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " [1] فإن اختلاف تفاوت أفهام المخاطبين يؤثر في نوعية الأسلوب تعقيداً وتبسيطاً ، تطويلاً وإختصاراً. كما أن المقام المعين يملى على الكاتب أسلوباً محدداً ، وموضوعاً محدداً فإنه كما يقولون " لكل مقام مقال ، ولكل حدث حديث " . وعلى هذا الأساس على الكاتب أن يراعى نفسية القارئ و حاجاته ليعمل على تلبيتها.

وهناك اسلوبان يمكن أن ينتهجها الكاتب [2] :

أولهما: الأسلوب العلمى وهو يتضمن عرض الآراء مع إقامة البرهان والدليل والإثبات دون تعصب مع تحكيم العقل والمنطق . والإستناد إلى النظريات العلمية الصحيحة والأقوال الراجحة ، والتفسيرات الموضوعية ، والحصافة في ترجيح الآراء بالإستناد إلى المراجع والمصادر العلمية الموثوق بها.

وثانيهما : الأسلوب التربوى .. وهو يقوم على الحرص على نقل المعلومات بأمانة وموضوعية ودقة دون الإعتماد على الآراء الضعيفة غير الموثوق بها مع التنويع في الأسلوب بقصد دفع الملل والسأم في نفس القارئ وجعله متفاعلاً ومشدوداً مع المادة المقروءة ولن يتأتى ذلك إلاّ بصدق الكاتب ، وإيمانه مما يكتب وبذا يجمع، بين التربية والتعليم فإن فاقد الشئ لا يعطيه.

يتضح مما سبق أن الأسلوب أياً كان نوعه هو محور الأمر كله . فإن اضطراب الأسلوب دليل على اضطراب الأفكار ، وعدم وضوحها . كما أن الأسلوب الحقيقى يكون دقيقاً دقة إدراك الكاتب. والكاتب المتمكن يستخدم أفانين

---

[1] أخرجه الديلمى في مسند الفردوس

[2] ابن عرب المالكى الأشبيلى وتفسيره أحكام القرآن د.مصطفى ابراهيم المشنى دار الجيل بيروت – دار عمار عمان صفحة (٨٧)

الحيل لياسر القارئ ويؤثر عليه بإستخدام الأسلوب المنمق ، المقنع ، الذى يتخير وينتقى الكلمات القوية المليئة بالحياة والحيوية ذات البريق المؤثر الجاذب للقارئ فإن للكلمات جرس يسمع الصم ..قال الشيخ عبد الغنى النابلسى:[1]

ولا تسمع الأصوات إلاّ بسمعها : فإنك إن تسمع بها تسمع الصما

ألم يقل المتنبى :[2]

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى **** وأسمعت كلماتى من به صمم

فإن الكلمة عنصر أساسى في الأسلوب وقد قال بن جونسون [3] " الكلمات والمعنى ، هما كالجسد والروح في كل كلام" كذلك قال العتابى [4] " الألفاظ أجساد ، والمعانى أرواح ، وإنما تراهما بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخراً أو أخرت منها مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد الى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الجبلة ". فالأسلوب هو نفسُ الكاتب بل بصمته المميزة يقول د. محمد البسيونى [5] " الأسلوب يمثل الشخصية للفنان التى تنعكس من فنه ، فهى بصمته المميزة ويمكن بها التعرف على شخصيته " . بينما قال أحمد الشائب عن الأسلوب [6] " . يعتمد على تخير الكلمات الفصيحة الدقيقة المعنى المتلائمة مع اخواتها ليجمع بين وضوح التفكير وجمال التصوير ". بينما يقول ابو هلال العسكرى [7] " الأسلوب هو العبارة اللازمة لنقل أو اظهار ما فى نفس الأديب من تلك المعانى المعنوية ، فقد صار الأدب ينحل إلى هذه العناصر الرئيسية"

أما شوبنهار فيقول [8] " الأسلوب هو تقاطيع الزمن وملامحه وهو أكثر صدقاً ودلالة على الشخصية من ملامح الوجه"

---

[1] ديوان الحقائق ومجموع الرقائق – الشيخ النابلسى صفحة (٦٥) ج ٢

[2] شرح ديوان المتنبى وضعه عبد الرحمن البرقونى الجزء الرابع صفحة (٨٣)

[3] جريدة الرأى العام السودانية العدد ٢٨٠٤ ملحق الراى العام الثقافى

[4] تاريخ النقد الأدبى إلى القرن الرابع الهجرى (١) د. محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر صفحة (٢٩٠)

[5] الفن التشكيلى د. محمد اليسيونى ط ١ عالم الكتاب القاهرة ١٩٨٠ صفحة ١٨٤

[6] الأسلوب – أحمد الشايب ط (٣) مكتبته النهضة المصرية الاسكندرية ١٩٣٩ صفحة ٠٤٠)

[7] الصناعتين – لأبى هلال العسكرى – تحقيق محمد أبو الفضل ومحمد البجاوى صفحة (٦٣)

[8] قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث د. محمد زكى صفحة (٣)

أما أرسطو فيقول عن الأسلوب [1] " إن كمال الأسلوب أن يكون واضحاً دون اسفاف"

بعد هذا المسح عن النقد والأسلوب نستعرض شيئاً عن أسلوب الأديبين الكبيرين.

أسلوب الأديبين (الصفدى وابن عليم) عود على بدء

لقد نحا الأديبان الصفدى وابن عليم في أسلوبهما منحى تحررا فيه من الغموض ، وإن نمقا اللفظ وصيراه جزلاً . ولقد مزجا في كل أولئك بين التراث القديم من سير العظماء . وعيون الشعر العربى ، والقصص ، والحكايات ، وبين ثقافتيهما. فجاء اسلوبهما يتسم بذاتية كل منهما .. ويتفرد في كثير من عباراته بمتانة الحبكة ، وسلاسة الأسلوب ، ودقة البيان ، ووضوح الرؤية. وقد أضفيا عليه من وافر علمهما ما جعل القارئ يستمتع وهو يجول بين ثنايا الشرحين. وهما بهذا قد كشفا النقاب عن أدب الرسائل في بلاد الأندلس ، – المرآة الصادقة لأدب الشرق – كان ذلك في عهد زاهر من عهودها ، وعلى يدى أديب فذ ، وكاتب ملهم هو ابن زيدون.

كان الأديب منهما يجئ بنص من الرسالة ثم يشرع في شرحه فتلمح الآراء تنصب انصباباً ، والعلم يتدفق تدفقاً ، بينما هما يكشفان المخبوء والمكنوز من وراء العبارات . لذلك لم يعد شرحاهما مجرد شرح لرسالة أدبية ، إنما اصبح كشكولاً وموردا عذباً ، ومرجعاً لا غنى عنه في مجال الثقافة والشعر والتاريخ والأدب والإجتماع. لأنه يمد القارئ بمعلومات متنوعة ووافرة في شتى النواحى.

ولئلا يكون إطرائى على الأديبين غير مدعم فسأسوق نماذج من أسلوبيهما:

---

[1] كتاب الأسس الجمالية في النقد العربى عرض وتفسير ومقارنة – الطبعة الأولى ١٩٥٥

في البدء يقول ابن عليم واصفاً رسالة ابن زيدون[1] " وفيها ضروب من البلاغة تسحر العقول وتخلب الألباب شمم في استعطاف وتواضع في استنكاف وحرارة فؤاد تذيب الصفاة الصماء وشكوى حال ترق لها البهيمة العجماء فجعلت اكرر تلاوتها. واستطعم حلاوتها وكلما فرغت منها عدت إليها (والمكرر أحلى وأغلى).

تأمل ! كيف تترى العبارات في بلاغة متناهية ؟ لا صنعة فيها ولا تكلف .. وكيف يرسل أديبنا السجع والاستعارة والتشبيه في عذوبة وسلاسة ؟ فيحبب إليك الرسالة ، بتصويره الدقيق ، وخياله الرائع ، مما يدل على صفاء فكرى ، وذوق أدبى ، وقدرة فنية ، وتسخير للأسلوب يمنحه قوة وتأثيراً وحسناً.

ثم إنه بعد أن هيأ الأسماع وشوق القراء ، راح يستعظم مهمة الشرح في تواضع العلماء والأدباء اسمعه يقول [2] " ولكنى استعظمت الإقدام عليه لأنى لم أكن من رجال هذا الميدان ولا ممن سبق له الإستنان في حلبة البيان ولا سيما أن المتصدى لهذا العمل قلما ينجو من أسنة النقد وسهام القذع ولطالما كان الإنسان في فسحة من أمره ما لم يقل قولاً أو ينظم شعراً فإن أصاب استهدف وإن أخطأ استقذف فما أحرانى أن أنزوى خلف الستار وتأمن نفسى زلة العثار . لذلك ترددت بين الإقدام والإحجام ولجّت في العناد وشمست في القياد وهى تناجينى في سماحة أهل الأدب وتساهلهم ما يحملها على حسن الظن بهم فيتجاوزون عن هفواتى ويغتفرون زلاتى فأخذت استجمع الأدلة واستحضر الشواهد التى كانت تجيش في صدرى وتتوارد على مخيلتى".

وبالنظر إلى أسلوبه نلمح العذوبة في إيراد المجاز والمحسنات البديعية ، في تظاهرة أدبية متحدة القيادة ، سهلة الألفاظ ، مع انسجام تام بين اللفظ والمعنى ، مما يشبه اللوحة الفنية التى لا نشاز فيها ولا غلو.

كما أن أديبنا ابن عليم يميل أحياناُ إلى استخدام الأسلوب العلمى ، ليقوى بالمنطق السليم ، والفكر المستقيم أمراً ما ويدعمه بما يحفظ من شعر و امثال اسمعه

---

[1] الدر المخزون صفحة (٤)

[2] الدر المخزون صفحة (٥)

يقول [1] " فإن الدلاء البطيئة في السقى هى الأكثر امتلاء والسحاب المتثاقل في مشيته هو الأكثر مطراً فمدح البطء والثقل في هذه الجملة وإن يكن من لوازمهما الذم تفنناً واقتداراً . ويعجبنى ما حفظته قريباً من هذا المعنى من قول أحمد شوقى بك شاعر مصر الشهير في مدح أميرها. وكان قد أبطأ عليه قليلاً في وعد وعده به:

تمر الوعود كمر السحاب **** ووعدك كالبحر يمشى ا لمهل
يعم العباد ويغشى البلاد **** إذا الغيث في أرض قوم نزل
ويا رب ريث أفاد الجزيل **** إذا ما أفاد اليسير العجل

الريث هنا : هو البطء . وجاء في المثل رب عجلة وهبت ريثاً ويروى تهب' ريثاً.

غير أن الغالب على أسلوب الأديب ابن عليم هو الجودة والسلاسة وأنه يحفل بالعديد من الصور البيانية التى تعطى المعنى قوة و الأسلوب تماسكاً كالتشبيه والسجع وغير ذلك . فهو يقول عند حديثه عن البحترى [2] " والمتأمل فيه يرى أن الفاظه مصقولة كالمرآة وحواشى نظمه مطرزة كالثياب الموشاة وقلما يجد فيه كلمات نافرة أو معنى مبتذلاً بل هو السهل الممتنع والمورد الصافى يدخل إلى القلب فيعقله الفهم ويستلذه الطبع ولم أر من برّز عليه في مدح الخلفاء والأمراء خاصة فكأنه خلق للمديح أكثر مما خلق له من أنواع الشعر".

كما أن الأديب ابن عليم يتمكن ببراعة أسلوبه ، وقوة خياله ، وسعة حيلته ، ودقة تصويره من أن يبدع فيما أوجز ابن زيدون في رسالته تابعة يقول [3] " ولم ضاقت مذاهبى واكدت مطالبى وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالإياب".

ويشرح الأديب ابن عليم فيقول " ولأى شئ ضاقت مسالكى وردت مطالبى ورضيت من العظيم بالحقير بل كيف أرجع من غنيمة أفضالك وعظيم إنعامك خائباً مخذولاً أتمنى السلامة من الهلاك بعد الرفاهة والجاه وكأنه لعلو همته وكبر نفسه لم يرض بما نبه إليه المثلان من الرضاء بالحقير والقناعة بالسلامة فهو ينكر صغار

---

[1] الدر المخزون صفحة (٨٤)
[2] نفس المصدر صفحة (٩٠)
[3] نفس المصدر صفحة (٢٧٦)

الأمور ويطمح إلى معاليها. وقد ذم بعضهم القناعة بالقليل فقال إنها من خلق البهائم إذا وجدت أكلت وإذا لم تجد باتت على خسف وأنشد للمتلمس الشاعر:

إن الهوان حمارُ الحى يعرفهُ **** والحرّ ُ ينكرهُ والرَّسلَةُ ُ الأجدُ

ولا يقيم على ضيم يراد به **** إلاّ الأذلان عيرُ الحى والوتدُ

هذا على الخسف مربوط برمتّه **** وذا يشّجّ ُ فلا يرثى له أحدُ

فقد تمكن ابن عليم بقوة منطقة ودقة اسلوبه من أن يفصل ما أجمله ابن زيدون في المثلين فأبان لنا أن الإنسان الواسع العليم لا يمكن أن يقنع بالقليل وفى وسعه أن يظفر بالكثير. فمنطق القناعة مرفوض هنا لأنه طبع البهائم أما طبع الناس فهو يردده مع أبى فراس الحمدانى:

ونحن أناس لا توسط بيننا **** لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ويواصل الأديب ابن عليم قياس الأمور بالمنطق وإخضاعها للحجة فهو يعلق على ما قيل في موت إمرئ القيس بالسم بعدما لبس الحلة المسمومة التى أهداها له القيصر [1]" ولا يؤخذ من قوله وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة أنه يريد ما ناله من لبس الحلة المسمومة إذ لم يجر لها ذكر قط كما فسروها بقرينة القروح وليت شعرى هل تلبس حلة الملوك قميصاً مباشراً للجسم بغرض أنها مسمومة فيتشرب الجسم منها ولكنه يريد بالقرح الدامى ما تفعله القروح الاعتيادية من الجدرى وأمثاله ويعجب من استعاضته بالصحة مرضا وبالنعمة بؤساً وعلى هذا لم تكن وشاية الطماح سبباً لهلاكه وما كان قيصر ليعجز عن رده إليه وتجريده من الجيش الذى بعثه به بدلاً من إعماله الحيلة في قتله بهذه الطريقة الممقوتة وإذا صح أن القيصر أمر بنحت تمثال له بعد وفاته وكما قيل إن هذا التمثال بقى إلى أن رآه المأمون الخليفة فقد ينتفى الظن كلية بأن القيصر غضب عليه فقتله لأنه إذا كان قتله فلا يقيم له تمثالاً. هذا فكرى وقد أكون مخطئاً وفوق كل ذى علم عليم انتهى ".

كثيراً ما نلمح في اسلوب الأديب ابن عليم الدقة في اختيار العبارات ، ومناقشة الأمور في روية ومنطق وإستخدام الأسلوب العلمى ، الحجج الدامغة و

[1] الدر المخزون صفحة (٢٩٥)

الأدلة لتأكيد رأيه ، وتقوية حجته ، ثم عدم التعصب أو الإصرار على صحة رأيه ، فهو مع عديد البراهين التى يسوقها إلاّ أنه يتحلى بالتواضع الذى يعتبر من شيم العلماء أعد قراءة قوله " هذا فكرى ، وقد أكون مخطئاً ، وفوق كل ذى علم عليم ".

نكتفى بهذا القدر من اسلوب أديبنا ابن عليم ثم نعرج على الأديب الصفدى ، لنأخذ بعض الأمثلة من أسلوبه.

كما اسلفت القول – في مستهل هذا الفصل – إن هناك عوامل شتى تؤثر على اسلوب الكاتب لعل من أبرزها الكاتب نفسه ، فرديته ، وأفكاره ، وثقافته ، وبيئته . فنحن عندما نتحدث عن أديبنا الصفدى تستتشعر الهيبة والوقار ، لما يتحلى به من علم وفير ، وقدرة فائقة في صناعة الإنشاء ، وقدوة سامقة فى فن الأدب ، لما له من " نظم رائق ونثر فائق " [1] كما قال عنه ابو عبد الله الذهبى في معجمه . أما عن اسلوبه ، فاسلوبه رائع رائع ، ينتزع الإعجاب من قارئه انتزاعاً ، لما فيه من عذوبة ، وسهولة عبارة ، وسلامة ذوق ، ودقة وروعة في إختيار الكلمات التى تجد حظها من الفهم من غير عناء. فاسلوبه السهل الممتنع.

ولعل من أدق سمات أسلوبه ، قوة المعانى ودقة الألفاظ ، وبلاغتها ، والصور البيانية التى تحليها في عفوبة صادقة . اسمعه وهو يصف رسالة ابن زيدون الجدية [2] " وما أوردتها على أحد إلاّ رقصت أعطافه ، وجنى من غصونها ما استلذ قطافه ، وملكتْ حبة قلبه بما فيها من اللطافة ، واجتنى منها محاسن السوالف واجتنى لذة السلافة ، وقال : هذا هو الأدب الذى ما شافه غيرهُ ارتشافه وهذا هو الإنشاء الذى من ركب اعتسافه تسافه ، وهذا هو النثر الذى من حل ساحته قال : الضيافة الضيافة ! وهذا هو الترسل الذى من حط به برحاله أثقل النوالُ بالتحف التحافه ".

هذا قريض على الأملاك محتجب **** فلا تذله بإكثار على السّوقِ[3]

---

[1] تمام المتون صفحة (٦)

[2] تمام المتون صفحة (٤)

[3] السوقة : الرعية ، ويجمع على سوق ، كصرد.

فلذلك آثرت أن أملى عليها شرحاً ، وابنى على كواكب كواعبها صرحاً ، واكحل جفوناً باتت لرقبةٍ بيانها قرحى ، وأطلب قلوباً أمست لوصال ايضاحها جرحى ، وإن لم أكن من خيل ميدانها ، ولا ممن يعده الأبطال من فرسانها ، ولكن جهد المقل ، وزهد المخل [1]، وسهد المطل ، وشهد المدل[2] ، وعهد الممل.

قد يدرك المجد الفتى وإزاره **** خلق ، وجيب قميصه مرقوع [3]

وبالله اعتصم واعتضد ، ومن فيضه استمل واستمد ، إنه الرقيب القريب والسميع المجيب "

يلمح القارئ لوصف الأديب الصفدى لرسالة ابن زيدون موسيقى راقصة ، اكثرت الفاءات من عذوبتها وحلاوتها ، وكذلك فعل السجع . ويبدى الأديب الصفدى إعجاباً كبيراً بما حوته الرسالة الجدية من أدب منظوم ومنثور . كما يتبدى لنا تواضعه الجم في قوله " ولم أكن من خيل ميدانها ، ولا ممن يعده الأبطال من فرسانها" كيف وهو الفارس المغوار الذى يحسن استخدام العبارات ، واستلهام المعانى شعراً ونثراً ؟! وهو الذى قد باشر كتابة الإنشاء بمصر ودمشق . ثم ولى كتابة السر بحلب. كيف لا تكون لرجل بمثل هذه الخبرة والتجربة الثرة القدرة على أن يكون من فرسانها ؟! ولكنه التواضع الذى يورث الرفعة.

ويبلغ به هذا التواضع ذروته حين يورد بيت الشعر:

قد يدرك المجد الفتى وازاره * * * خلق'' وجيب قميصه مرقوع

كلا! وألف كلا! أيها الإمام الضليع – وحاشا فما ازارك بالخلق لا ولا جيب قميصك بالمرقوع.! إنما أنت قمة شماء في الأدب والبيان. وقد يكون اسلوب الأديب الصفدى سهل العبارة ، بسيط الألفاظ ، لا تعقيد فيه ، ولا غموض فهو يقول عند شرح عبارة ابن زيدون " ماهذا الذنب الذى لم يسعه عفوك ، والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك ! " يقول الأديب الصفدى [4] " وممن قدر وعفا وصفّ لآلى غفرانه وصفا ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أهل مكة

---

[1] المخل: الفقير المعدم

[2] المدل : ط : " المذل"

[3] لابن هرمه – الشعر والشعراء صفحة (٧٣٠)

[4] تمام المتون صفحة (٩٠)

كانوا يؤذونه في نفسه ، ويقصدون نكايته في أهله ، قتلوا أعمامه ، وعذبوا أصحابه ، وألبوا عليه ، وأخرجوه من أحب البقاع إليه ، حتى إذا فتحها الله عليه ودخلها بغير حمدهم ، وظهرت كلمته بهم على رغمهم ، قام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشكره على ما منحه من الظفر ، ثم قال : أقول لكم كما قال أخى يوسف : " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين."

لابد أن يستشف القارئ السلاسة في العبارة ، والقوة في الأسلوب ، والصدق في التعبير ، الذى يزيده السجع المتدفق رونقاً وبهاء إذ أنه يجئ في غير تعمد ولا صنعه.

قديماً قال الأستاذ معاوية محمد نور عن أسلوب الدكتور طه حسين "اسلوب الدكتور طه حسين" [1] مثلاً أسلوب حلو لذيذ ، لا يكلف القارئ تعباً ولا نصباً".

وإنى لألمح حلاوة في أسلوب الأديب الصفدى خاصة عندما يدعم أراءه بشئ من القصص أو الحكايات أو الشعر فلنتابع حديثه عند شرح قول ابن زيدون " وقوله فتعاطيت وعقرت " يقول [2] " وقوله تعالى : (فتعاطى فعقر) [3] ، أى أتى أمراً عظيماً ، يقال : فلان يتعاطى المنكر . قيل : إن جعفر بن سليمان كان شديد البخل على الطعام ، فرفعت المائدة يوماً من بين يديه ، وفيها دجاجة ، فوثب عليها بعض بنيه فأكل منها وأعيدت من الغد ، فلما رآها وقد أكل منها ، قال من هذا الذى تعاطى فعقر ؟ قالوا : ابنك فلان ، فقطع أرزاق بنيه كلهم ، فلما طال عليهم ذلك قال بعض بنيه :

أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ فرد عليهم بعض أرزاقهم . وقال عمارة اليمنى:

لا تعجبا لقدار ناقةِ صالح **** فلكل عصر ناقةٍ وقدارُ

---

[1] مؤلفات معاوية محمد نور – الجزء الأول – دراسات في الأدب والنقد – الطبعة الأولى –١٩٧٠ قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم صفحة (٤٢)

[2] تمام المتون صفحة ١٢٨

[3] سورة القمر ٣٩

لعل الأمر الذى لا نزال نؤكده هو أن أسلوب الأديب الصفدى سهل ، سلس ، منساب . والمرء لا يحتاج إلى استخدام الألفاظ الغريبة أو الشاذة طالما أن الكلمات السهلة تؤدى المعنى . ولتعزيز هذا الإتجاه نرى ماذا قال الأديب الصفدى عند شرح عبارة ابن زيدون " أم كيف لا تتضرم حوائج الأكفاء حسدا لى على الخصوص بك " يقول [1] " ويقال : إن بعض الفضلاء حسده جماعة من أهل عصره ، واتفقوا أن كتبوا فيه محضرا ، وشهدوا عليه فيه بشهادات تؤدى الى تكفيره. واستفتوا عليه أهل العصر في ذيل المكتوب ، وأحضروه إلى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ليكتب فيه بالتكفير ، فأخذه وكتب:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه **** فالكل أعداء له وخصوم [2]

فلما رأوا ما كتب به الشيخ رحمه الله تعالى توقفوا ، وتفللت شوكتهم وعزائمهم ، وبطل ما كانوا يصنعون ".

تأمل دقة التصوير البلاغى ، وحلاوة الإقتباس في قول الأديب الصفدى (تفككت شوكتهم وعزائمهم ، وبطل ما كانوا يصنعون)

وفى ختام هذا المبحث إذا أردنا أن تعقد مقارنة بين اسلوبى الأديبين الكبيرين الصفدى وابن عليم لابد أن نعطى اعتباراً خاصاً للعصر الذى عاش فيه كل منهما فالخليل الصفدى عاش في عصر المماليك ومعلوم عند الأدباء التدنى الذى أصاب الأدب في هذا العصر وما شابه من صنعة وتكلف في استخدام المحسنات اللفظية والبديعية مع هذا بل وبالرغم من هذا فإن أديبنا الصفدى قد امتاز بأسلوب أخاذ وربما كانت لسعة اطلاعه وشاعريته القدح المعلى في ذلك.

أما الأديب ابوبكر محمد عليم فقد عاش في عهد زاه زاهر معاصراً لعمالقة الأدب الحديث من أمثال الدكتور طه حسين والعقاد والتجانى يوسف بشير وبما أن الشقة بعدت بين هذا العصر والعصر الجاهلى فقد غابت فيه الألفاظ الغريبة بحكم التحول البيئى.

---

[1] تمام المتون صفحة ٢٧٩

[2] لأبى الأسود الدؤلى ، ملحق (ديوان)

وعلى هذا فإن كلاً من الأديبين كان لامعاً في عصره ومعطيات ذلك العصر وأثرها على أدبه . وعلى الرغم من تباين عصريهما إلاّ أنهما كانا متشابهين في الأسلوب إلى حد كبير ربما قرب بينهما أنهما كانا يقرضان الشعر بل كانا أديبين محبين للأدب ، ولقد كان لإحساسهما بالجمال أثر كبير في رقة حسيهما ورقيه ، وتهذيب نفسيهما ومداركهما الأمر الذى انعكس على أدبهما فصار المطلع عليه يحس فيه بإمتاع وسحر خاص.

المبحث الثالث

اللغه

من المؤكد أن اللغة ترتبط ارتباطاً قوياً بالبيئة. وأن العالم والكاتب والأديب جميعهم يستقون لغتهم من بيئتهم ، ومن واقعهم إذ أن الكلمة العربية عبارة عن رمز يأخذ مدلوله من الواقع ، فمثلاً إذا تأملنا شرح الإمام الجليل ابن عباس حبر الأمة للآيتين الكريمتين "[1] اذا الشمس كورت[1] وإذا النجوم انكدرت"[2] فهو يقول " أظلمت ، وغورت ، وذهب ضوءها وأن الله يكور الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر وأنها تتناثر من السماء وتسقط على الأرض" لقد كان هذا الشرح مقبولاً في تلك البيئة ، بل هو ما كانت تعطيه الحواس ، فالانسان يرى النجمة بعينه المجردة في حجم العنبة ، وأن ملايين النجوم يمكن أن تقع في البحر. ولكن ! عندما تطور العلم بفضل الله ، ثم بفضل وسائل التقنية الحديثة ، اتضح أن أصغر نجمة أكبر من الأرض !!! فإن تطور البيئة أدى إلى اختلاف الفهم ، ومصاقبة لذلك اختلف مدلول الكلمة بحسب معطيات البيئة.

وللتدليل على اثر البيئة في فهم الإنسان وفي تصوره وخياله ، نسوق مثالاً بديهياً آخر ، فإذا قلت كلمة (جمل) لطفل في بادية الكبابيش ، فإن صوراً شتى تخطر على خياله ، كالجمل الأصهب ، والجمل الأورق ، والجمل ذا السنامين ، وغير ذلك. أما أن قلت نفس الكلمة لطفل في مدينة الخرطوم ، فإن الصورة التى تخطر على باله لا تعدو أن تكون صورة جمل يحمل حطباً ، أو صورة جمل يكون قد شاهده على شاشة التلفاز مثلاً. إذن فمدلول الكلمة رهين بالبيئة والواقع الذى يعيشه الإنسان.

ويمكن أن نستدل على أثر البيئة بالقصة المشهورة للشاعر العربى علي بن الجهم ، فإنه عندما جاء إلى المتوكل من البادية امتدحه بقوله:

أنت كالدلو لا عدمتك دلواً **** من كثير العطايا قليل الذنوب

---

[1] سورة التكوير آية ٢/١

[2] لباب التأويل فى معانى التنزيل – لأبى الحسن على بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن – طبعة دار الكتب العلمية (ب . ت) ٦/١

أنت كالكلب في حفاظك للود **** وكالتيس في قراع الخطوب

فتضايق منه الحاضرون وهموا بقتله . الاّ أن الخليفة المتوكل طلب أن يخلوا سبيله لما توسمه فيه من ذكاء ، وما لمحه من تأثير بيئته فيه. وطلب أن يقيم معهم في بغداد. فلما أقام في المدينة بضع سنين قال الشعر الرقيق المتزن الذى يلائم الذوق الحضرى والبيئة الطارئة وذلك مثل قوله [1] :

عيون المها بين الرصافة والجسر **** جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أعدن لى الشوق القديم ولم أكن**** سلوت' ولكن زدن جمراً على جمر

نستخلص من كل أولئك أن البيئة مؤثر قوى في لغة الأديب. فمثلاً نجد أن عدياً بن زيد في الجاهلية ، يختلف عن زهير وطرفه في الذوق العام. وذلك لطول مقام عدى في الحاضرة ، مما أكسبه رقة وسلاسة ، لانجدها في زميليه لتأثير البادية الخشن عليهما..فإن الشاعر الذي يقيم في الخرطوم حيث مقرن النيلين الأبيض والأزرق وحيث الخضرة والنضرة ، والجمال الآخاذ ، والطبيعة الملهمة ، والبيئة المعطاءة ، لابد أن يكون لها الأثر الواضح ، البين، في كل ما يكتب ويخط.

إن لغة الأديب تتأثر بالوسط الذى يعيش فيه وثقافته الشخصية. فإن الأديب عندما يهم أن يصف مشهداً ما. أو أن يعلق عليه ، فإن الكلمات تحتشد في ذهنه ، وتتزاحم للخروج ، للتعبير عما يريد ، غير أنه وبما يملك من ذكاء ، وحصافة ، يتخير الكلمة المناسبة للمقام المناسب فانه لا يأبه باللفظ فقط ، إنما يأبه بالمعنى والمدلول أيضاً . فهو يسمو ويسمق بفكره ويحلق ليرى الكلمة (معناها وبعدها) في ذهن القارئ وعلى هذا الأساس يستخرج كلماته ويختارها لتناسب ما يرمى إليه من معنى في حكمة واقتدار. فاللغة قوالب للمعانى. والأديب المتميز هو الذى يختار من قوالب اللغه ما يتفق والمعنى الذى ينشده ، فيتسم أسلوبه بالإعتدال ، لا وكس ولا شطط.

إن الأديب الجيد يكون واسع الفكر، واسع الشعور ، عميق الإحساس ، دقيق النظر ، دقيق التقدير والتعبير ، بعيد الملاحظة . وفوق هذا وذاك أن يكون واسع الإطلاع ، عميق الثقافة ، ملماً بما كتب في عديد العصور والأزمان ، مدركا

---

[1] اصول النقد الأدبى تأليف أحمد شايب الأستاذ بجامعة القاهرة سابقاً ١٩٩٩ مكتبة النهضة المصرية صفحة ١٢٧

لعصره وثقافته وحاجته . ويمكن أن نقول في كلمة لابد من أن يكون الأديب ثاقب الفكر دقيقة ، يميز بين الشعرة وفلقتيها أيهما أبيض وأيهما أسود. وهذا لعمرى يحتاج لميزان حساس كميزان الذهب.

واللغه قد لا تسعف الأديب في كثير الأحايين ، على دقة التعبير عما يريد ، وهذا العجز ظاهرة ليست في اللغه وحدها ، إنما تكتنف العديد من مناحى الكون ، أو قل الوجود الحادث ، الذى لا يمكن أن يدرك بالحواس بصورة كاملة. فمثلاً هناك بعض الأصوات الغليظة تعجز عن سماعها طبلة الأذن لغلظتها مثل صوت الأرض وهى تدور حول نفسها. كما أن بعض الأصوات الدقيقة تعجز آذاننا أيضاً عن سماعها لدقتها مثل دبيب النملة على الأرض. هذا العجز يصاحب الكلمة العربية فهناك من المعانى ما لاتستطيع الكلمة العربيه حمله. هذا الأمر لا يقدح في ثراء اللغه العربية بمجاميع الكلمات والمترادفات والأضداد . إلاّ أنها تضيق أحياناً عن التعبير عما يعتمل في صدر الكاتب ، وعما يجيش بخيال الأديب فيستعين بالرمز والكناية والإشارة . يقول الجاحظ " إن الدلالة على المعانى لا تكون بالألفاظ وحدها بل بالكناية والإشارة " .[١] وخير دليل على ذلك خروج العديد من آيات القرآن الكريم من العبارة إلى الإشارة ، مستخدمة حرف الهجاء العربى ، في استهلال العديد من السور القرآنية ، والمكية منها بصورة خاصة . وعلى سبيل المثال لا الحصر نسوق طرفاً من تلك الآيات الكريمات:

" ق والقرآن المجيد"[٢] " حم(١) والكتاب المبين(٢)"[٣] " ص والقرآن ذى الذكر"[٤] " طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين(٢) "[٥] " كهيعص"[٦]

وقدرة اللغه العربية على احتمال الإشارة والإيماء والرمز ، هو الذى رشحها لتكون لغة لكتاب الله العظيم. يقول[٧] عز الدين اسماعيل :-

---

[١] البيان والتبيين – الجاحظ – ج١ صفحة ٤٩

[٢] آية (١) سورة ق

[٣] آية ١– ٢ سورة الدخان

[٤] آية (١) سورة ص

[٥] آية ١ – ٢ سورة القصص

[٦] آية (١) سورة مريم

[٧] الأسس الجمالية في النقد العربى عرض وتفسير ومقارنة – الطبعة الأولى ١٩٥٥ دار الفكر العربى صفحة (٣٢٧)

" اللغه كائن حى له كيانه ، وله شخصيته ، وليس أداة تعبيرية جامدة .
واللغه العربية بصورة خاصة لها قابلية التمدد والتطور ، واستيعاب المستجدات"
[1] " هذا الموقف يبين لنا بوضوح كيف أن اللغة العربية تمتاز في طبيعتها بأن تقبل دخول العقليات المختلفة فيها شأن كل لغة حية. وحين يتقنها الجميع ، أهلها وغير أهلها ، وربما أتقنها هؤلاء الأخيرون أكثر من أهلها. يكون هذا تأكيداً لفكرة أن اللغة ليست لغة جنس ، وأنها ظاهرة حضارية أكثر منها ظاهرة عقلية "

هذه الظاهرة التى تتميز بها اللغة العربية ترشحها أن تكون لغة العالم في هذا العصر – عصر العلم والتقنيات – يقول د. أحمد أبوزيد:
[2] " ستكون الثورة الحقيقية في مجال المفاهيم والتصورات. أي أن العالم سوف يعطى اهتماماً أكبر لمسألة توضيح المقصود من " المعلومات" وتحديد معنى الكلمة بدقة وتبيين الهدف من المعلومات مما سوف يترتب عليه إعادة البحث في نوعية التقنيات التى يمكن أن تتولى انجاز هذه التصورات الجديدة . وأن الإجابة على تلك التساؤلات حول المعنى والهدف والأولويات هى التى سوف تساعد على معرفة بل وتحديد المسارات التى يحتمل أن تسلكها هذه الثورة".

لقد فطن العديد من الأدباء لثراء اللغه العربية وقدرتها على التشكل فأبدعوا في استغلالها أيما إبداع .

والأديب الحذق ، هو الذى يختار من ألفاظ اللغة ما يلائم الوسط الذى يعيش فيه ، وأفهام قارئيه ، ولا يجنح الى الغلو والغرابة في غير مدعاة لذلك. يقول د. طه حسين [3] " وكل ما يطلب إلى الأديب الاّ يكون أدبه ممعناً في
الغرابة متعمداً للغموض ، والاّ يؤدى في ألفاظ وأساليب لا تعيش في هذه الأيام ، وإنما كانت تعيش في العصور القديمة البعيدة العهد. فلا ينبغى لمن يكتب الآن

---

[1] نفس المصدر صفحة (٣٦٦).
[2] مجلة العربى العدد رقم ٥٣٩ شعبان ١٤٢٤هـ اكتوبر تشرين أول ٢٠٠٣م صفحة (٢٤)
[3] خصام ونقد د. طه حسين – الطبعة الرابعة– دار العلم للملايين بيروت صفحة (٣٧)

أن يتكلف مذهب ابن المقفع ، أو طريق الجاحظ أو اسلوب الحريرى والبديع الهمذانى ، ولا ينبغى له أن يرهق الناس من أمرهم عسراً فيعرض عليهم الرجوع إلى المعاجم في كل سطر".

وكما اسلفت فإن الأديب بما يمتلك من ثقافة واسعة ، وسلاسة في التعبير ، يمكن أن يستخدم الكلمات استخداماً أدبياً يخرجها عن طبيعتها المعهودة في المجتمع. أما الأخفش الأوسط- سعيد بن مسعدة - فقد قال [1] " إن الشاعر يجوز له في كلامه وشعره ما لايجوز لغير الشاعر في كلامه ، لأن لسان الشاعر قد اعتاد الضرائر فيجوز له ما لم يجز لغيره "

أما الأديب عبد القاهر الجرجانى فقد ألح أكثر من غيره كما يقول ابراهيم سلامة [2] " على (المزية) البلاغية واللغة الأدبية....مبيناً ضرورة الإضافة التى يضيفها الأديب على كلامه ، وضرورة الخروج بالألفاظ اللغوية عن مدلولاتها الأصلية حتى تكون هناك لغة أدبية".

وفي ذات المعنى يقول الدكتور محمد زكى العشماوى " إن مهمة الأديب الناجح أن يعمل على تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ ، تلك الإرتباطات التى يخلقها المجتمع ، وأن يخرج عن السياق المألوف إلى سياق لغوى ملئ بالايحاءات الجديدة . وعندئذٍ يستتطيع أن يسمى مثل هذا الأديب أديباً ونستطيع أن نسمى أدبه خلقاً ، ذلك لأنه بدأ بتحطيم الشكل المألوف العادى ، وبنى على أنقاضه شكلاً آخر ، شكلاً من صنعه ، من صنعه هو - يعتمد على علامات وتراكيب لغوية جديدة وحية "[3].

بعد هذا الحديث عن اللغه وارتباطها بوسط الأديب وثقافته نجيب على هذا السؤال:

كيف جاءت لغة أديبينا " الصفدى - وابن عليم " في الشرح الذى نحن بصدده؟

---

[1] نظرية اللغة في النقد الأدبى د. عبد الحكيم راضى - كلية الآداب جامعة القاهرة الناشر الناشر مكتبة الخانجى بمصر صفحة (٤٨)

[2] نفس المصدر صفحة (٣٣)

[3] قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث د. محمد زكى العشماوى صفحة (١٦)

اذا نظرنا إلى لغة الأديب الصفدى نجد أنها رصينة كل الرصانة. وأنه يحلق بنا في سماء الأدب قديمه وحديثه ليستقى منه ما يؤكد المعنى الذى يريد مقتطفاً من عيون الشعر ما يدعم به رأيه ، ويشد أزره . فهو يلبس اللغه أفكاره فتجئ صادقة قوية فمثلاً عند شرحه لقول ابن زيدون " فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به ". يبادر الأديب الصفدى كديدنه بشرح المسائل النحوية واللغوية فيقول [1] :" هذه الفاء جواب الشرط في قوله أول الرسالة " إن سلبتنى ..." وما بعد ، من الجمل ، بعد ما نظر الأعمى إلى تأميلى لك ، فلا غرو ، أى فلا بدع ولا عجب قد يغص بالماء شاربه . وهذه " قد" التى تدخل على الجمل للتقليل مثل: قد يكبو الجواد ، وقد ينبو الحسام ، وقد يصدق الكذوب ، وقد يبخل الجواد. جاء في كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى : ربما شرق شارب الماء قبل ريه. وقال الشاعر:

من غص داوى بشرب الماء غصته **** فكيف يصنع من قد غص بالماء

وقال الآخر:

إلى الماء يسعى من يغص بأكله **** فقل : أين يسعى من يغص بماء

يتضح لنا من هذا الشرح الجهد الكبير الذى يبذله الأديب الصفدى لتوضيح المعنى الذى يريد والعناية الكبيرة باللغة والعمل على تبسيطها لتغدو مفهومة فهو لايدع معنى قيل في المناسبة إلاّ ويستشهد به مما يدل على إلمامه الواسع بجوانب الموضوع بالإضافة إلى سعة ثقافته ومعرفته ويبدو لى أن هذا الإتجاه الذى يسلكه الأديب الصفدى هو التوظيف الصحيح للكلمة العربية. أن يحاول الأديب جاهداً انتقاء الكلمة المعبرة عن المعنى في ذهنه . وفي كثير من الأحايين، يلجأ الأديب الصفدى إلى الشعر ، فهو ثرى في هذا المجال ، نجده يستشهد برصين الشعر للعديد من الشعراء كما أنه يستشهد أيضاً بشعره الخاص ولعل من المفيد أن نذكر مثالاً يدعم هذا الأمر . يقول الأديب الصفدى عند شرح قول ابن زيدون [2] وقوله:

---

[1] تمام المتون صفحة ٤٥

[2] تمام المتون صفحة ٣٢٥

وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطى حكم الصبى على أهله

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل

" ضوحك قبل إنزال رحله ، إشارة إلى قول عمرو بن الأهتم المنقرى ، والذى أعرفه من هذا البيت أنه :

فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً *** فهذا مبيت صالح'' وصديق

وقوله " وضوحك قبل إنزال رحله " من قول عمرو بن الأهتم – وقيل لحاتم الطائى:

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله *** ويخضب عندى والزمان' جديب'

وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى*** ولكنما وجه' الكريم خصيب'

كانوا يعدون تلقى الأضياف بالبشر وتهلل الوجه وإظهار السرور به من كمال مروءتهم ، ولهذا قال:

بشاشة وجه المرء خير'' من القرى *** فكيف إذا اهدى القرى وهو ضاحك!

وقال الغزى:

يا بنت من يقرى الضيوف تبسمّى *** إن التبسم من قرى الأضياف

وقال ابو تمام الطائى:

فتطلق مع العناية إن البشر في أكثر الأمور بشير'

إنما البشر' روضة'' فإذا كان ببذلٍ فروضة وغدير'

وقال ابو الأسود:

إذا ما اتاه السائلون توقدت *** عليه مصابيح الطلاقة والبشر

وقال ابو تمام الطائى:

يعطى عطاء المحسنِ الخضلِ الندى *** عفوا ، ويعتذر اعتذار المذنب

ومرحب بالزائرين وبشره *** يغنيك عن أهل لديه ومرحب

وقال أيضاً:

إذا أمه العافون ألفوا حياضه *** مِلاءً وألفوا روضه غير مجدب

اذا قال أهلاً مرحباً نبعت لهم *** مياه' الندى من تحت أهلٍ ومرحبِ

يواصل الأديب الصفدى فيقول:

وقد ضمنت أنا صدر ذلك البيت في المجون ، فقلت:

وجارية تلهى النديم إذا علا *** عليها بطول الدهر في حال فعله

تقول كذا لى عادة مستمرة *** أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله

والأديب الصفدى يعطى اللغه حقها وافياً ويسعى إلى توضيح مرامى الكلمة كما أنه يذهب إلى مدى أبعد من مجرد المعنى محاولاً أن يدرك الحكمة من استخدام الكلمة فهو عند حديثه عن الشفاعه يقول [1] " وفي هذه الآية الكريمة سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : " في الشفاعة الحسنة نصيب'' ، وفي الشفاعة السيئة كفل منها " فالجواب: أن النصيب الحظ ، والكفل مشتق من قولك : كفلتُ البعير إذا رددت على سنامه كساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل جانباً من ظهره لأنك تحمى سنام البعير بالكساء الذى وضعته عليه من الآفة دون باقى ظهره ، ويحمى الراكب بدنه بذلك ، ومنه قيل للضامن :كفيل ، لأنه يعتمد عليه ، فكان الكفيل ذخيرته التى يعتمد عليها ، فجاء الكفيل في الشفاعة السيئة بهذا اللفظ ، لأن الشافع قد ادخر ما يعتمد عليه في يوم القيامة. وهذا الكلام قد خرج مخرج التهكم ، كقوله تعالى : " فبشرهم بعذاب أليم " [2] والمقصود أن الشفاعة الحسنة للشافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقابها عظيم ، ووزرها كبير ، فهى مغلظة الأمر بخلاف غيرها."

ونختم حديثنا عن الأديب الصفدى ولغته في شرح رسالة ابن زيدون بأن نؤكد أنه يحرص كل الحرص على توضيح وشرح المفردات الصعبه حتى تغدو جلية واضحة للقارئ ثم إنه يعزز شرحه بعبارات سهلة تجعله يستجلى جميع مناحى الموضوع وشد ما يروقنى في شرحه اهتمامه الكبير بالشعر وإيراد العديد من الأبيات الشعرية لتأكيد المعانى التى ينشدها وتدعيمها ولعل من المفيد أن نورد طائفة من تلك الأبيات فهو عند التعقيب شرحه لعبارة ابن زيدون " واستأنف التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك"

---

[1] تمام المتون صفحة ٣٥٩

[2] سورة التوبة (٣٤)

يقول بعد شرح معانى المفردات [1] " وقال ابن المعتز : الأدب صورة العقل ، فحسِّن عقلك كيف شئت.

وقال ابو العتاهية:

ولم أر فضلاً تمّ إلاّ بشيمةٍ *** ولم أر عقلاً تمّ إلاّ على أدب

وقوله : " واستأنف التأدب " بأدبك " ، يعنى أتوب عمّا كنتُ مرتكبه من الطريق الأولى ، فأرجع عنها ، وآخذ الآن بأدبك ، وأسلك طريقك ، وأحذو حذوك .

وما أحسن قول الأول:

إن تتهمى فتهامة'' وطنى **** أو تنجدى يكن الهوى نجدُ

وقول الآخر:

فإن تدعى نجداً ندعه ومن به *** وإن تسكنى نجداً فياحبذا نجدُ

وقول يزيد بن معاوية:

فإن تسلمى تسلمْ وإن تتنصَرى *** يحط رجال'' بين أعينهم صلبا

وقال ابن المعلم:

أتخيِّمون على الحجاز فنغتدى *** أم عائدون إلى الحمى فنعودُ

نهوى لأجلكم الحجيجَ وما بنا *** لولاكم نسك'' ولا تزهيد ُ

ويشوقنا أرجُ الحجاز وذكره *** الدانى ومرتبع الحجاز بعيدُ

وقوله : " والاحتمال على مذهبك " . يعنى: ألزم نفسى باتباعك ، والأخذ بمذهبك تقليداً ، ولا أنظر في تعليل ما تأتيه وما تذره

وما أحسن قول الأول:

فلو قلت طأ في النار أعلم أنه *** رضاً لك أو مدن لنا من وصالك

لقدمتُ رجلى نحوها ووطئتها *** هدى منك لى أو ضلة من ضلالك

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة *** لقد سرّنى أنى خطرتُ ببالك

ثم نعرج على الأديب ابوبكر محمد عليم لنتحدث عن لغته ، في البدء لابد أن نشير إلى أنه يعنى باللغه عناية فائقة ، ويركز عليها تركيزاً كبيراً ، فهو كاتب رقيق الكلمة ، مشرق الأسلوب ، عميق الفهم ، واسع الثقافة ، حلو العبارة. وهو

[1] تمام المتون صفحة ٣٧٣

أيضاً ينهج نهج رصيفه الأديب الصفدى إذ أنه يبتدر الشرح بالحديث عن معانى المفردات ، ثم يربط ذلك بقواعد النحو كلما كان ذلك ضرورياً مستشهداً بما يناسب المقام من الشعر والأمثال فهو يقول عند شرح عبارة ابن زيدون [1] المتن " وأنفع الحيا ما صادف جدباً وألذ الشراب ما أصاب غليلاً (الشرح): هذه الجملة في معنى ما قبلها والحيا مقصور المطر والجدب خلاف الخصب والغليل من الغلة وهو العطش والمعنى وأنفع المطر ما أصاب أرضاً جدبة فانبتها وأحلى الماء ما وافى ظمآن فأرواه قال الشاعر:

هذا الشراب أخو الحياة وما له *** من لذة حتى يصيب غليلا

وكنى بذلك عما يناله من عذاب السجن وصغاره وأن الإفراج عنه وإن تأخر عليه يقع منه حياة الأرض الميته بالمطر والعطشان بالماء البارد وهى أمثال ضربها لتحسن في عين مولاه فيستميل بها رضاه والمعنى كل قضاء قضيته علّى حلو مقبول حسن العاقبة.

(المتن) (ومع اليوم غدٍ ولكل أجل كتاب)

(الشرح) نصف الجملة مأخوذ من المثل أن مع اليوم غداً يا مسعدة يضرب في تنقل الدول على مر الأيام ذكره الميدانى ونصفها الثاني لفظ الكتاب العزيز (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلاّ بإذن الله لكل أجل كتاب) وجاء في المثل أيضاً. لكل حىّ أجل والمثلان فيهما تسلية لنفسه بالصبر على المكاره. والمعنى سيعقب يومى غده بسرور رضاك على وأن ما لحقنى من العذاب فإنما هو مقدر علّى في الأزل.

لغة الأديب عليم جزلة ، تنساب كلماته في تتابع لتبنى الفكرة التى ينشدها ، في عفوية وصدق ، فتبرز مراميه من وراء عبارته ، وتتجلى أهدافه من خلف كلماته ، وهو في كل ذلك يعطر أفكاره بروائع التشبيهات وبدائع المحسنات ، فتنداح في نظم نضيد ، وتآلف وإنسجام ، يأخذ القارئ ويبهره بحلو الحديث ، وسعة الأفق ، ودقة الفكر اسمعه يقول في مقدمة كتابه عن الأدب[2] " الأدب يرحمك الله حلية الفضل ونبراس العقل وينبوع الكمال وذروة الشرف والنبل به ترتفع

---

[1] الدر المخزون صفحة ٨٤

[2] الدر المخزون ص (٣)

الأقدار الخاملة وتستنزل عصم القرائح النافره وناهيك أنه سحر حلال وروضة محلال يتنقل المرء فيه بين رقيق من الشعر كماء الحياة للأرواح ونثر كنشر الكباء في الغدو والرواح وللناس فيما يعشقون من النوعين مذاهب ومشارب ولهم في مرعى واديه قطعان ومسارب وكلاهما غذاء للنفوس وشراب أحلى من ريق المدامة في الكؤوس "

يستهل الأديب عليم مقدمته بحديث عن الأدب نثره ونظمه ، والأدب بيت القصيد الذى يوجه الأدباء إليه سهامهم ، والكعبة التى يممون شطرها ، وعلى قدر حظوظهم منه تنجلى مقاماتهم ، وتتضح هاماتهم، فلذلك جاءت لغته في الحديث عن الأدب رصينة ، وعبارته رقيقة ، ذات تصوير دقيق ، وأسلوب رشيق ، وخيال رائع ، أحكمه بسجع مبسط ، وحلاه بفهم عميق ، رفع به قدر الأدب ، وأبان أثره في رفع أقدار الرجال أو الحط منها . وأن الأجساد مثلما تبنى وتنمو بالغذاء الحسى فإن العقول والنفوس تبنى وتنمو بالغذاء المعنوى وهو الآداب وهى أحلى من الخمر المعتقه كما يقول أديبنا ابن عليم .

ثم يواصل الأديب عليم حديثه عن بلاد النوبة بالسودان فهو تحت تأثير المرض وألمه وتحت معاناه الغربة ووحشتها قد ظلم تلك البلاد إذ يقول [1] " دعتنى صروف الزمان الى الخدمة في البلاد الجنوبية من جيال النوبة بالسودان مرغماً بضرورة المعيشة فلم يمهلنى ذلك البلد المشئوم لرداءة مناخه إلاّ قليلاً حتى ألقانى في أحضان صخوره عليلاً أسمع نعيب الغربان وانظر أشخاص الغيلان في زى الإنسان فأعتورتنى الهموم وتكاثفت علىّ غيوم الغموم لفراق الأهل والولد وعدم النصير و العضد " نلمح في لغة الأديب عليم السلاسة في العبارة ، ومواصلة تزيينها بالسجع ، والدقة في تصوير حاله وما يعانيه وإن كنت آخذ عليه تآثير ذلك في حقائق الأشياء فمعلوم أن بلاد النوبة تقع تحت نطاق مناخ السافنا وهو مناخ طيب من جميع الوجوه إلاّ أن تأثير العلة والغربة وفراق الأهل والولد قد غيب الحقيقة عن أديبنا بل لونها بلون المرض اكثر من ذلك انتقل سخطه من المرض الى البلاد ولقد صدق القائل :[2]

---

[1] نفس المصدر ص (٣)

[2] عبد الله بن معاوية

وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** كما أن عين السخط تبدى المساويا

ولعل حمى الملاريا التى أصابته نقلت مرارة مذاقه لطعم الأشياء على البيئة من حوله وقد صدق أيضاً من يقول [1]

ومن يك ذا فم مر مريض *** يجد مراً به الماء الزلالا

تعلمنا من تجاربنا في الحياة أن المعاناة والمقاساة تأتى بنتائج خيره دائماً فقد جاء في معنى الحديث النبوى أن الشوكة تشوك المسلم تخفف عنه من عذاب يوم القيامة وأن الابتلاءات إنما هى نعمة في ثوب نقمه لسوق العبد الى الرب فقد قال تعالى [2] " ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً " وأن الحكمة من البلاء خير وقد جاء في حكم الشيخ ابن عطاء الله السكندرى قوله [3] (من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الإمتحان).

وأن معاناة أديبنا الكبير ابن عليم جعلته يلتفت الى القراءة حتى ظفر برسالة ابن زيدون فأثارت اهتمامه ، وأخذته من كل أقطاره ، حتى عزم على شرحها فجاء شرحه غاية في الروعة والإبداع الاّ ترى أن الحمى قد أتاحت له هذه الفرصة ؟ وأن الحكمة من مرضه كانت خيراً له ؟

اكتفى بهذا القدر في هذا المضمار.

---

[1] المتنبئ

[2] سورة النساء آية (١٤٧)

[3] حكم ابن عطاء الله – شرح العارف بالله الشيخ أحمد رزق – صفحة (١٤٤)

المبحث الرابع
الموضوعات

قسم كل من ابن قتيبة وابن عبد ربه كتابيهما " عيون الأخبار" و " العقد الفريد" إلى موضوعات رئيسية . بينما لم يقسم كل من الصفدى وابن عليم شرحيهما إلى موضوعات رئيسية أو أبواب . وإنما جعلا الرسالة موضوعاً واحداً تنوعت مجالات الحديث فيه وفق ما تطرقت له الرسالة من موضوعات دون تبويب أو تصنيف لها الأمر الذى جعل إثبات نص الرسالة في هذا البحث ضرورة قصوى ثم التعليق والحديث عما تناولت من مواضيع.

نص رسالة ابن زيدون

كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور[1] :

يا مولاى وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به . من أبقاه الله تعالى ماضى حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهد النعمة. ان سلبتنى أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتنى من حلى إيناسك ، وأظمأتنى الى برود إسعافك ، ونفضت بى كفَّ حياطتك، وغضضت عنى طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ، وأحسَّ الجماد باستحمادى إليك ، فلا غرو ، قد يغص بالماء شاربه ، ويقتلُ الدواء المستشفى به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منيةُ المتمنى في أمنيته ، والحينُ قد يسبق حرص الحريص.

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهونُ غير شماتة الأعداء

وإنى لأتجلد ، وأرى الشامتين أنى لريب الدهر لا أتضعضع ، فأقول:

هل أنا الا يد أدماها سوارها ، وجبين عضّ به إكليله ، ومشرف الصقه بالأرض صاقله ، و سمهرى عرضه على النار مثقفة ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

---

[1] تمام المتون صفحة (٢٢ – ٢٩)

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحياناً على من يرحمُ

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلى ، وهذه النكبة سحابةُ صيف عن قليل تقشّع . ولن يربنى من سيّدى أن أبطأ سيبه ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدّلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً أحفلها ، وأنفع الحيا ما صادف جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلا ، ومع اليوم غد '' ، ولكل أجل كتاب ، له الحمد على اهتباله ، ولا عتب عليه في إغفاله.

فإن يكن الفعلُ الذى ساء واحداً فأفعاله اللاتى سررن ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذى لم يسعه عفوك ، والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذى لم يف به احتمالك ، ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدل ! أو مسيئاً فأين الفضل!

إلاَّ يكن ذنب'' فعدلك واسع'' أو كان لى ذنب'' ففضلك أوسع

حنانيك! قد بلغ السيل الزبى ، ونالنى ما حسبى به وكفى. وما أرانى إلا لو أنى أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لى نوح : (اركب معنا) ، فقلتُ: (ساوى الى جبل يعصمنى من الماء) ، وأمرت ببناء صرح لعلى أطَّلع إلى إله موسى ، وعكفتُ على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرْت ، وشربت من النهر الذى ابتلى به جيوشُ طالوت ، وقدتُ الفيل لأبرهة ، وعاهدتُ قريشاً على ما فى الصحيفة ، وتأولتُ في بيعة العقبة ، ونفرتُ الى العير ببدر ، وانخزلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفتُ عن صلاة العصر في بنى قريظة ، وجئتُ بالإفك على عائشة الصديقة ، وأنفتُ من إمارة أسامة ، وزعمتُ أن بيعة أبى بكر كانت فلتة ، ومن أدلة القرآن على خلافة أبى بكر ، وروّيتُ رمحى من كتيبة خالد ، ومزقتُ الأديم الذى باركتُ يد الله عليه ، وضحيت بالأشمط الذى عنوان السجود به ، وبذلت لقطام:

ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وضرب علىّ بالحسام المسمّم

وكتبت إلى عمر بن سعد: أن جعجع بالحسين ، وتمثلت عندما بلغنى من وقعة الحرّة:

ليت أشياخى ببدرٍ علموا جزع الخزرج من وقع الأسل

ورجمتُ الكعبة ، وصلبتُ العائد على الثنية – لكان فيما جرى علّى ما يحتمل أن يسمى نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقاباً.

وحسبك من حادثٍ بأمرئ ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح'' ، ونبأ جاءَ به فاسق ، وهم الهمّازون المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ، والغواة الذين لا يتركون أديما صحيحا ، والسعاة الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس ، فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود'' إلا منهم !

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

ووالله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصَّاغية ، ولا نصبتت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت بأساً منك مع ضمانٍ تكلّفتْ به الثقه عنك ، وعهدٍ أخذه حسن الظن عليك ، ففيم عبث الجفاء بأذمتى ، وعاث العقوف في مواتى ، وتمكن الضياع من وسائلى ! ولم ضاقتْ مذاهبى ، وأكدتْ مطالبى ! وعلام رضيتُ من المركب بالتعليق ، بل من الغنيمة بالإياب ! وأنَّ غلبنى المغلَّب ، وفخر علّى العاجزُ الضعيف ، ولطمتنى غيرُ ذات سوار ! ومالك لم تمنع منى قبل أن أفترس ، وتدركنى ولما أمزَّق ! أم كيف لا تضرم جوانحُ الأكفاء حسداً لى على الخصوص بك ، وتتقطع انفاس النظر منافسة في الكرامة عليك ، وقد زاننى اسم خدمك ، وزعانى وسم نعمتك ، أبليت البلاء الجميلَ في سماطك ، وقمتُ المقامَ المحمود على بساطك.

ألستُ الموالى فيكَ غرَّ قصائدٍ

هى الأنجمُ اقتادتْ مع الليل أنجما

ثناء يظن الروضُ منه منوّرا ضحىً ، ويخال الوشى فيه منمما

وهل لبس الصباحُ الا برداً طرزته بفضائلك ، وتقلّدت الجوزاء إلا عقداً فصلته بمآثرك ، واستملى الربيعُ إلا ثناء ملأته من محاسنك ، وبثّ المسكُ إلا حديثاً أذعته في محامدك ! ما يوم حليمة بسر.

وإن كنت لم أكسك سليبا ، ولا حليتك عطلا ، ولا وسمتك غفلاً ، بل وجدتُ آجرّا وجصا فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت

حاشا لك أن أعد من العاملة الناصبة ، وأكون كالذبالة المنصوبة تضئ للناس وهى تحترق ! فلك المثل الأعلى ، وهو بك – وبى فيك — أولى.

ولعمرك ما جهلتُ أن صريح الرأى أن اتحول إذ بلغتنى الشمس ، ونبا بى المنزل ، وأصفح عن المطامع التى تقطّع أعناق الرّجال ، فلا استوطىء العجز ، ولا أطمئن الى الغرور ، ومن الأمثال المضروبة : خامرى أمّ عامر ،

وإنى مع المعرفة أن الجلأ سِباء ، والنقلة مثلة

ومن يغترب عن قومه لم يزلْ يرى
مصارع مظلوم : مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات، وإن يسئ
يكنْ – ما أساء — النّار في رأس كبكبا

لعارف'' بأن الأدب الوطنُ لا يخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زياله ، والنسيب لا يجفى ، والجمال لا يخفى . ثم ما قرانُ السعد للكواكب أبهى أثرا ، ولا أسنى خطرا ، من اقتران غنى النفس به ، وانتظامها نسقاً معه ، فإن الحائز لهما ، الضارب بسهم فيهما – وقليل'' ماهم – أينما توجه ورد منهل بِر ، وحَطّ في جناب قبول :

وضوحك قبل إنزال رحله وأعطى حكم الصبى على أهله.
وقيل له : أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت'' صالح'' ومقيلُ

غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، واللبيب يحنّ الى وطنه ، حنين النجيب الى عطنه ، والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الأول:

أحب بلاد الله ما بين منعجٍ الىّ وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد'' بها عقّ الشبابُ تمائمى وأولُ أرضٍ من جلدى ترابها

هذا الى مغالاتى لعقد جوارك ، ومنافستى بلحظة من قربك ، واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع ، والغنى من سوك عناء ، وكل الصيد فى جوف الفرأ ، والبدل منك أعور ، والعوض لفاء.

وإذا نظرتُ الى أميرى زادنى ضنّا به نظرى إلى الأمراء

وفي كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار . فما هذه البراءة ممن يتولاك ، والميل عمن لا يميل عنك ! وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه لك!

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شئ بعدكم عدمُ

أعيذك ونفسى من أن أشيم خلّبا ، واستمطر جهاماً ، وأكدم في غير مكدم، وأشكو شكوى الجريج الى العقبان والرّخم ، فما أبسست لك الا لتدر ، وحركت لك الحوار الا لتحن ، وما نبهتك الا لأنام وما سريتُ إلا لأحمد السرى لديك . وإنك متى سنيت عقد أمرى تيسر.

ومتى أعذرت في فك اسرى لم يتعذر ، وعلمك محيط'' بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه – تعود – به صدقة.

وإذا أمرؤ أهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

لعلى أن القى العصا بذراك ، ويستقر بى النوى في ظلك ، وأستأنف التأدب بأدبك والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال لحظة ، ولا أدع للقادح مساغ لفظة ، والله ميسرك من اطلابى بهذه الطلبة ، وإشكائى من هذه الشكوى ، بصنيعة تصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ، وأنا منك حرىّ به ، وذلك بيده ، وهيِّن عليه.

ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت دره ، فهزّ عطف غلوائه ، وجرّ ذيل خيلائه ، عارضه بالنظم مباهيا ، بل كابده مداهيا ، حين أشفق أن يستعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك ألطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائده له ، فما زال يستكد الذهن العليل ، والخاطر الكليل ، حتى زف اليك عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملابسها ، وهى[1] :

[1] ديوان ابن زيدون – حققه وشرحه حنا الفاخورى – دار الجيل – بيروت صفحة ٥٤

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرفيق الحواشى لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى زمن ما ذمامه بالذميم
اذ ختام ' الرضا المسوّغ مسك ومزاج الوصال من تسنيم
وغريض الدلال غضّ جنى الصبوة نشوان من سلاف النعيم
طالما نافر الهوى منه غر لم يطل عهد' جيده بالتميم
زار مستخفيا ، وهيهات أن يخفى سرى البدر في الظلام البهيم
فوشى الحلى اذ مشى ،، وهفا الطيب الى حس كاشح بالنميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى ليس يومى بواحد من ظلوم
قمر الأفق ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينجو بالمصاب العظيم نحو العظيم
بوّا الله جهوراً اشرف السودد في السرو واللباب الصميم
واحد'' سلم الجميع له الأمر فكان الخصوص وفق العموم
قلد الغمر 'ذا التجارب فيه، واكتفى جاهل'' بعلم العليم
خطر يقتضى الكمال بنوعى خلق بارع وخلق وسيم
ايهاذا الوزير ها أنا اشكو والعصا بدء قرعها للحليم
ما عنانا أن يأنف السابق المربط في العنق منه والتطهيم
وبقاء الحسام في الجفن يثنى منه بعد المضاء والتصميم
أفصبر مئين خمساً من الأيام ناهيك من عذاب اليم
ومعنى من الضنى بهنات نكأت بالكلوم قرح الكلوم
سقم'' لا أعاد فيه وفي العائد أنس يفى ببرء السقيم
نار بغى سرى الى جنة الأمن لظاها ، فأصبحت كالصريم
بأبى أنت إن تشأ تك برداً وسلاماً كنار ابراهيم
للشفيع الثناء والحمد' في صوب الحيا للرياح لا للغيوم
وزعيم بأن يذلل لى الصعب مثابى الى الهمام الزعيم
أمل ، يرغم الحتفاء إليه، وهو ثبت المقام ماضى العزيم
ووداد ،يغير الدهر ما شاء ويبقى بقاء عهد الكريم

وثناء أرسلته سلوة الظاعن عن شوقه ولهو المقيم
فهو ريحانة الجليس ولا فخر ومنه مزاجُ كأس النديم
لم تزل مغضياً على هفوة الجانى، مصيخا الى اعتذارِ الكريمِ
ومتى نبدأ الصنيعة يولعك تمامُ الخصال بالتتميم

هاكها أعزّك الله يبسطها الأمل ، ويقبضها الخجل ، لها ذنب التقصير ، وحرمة الإخلاص ، فهب ذنباً لحرمة ، واشفع نعمة بنعمة ، ليتأتى لك الإحسانُ من جهاته ، وتسلك الى الفضل طرقاته ، إن شاء الله تعالى.

هذه الرسالة الزيدونية بجملتها نثرا ونظما ، منقولة من خط ابن ظافر رحمه الله تعالى.[1]

لقد احتشد شرح الإمام الصفدى بالقصص والحكايات التاريخية من فاطميين وترك ومماليك وغير ذلك. مثل قصة التركى الذى قتل المتوكل ، ومقتل الملك الأمجد بهرام شاه على يد غلامه ، ومقتل الأشرف خليل بن قلاوون على يد مملوكه . كما ذخر بالأشعار المستفيضة فحوى آلاف الأبيات الشعرية من عيون الشعر العربى ، ومن مختلف العصور كالعصر الجاهلى والإسلامى والأموى والعباسى والعصر الحديث . كما حفل بالكثير من تراجم مشاهير الشعراء في مختلف العصور. كذلك اهتم بالأمثال العربية إذ ذخر بما يقارب الأربعين مثلاً ، وسرد الكثير من حكاياتها وما يستفاد منها من دروس وعبر. كذلك تطرق للقصص الدينى كقصة نوح عليه السلام وقصة فرعون وصالح عليه السلام وأصحاب الفيل وتطرق للعديد من المعارك الإسلامية كبدر وأحد وغيرهما . كما تناول حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بتفصيل وافٍ واستعرض الكثير من الرسائل والآيات القرآنية بالشرح والتعليق فجاء شرحه موسوعياً لكثرة ما تناوله من موضوعات في شتى ضروب الحياة من تاريخ وأدب وعلوم وفنون وغير ذلك. كما جاءت موضوعات ابن عليم شبيهة في مجملها بموضوعات الإمام الصفدى فتنوعت هى الأخرى لتشمل سير العديد من الأنبياء الكرام كادم ونوح وموسى عليهم السلام كما تعرضت بإسهاب وتفصيل للسيرة النبوية والغزوات وتطرقت لأخبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد بن الوليد والحسن والحسين وغيرهم وأخبار الخوارج والشيعة ومعتقداتهم . كما

[1] تمام المتون صفحة ٢٢ – ٢٩

شملت أخبار الحجاج بن يوسف والأحنف بن قيس وحاتم الطائى. كذلك تعرضت للعديد من الآيات القرآنية وأحكامها وأسباب نزولها ولأخبار الكثيرين من الشعراء في مختلف العصور كامرئ القيس وعنترة والنابغة الذبيانى وغيرهم وللعديد من الأمثال العربية مناسباتها وحكاياتها. وما قيل في حب الوطن والإغتراب كما ضم الشرح كماً هائلاً من الأبيات الشعرية في مختلف ضروب الشعر وعصوره حتى غدا الكتاب موسوعة حفلت بالآداب والعلوم والفنون.

الكتابان متقاربان في الحجم وعدد الصفحات فكلاهما من البنط المتوسط حوى تمام المتون أربعمائه وخمس عشرة صفحة بينما حوى الدر المخزون ثلاثمائه وثمان وتسعون صفحة.

ومقارنة بين هذين الشرحين نجد أن شرح الصفدى أقدم وأسبق وأن له فضيلة أخرى هى احتواؤه على فصل في نقد الإمام الصفدى لرسالة ابن زيدون كما به فصل أورد فيه رسالة محى الدين بن عبد الظاهر وهى الرسالة التى كتبها إلى الأمير ناصر الدين حسن بن شاور الكنانى المعروف بابن النقيب ولقد أوردها لتأثر الكاتب فيها بابن زيدون.

بينما احتوى شرح ابن عليم على تقاريظ وتعليقات على شرحه من جانب العديد من وجهاء السودان من أصدقائه ومعارفه.

الشرحان وموضوعاتهما واحة يستظل بها القارئ فيمتع نفسه بضروب من الفنون والآداب التى لا غنى عنها فجدير بالمرء أن يطالعها ففيها من كل نبع قطرة ومن كل روض زهرة.

المبحث الخامس
تقييم عام للشرحين

لا غرو أن الأديبين الكبيرين الصفدى وابن عليم اللذين قاما بشرح رسالة ابن زيدون الجدية قد أبرزا الرسالة وسكبا عليها من البهار ما زادها عطرًا على عطرها ، وشهرة على شهرتها . أعانهما على ذلك ما يتمتعان به من سعة في الخيال ، ومضاء في التفكير ، وغزارة في المعلومات ، وسلاسة في الأسلوب ودقة في التعبير.

فما معنى النقد في اللغة وفي اصطلاح الأدبيين؟

جاء فى لسان العرب:

النقد والتنقاد والإنتقاد تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها أنشد سبويه:

تنفى يداها الحصّى في كل هاجرة *** نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[1]

ونقدت الدراهم وانتقدتها أخرجت منها الزيف فهذا المعنى اللغوي *

الأول : يشير إلى أن المراد بالنقد التمييز بين الجيد والردئ من الدراهم والدنانير ، وهذا يكون عن خبرة وفهم وموازنة ثم حكم سديد.

وفي اصطلاح الأدبيين فإن النقد هو الفحص والموازنة والتمييز والحكم.

ليس النقد الأدبى أن أبدى رأياً فطيراً فجاً في عمل هذين الأديبين كأن أقول: " إن شرحهما جميل أو ردئ " . إنما النقد هو التحليل والتوضيح والموازنة في جوانب الإبداع والجمال في الشرحين ، واستجلاء جوانب القصور – ان وجدت– . في دقة وموضوعية وهو العمل الذى ظللت أزاوله وأنا أسير بين شعاب هذين الشرحين البديعين.

يقول الدكتور أحمد شايب [1] " فالنقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها يجرى هذا في الحسيات والمعنويات وفي العلوم والفنون وفي كل شئ متصل بالحياة

---

[1] انظر لسان العرب ج ٦ صفحة ٤٥١٧

إن العمل الأدبى لا يكمن في العبارات المنتقاة أو الكلمات المتراصعة بالغاً ما بلغت من البلاغة والبيان. انما هو العاطفة الجياشة الصادقة عندما يبلورها الأديب في تعبير جيد ، سلس ، آخاذ . فتحلق بالقارئ في دنيا الأديب وتبعده عن مؤثرات الزمان والمكان فيعيش في متعة وترقب وهو ما ظل الأديبان يأسراننا به في شرحيهما . وقد جاء شرحاهما من الأدب العالى الذى يقول عنه الأستاذ معاوية نور [٢] " الأدب العالى يحتوى على عناصر أربعة ، يجتمع كلها أو بعضها لتكون القطعة الأدبية ، وهذه العناصر هى كما قلنا سابقاً العاطفة والفكر والخيال والقالب ".

فهل يا ترى وفق الأديبان في ذلك ؟ نعم . ونعم كرامة . أما بالنسبة للخيال فقد ارتادا آفاقاً رحبة. فمثلاً عند شرح الصفدى لعبارة ابن زيدون[٣] ٥٠- وقوله : وكتبت إلى عمر بن سعد أن جعجع لحسين ".

انظر إلى خيال الأديب الصفدى الناضج . كيف تمكن من أن يرسم الصورة حية ، ناضجة ، بليغة الأثر في نفس قارئها . انظر إلى قوله عند الشرح [٤] " لما أتى يزيد براس الحسين ، تناوله بقضيبب. فكشف عن ثناياه ،

فو الله ما البرد بأبرد من ثناياه ، ثم قال:

نفلِّق هاماً من رجالٍ أعزةٍ *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما[٥]

فقال رجل كان عنده : يا هذا ارفع قضيبك ، فو الله لربما رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، فرفعه متذمماً مغضباً.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : لو كنت في قتلة الحسين ، وأمرت بدخول الجنة لما فعلت ، حياء أن تقع عينى على محمد [٦]

" وكان قد توجه نحو الفرات ، فتعرضوا له ، وحالوا بينه وبين الماء . وأشار بذلك رجل من بنى ابان بن دارم ، فقال الحسين رضى الله عنه : اللهم

---

[١] انظر أصول النقد الأدبى – تأليف أحمد شايب الأستاذ بجامعة القاهرة (سابقاً) ١٩٩٩م مكتبة النهضة المصرية صفحة ١١٤

[٢] دراسات في الأدب والنقد. معاوية محمد نور – الطبعة الأولى – قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم

[٣] تمام المتون صفحة ٢٠٣

[٤] تمام المتون صفحة ٢٠٤ – ٢٠٦

[٥] للحصين بن الحمام المري ، ديوان الحماسة ١٩٩ بشرح المرزوقي

[٦] ط : " حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقع عيني على عينيه "

أظمئه ، فما لبث الأبانى إلا! قليلاً حتى رئى وإنه ليؤتى بعس يروى عدة ، فيشربه ، فإذا نزعه عن فيه قال: أسقونى فقد قتلنى العطش ، فانقد بطنه كانقداد البعير .

وقال أبو الأسود الدؤلى – ويروى لغيره :

أيرجو معشر قتلوا حسيناً **** شفاعة جده يوم الحساب

وقال بعض الشعراء:

عبد شمس قد اضمرت لبنى **** هاشم حرباً يشيب منه الوليد

فابن حرب للمصطفى ، ابن هند *** لعلى ، وللحسين يزيد

وعلى نفس النهج والنسق جاء خيال ابن عليم في ذات العبارة " وكتبت إلى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين" [1] فقد كان خياله صادقاً مؤثراً اختار فيه من الكلمات ما أبانت المعنى وفسرت المراد في دقة وسلاسة . اسمعه يقول [2] " وكفى ما قاله جده صلى الله عليه وسلم فيه حسين منى وأنا من حسين ولم يبايع النبى صلى الله عليه وسلم صغيراً قط إلاّ الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم. وفي الحديث الشريف عن أم سلمه زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت كان عندى النبى صلى الله عليه وسلم ومعى الحسين فأخذته فبكى فتركته فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فأتى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل فقال أتحبه يا محمد قال نعم قال الاّ إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها فبسط جناحه فأراه منها فبكى النبى صلى الله عليه وسلم".

يتضح لنا من هذين الاقتباسين لشرح الأديبين ما اتسما به من سعة في الخيال ، وليس المقصود بالخيال عدم الواقعية ، إنما المقصود دقة تصوير الواقع ، وبعد النظر في اجتلاء الأمور ، ووضعها وتقريبها لذهن القارئ ، وهو الأمر الذى أفلح فيه الأديبان.

كما اتسم الشرحان بأنهما صورة فنية واقعية لحدث تاريخى. وصفه الأديبان بصورة مباشرة ونقلاه بعبارات حية تمثل الصورة الفنية في العصر الحديث يقول

---

[1] الدر المخزون صفحة ٢٠٥

[2] الدر المخزون صفحة ٢٠٦

ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم [1] " إن الصورة لا تقف عند حد المجاز بل تتجاوزه الى الواقع حينما تكون وصفاً مباشراً ، بوساطة إمكانات اللغة التعبيرية المتعددة ، كما يرى عبد القادر القط".

إن خيال الأديبين لا يسبح في مهامه قفر ، ولا في أرض يباب . وإنما هما يسبحان في أودية خصيبة ندية خضراء يستلذ لها القارئ ، ويستمتع بها . وإن جنحا الى الفكر كان فكرهما واضحاً مسدداً يقول الأديب الصفدى عند شرح قول ابن زيدون [2] " ١٢١ – " وذلك بيده ، وهين عليه. "

" أى بيده هذا الذى سأله ، وقصده فيه ، أمره راجع إليه ، وهو في حكمه يصرفه كيف أراد على ما يختار كما يكون الشئ بيده ، وهذا كناية عن القدرة والإستيلاء ، ومن هذا قوله تعالى : " والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " [3]. وفي قوله تعالى : " بيمينه " لطيفة ، لأنه لم يقل " في يمينه " حتى ينفى الظرفية التى هى من لوازم الأجسام. وكل هذه العبارة كناية عن القدرة التامة ، والإستيلاء الكامل ، فتبارك الله العظيم ! وهذا النوع يسمية أرباب البديع التمثيل !

وقول الرماح بن ميادة :

ألم تك في يمنى يديك جعلتنى**** فلا تجعلنى بعدها في شمالكا

أراد ان يقول ، ألم أكن قريباً منك ، فلا تجعلنى بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أعم ، وهو التمثيل ، لما فيه من الزيادة في المعنى مما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من القرب والبعد ومن الأوصاف التى لا يحصل إلاّ بذكرهما ، لأن اليمين أشد قوة من الشمال ، وأقرب إلى ربها ، لأنه بها يأخذ ويعطى ويبطش ، ويعمل الصنائع ، وبها يعتمد ، وهى عنده مكرمة على الشمال . فهذه للأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ، لهذا كانت يمين رسول الله

[1] انظر الصورة الفنية في الشعر العربى مثال ونقد الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة الصفحات ١٦ – ١٧

[2] تمام المتون صفحة ٣٨٢

[3] سورة الزمر ٦٧

صلى الله عليه وسلم لأكله وشربه ووضوئه وتنعله ، وشماله لاستنجائه وإماطة الأذى عنه .

تأمل كيف يشقق الأديب الصفدى المعانى ، ويحلل الكلمات ليكشف أبعادها ، ويستجلى مكنوناتها من كنايات وبلاغة . وكيف يلفت الأنظار إلى الاستخدامات الدقيقة لحروف الجر ومدلولاتها ! " وفى قوله تعالى : (بيمينه) لطيفة ، لأنه لم يقل (في يمينه) حتى ينفى الظرفية التى هى من لوازم الأجسام . وكل هذه العبارة كناية عن القدرة التامة والإستيلاء الكامل) . ثم كيف يلفت الأنظار الى التقديم والتأخير في الصلة مستشهداً بقول الإمام الزمخشرى في كشافه [1] " فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله تعالى : (وهو أهون عليه) [2] ، وقدمت في قوله تعالى : (هو علىّ هين) ؟ قلت : هناك قصد الإختصاص ، وهو محزة فقيل: هو علىّ هين ، وإن كان متصعباً عندكم أن يولد بين هم وعاقر [3] ، وأما هنا فلا معنى للإختصاص. كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الإبتداء ، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى ".

التسمية:

يرى الأديب الجاحظ أن المبدع الممتاز هو الذى يستطيع تصريف المادة الخام وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الافتتان والإبداع ويدعو إلى الإعجاب ففي رأيه أن [4] " المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى ، وإنما الشان في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ".

" سئل الأصمعى : من أشعر الناس ؟ فقال: من يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً ، أو الى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً ! " [5]

---

[1] الكشاف ٣: ٢٧٥

[2] سورة الروم آية ٢٧

[3] الهم : الشيخ الفانى

[4] الحيوان – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – المجمع العلمى العربى الإسلامي بيروت ط ٣ ١٣٨٨هـ ١٣١/٣

[5] نظرات في أصول الأدب والنقد د. بدوى طبانة شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع صفحة ٢٤٢

يتضح لنا من رأى الأديبين الجاحظ و الأصمعى أن الأدب غير مبرأ من الصنعة أكثر من ذلك أنه يحتاجها وأجد نفسى أتفق مع هذا الرأى. لأن الأدب والنقد كليهما عملية فكرية ومن اليسير في إعمال الفكر إحلال فكرة موضع فكرة أخرى متوسلين بالإقناع العقلى والمنطق وهما يقودان الى التسليم بقبول أو بصحة الفكرة الجديدة. وعندى أن الصنعة ليست مقيتة لا سيما إن لم يكن فيها تكلف ظاهر. وكان فيها قدر كبير من الإخلاص للفكرة والعاطفة.

اخلص من هذا التقديم الى تسمية الشرحين التى تبدو الصنعة فيها واضحة شرح الصفدى " تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون " وشرح ابن عليم " الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون "

في موضوع التسمية سمى ابوتمام ديوان الحماسة " الحماسة الكبري" ويبدو أن أبا تمام قد جرى في هذا على تقليد وكما يقول محققا شرح المرزوقى للديوان [1] " يظهر أن العادة فشت أولاً ، أن يسمى الكل باسم أي جزء ، حتى في تسمية القرآن ، فسميت سورة البقرة لآية فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشئ بأوله ، فسمى العين للخليل لأن أول أبوابه باب العين ، وسمى ابوتمام ديوانه بالحماسة كذلك ".

فلم سمى كل من الشارحين كتابه بالاسم الذى اختاره ؟ الناظر الى اسم الشرحين يتضح له أن الأديبين توافقا في أن يكون الاسم مسجوعاً كديدن وعادة الكثيرين من قدامى المؤلفين مثل كتابى – نهاية الأرب في فنون الأدب " لشهاب الدين النويرى و –كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى – ولعل اسم صاحب الرسالة هو الذى أملى عليهما أو قيدهما بهذا الوزن " ابن زيدون " فما دلالة كل اسم؟

أولاً: تمام المتون يعنى المتن التام الكامل.

ثانياً: الدر المخزون أي الدرر المختزنة بين طيات الرسالة وتسمية تمام المتون تميل الى العلمية بمعنى أن المتن وهو الظهر يمثل العمود الفقرى في الجسد والذي يربط الجسم بشبكة من الأعصاب تتصل كلها بالمخ . المحرك الأول للجسد.

أما الدر المخزون فتسمية تميل إلى الأدب والبلاغة بمعنى أن الرسالة تحتوى على كثير من الكلمات التى هى كالدرر قيمة وثراء.

---

[1] المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربى د. عز الدين اسماعيل صفحة ٩٥ – ٩٦

الهدف من الشرحين:

بعدت الشقة الزمنية بين شرح الصفدى وشرح ابن عليم إذ كانت بضعة قرون ورغم هذا الدهر الدهير إلا أنهما اتفقا في الهدف وتشابها في تناول العديد من موضوعات الرسالة. علماً بأن ابن عليم لم يطلع على شرح الصفدى فما السر في كل أولئك؟

إن غرض الأديب ابن عليم من شرح الرسالة هو شغفه بالأدب ، وهيامه به. شجعه على ذلك حلاوة الرسالة ، وطلاوة عباراتها يقول ابن عليم " فإن حبى للأدب وأهله وتطفلى على موائد كرمه وفضله حدا بى الى شرح هذه الرساالة البديعة". [1]

أما الأديب الصفدى فقد هزته الرسالة وملكت عليه أفكاره بما فيها من اللطافة فرأى أن يشاركه القراء فعمد إلى شرحها.[2]

لقد اتفق الأديبان في غايتهما ، وهى إثراء الأدب ، وإتحاف القراء بروائعه ونفائسه . فجاء كتاباهما غاية في الروعة. والحق يقال لقد أجادا بما أضفيا على الرسالة من شرح رصين ، واستطراد متين .

هذان الأديبان تدل تراكيبهما ولغتهما على الجدة والإيحاء والخلق . ولعل ما يميزهما العلاقات الجديدة للألفاظ الشئ الذى يوحى بالجودة والأصالة وهذا هو السر في توافق رؤاهما لكثير من الأمور . كما أن تمكنهما الأدبى ، وتجاربهما الطويلة في ميدان الفن والإبداع ، وقدرتهما على الإبتكار والتجديد ، وتطويع اللغة تدل على أن علاقتهما باللغة علاقة ذاتية ، وليست علاقة إجتماعية.

أضف إلى ذلك تجاربهما الثرة ، وعواطفهما المحتشدة في الذهن ، والخيال الدقيق في ومضات التفكير والإلهام ، وما يتسمان به من ذاتية تحمل بصمتيهما تعين كل هذه الأمور على أن يفرغا فكرتهما وعاطفتهما في عبارات تضئ طريق القارئ ليبصر ما يهدفان اليه وما ينشدانه.

---

[1] الدر المخزون صفحة (٢٢)

[2] انظر تمام المتون الصفحات ٣ – ٥

كما أن أسلوبهما ومفرداتهما تتعاون جميعاً كأنها بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً فتتضح فكرتهما موزونة ذات إيقاع ونظم خاص بل ونكهة خاصة لا تكلف فيها يزينها الصدق.

فان الأديب الحق هو الذى يصدق في إبانة فكره ولا يتكلف شعوره هذا لعمرى هو الفن الحق بله المجيد.

الخاتمة

إنني إذ أكفكف أطراف بحثي هذا ، مقتربا من نهايته لا بد أن أقول : إن الشاعر الكبير ابن زيدون ، قد ولج ميدان الشعر من أوسع أبوابه . وها هو ذا يلج ميدان الرسائل من أوسع أبوابه ايضا . فقد خط رسالته الجديه – لابن جهور – ولم يترك فيها شاردة ولا واردة ، إلا وتحدث عنها – تم ذلك بأسلوب سلس ، أخاذ . أخذ بلب كل من اطلع عليها ، الأمر الذى حث العديد من الأدباء أن يعملوا علي شرحها ، فأغنوا التراث الأدبي . إذ أتاحت لهم الرسالة البليغة ، الاستطراد في مواضيع مختلفة ، في التاريخ ، والآداب ، وسير العظماء ، والفنون . هذا العمل حري به أن يلفت الأنظار الي التراث الأدبي ، ويحببه الي النفوس ، بما يفيض عليه من أسلوب عصري ، يقوم بربط الماضي التليد ، بالحاضر الزاهر ، ويقدم علي مر العصور والازمان ، تاريخ الادب العربي في ثوب زاه حديث ، فيتلاقح الماضي مع الحاضر ، ويعملان علي بناء مستقبل وضئ مشرق ، علي مزاج وخلط طيب يعتبر الماضي ، ويبني عليه أهداف المستقبل ، فينشأ جيل يلم بماضية ويمجده ، ويعمل علي إخصاب مستقبله وبنائه في جد وتركيز.

لعل هذا الحديث الذي جري مني ، هو الفكرة الاساسية التي انبني عليها بحثي . وهي تتلخص في أن مستقبل الأدب – في أي وسط – لا يبني بمنأي عن ماضية . فلا بد من معرفة الماضي لنبني عليه المستقبل حتي يستوي البناء علي أديم ثابت .وينهض علي أساس متين إن إشراق المستقبل جذوته من معرفة الماضي والبناء عليه .

مراعين لكل ما تقدم من ملاحظات ، فإن اسلوب شرح الرسائل علي نحو ما جري في مؤلفي الصفدي وابن عليم ، فرصة كبيرة لكشف جهود الادباء السابقين . والعمل علي تقديمها بصورة علميه ، وأسلوب عصري ، يراعي تطور المجتمع ورقية ، وحاجاته ، والاستفادة القصوي من بيئته . لان غاية التعليم الأزلية أن يوائم الانسان بينه ، وبين بيئته . مستفيدا من ماضية ، وعاملا في حاضره برؤي واضحه لمستقبله.

لا يجب أن يكون الأدب تهويما ، او علما معلقا علي الهواء ، لا بد للأدب من أن يعيش الواقع ، ويمس شفاف القلوب ، أكثر من ذلك أن يعمل علي التأثير اليومي المباشر علي حياة الانسان ، في كل مضطربه ، متقلبه ومثواه . ولن يتأتي للأديب كل أولئك إلا إذا وضع

نصب عينيه هذه المفاهيم ، والأفكار الاساسية التي خرج بها بحثي هذا :-

أولا : الفكر أوسع من اللغة ، بمعني أن ما يحسه الانسان ، ويعيشه ، أكبر من أن تعبر عنه اللغة ومفرداتها بالغا ما بلغت من الفصاحة والبيان - وما أسلوب الأديب وكلماته إلا اشارات يتوكأ عليها القارئ ، ليري الأديب أو بالأصح ليفهم ما يرمي إليه . وعليه فإن الأديب ذا الفكرة الواضحة ، والاسلوب الأخاذ ، هو الذي يطوع العباره حتي تطيعه ، فيفهمه قارؤه.

ثانيا : علي الأديب أن يستخدم لغة أدبية تحمل بصمته التي ينماز بها عن القطيع ، وهذا يقتضي أن يشحن المفردات بطاقة بلاغية هائلة ، تخرج بالالفاظ عن مدلولاتها الأصلية.

ثالثا : ليكون الأديب مفهوما ، عليه أن يدرس بيئته ، ويتعرف علي مجتمعه ، وبهذا يتسني له أن يخاطب الناس علي قدر عقولهم ، وبمقتضي حاجتهم ، وحاجة عصرهم.

رابعا : ليس من العلم في شئ لا ، ولا من البلاغة أن يتخير الأديب العصي من المفردات ، التي تكلف القارئ شططا ، بكثرة الرجوع الي قواميس اللغة ، لأن اللغة وسيلة وليست غاية.

خامسا:من معاني النقد الحديث دراسة الآشياء ، وتحليلها ،وتقويمها، وإبانة قيمتها الحياتيه ، حتي يقتدي بها الناس . لأن النقد بناء ، ويري الأديب ما لا يراه الآخرون ، فعليه أن يستخدم علمه ومعرفته في بناء مجتمعه وتطويره ، وبهذا يكون مواطنا صالحا ناهضا بمجتمعه ، مؤديا لرسالته علي الوجه الأكمل.

هذا وإني لأتوجه الي الله ، حامدا شاكرا أن وهبني القدرة ، والعافية ،والتوفيق ، لأكمل هذا البحث ، متوسلا منه إتمام المنة والفضل أن ينفعني به ، وينفع الآخرين ، فإنه وارد :

إذا لم يكن من الله عون علي *** الفتي فأول ما يجني عليه اجتهاده

هذا ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

الباحث ،،،،

الفـــهارس العـــــــامة

فهرس الموضوعـات

الموضوع	الصفحة
استهلال	(أ)
الآية	(ب)
الإهداء	(جـ)
مقدمة	د — هـ – و
الفصل الاول : –	
التعريف بصاحب الاصل والشارحين ويتضمن ثلاثة مباحث	
المبحث الاول: – التعريف بابن زيدون ورسالته الجديه	١ — ١٠
المطلب الاول : – عصر ابن زيدون	١
المطلب الثاني : – شخصية ابن زيدون ورسالته الجديه	١٠
المبحث الثاني : – الصفدي عصره وشخصيته	٢١
المطلب الاول : – عصر الصفدي	٢١
المطلب الثاني : – شخصية الصفدي	٣٨
المبحث الثالث : – ابن عليم عصره وشخصيته	٥٥
المطلب الاول: – عصر ابن عليم	٥٥
المطلب الثاني : – شخصية ابن عليم	٦٣
الفصل الثاني : – شرح الصفدي " تمام المتون "	
وصف كتاب تمام المتون	٨١
الفصل الثالث : – شرح ابن عليم " الدر المخزون"	١٠٨
وصف كتاب الدر المخزون	١٠٨
الفصل الرابع : – المقارنة والموازنة بين الشرحين ويتضمن خمسة مباحث	١٢٣

المبحث الاول : مدخل	١٢٣
المبحث الثاني : الاسلوب	١٢٨
المبحث الثالث : اللغة	١٤٠
المبحث الرابع : الموضوعات	١٥٢
المبحث الخامس: تقييم عام للشرحين	١٦٠
الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث	١٦٨
الفهارس العلمية : وتتضمن : -	
- فهرس الآيات القرآنية	١٧١
- فهرس الاحاديث والآثار	١٧٣
- فهرس الأشعار والقوافي	١٧٧
- فهرس الاعلام	١٨٦
- فهرس الأماكن والبقاع	١٩٥
- فهرس المراجع والمصادر	١٩٨
- فهرس الموضوعات	٢٠٤

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة
"غافر الذنب قابل التوب"	سورة غافر (٢)	83
"فيها فاكهة ونخل ورمان"	سورة الرحمن	84
"من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال"	سورة البقرة (٩٨)	84
"لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون"	سورة النساء (١٧٢)	84
"أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت"	سورة البقرة (٢٦٦)	89
"واذا جاءهم أمر من الأمن"	سورة النساء (٨٣)	91
" وإنه على ذلك لشهيد (٧) وانه لحب الخير لشديد(٨)	سورة العاديات (٧، ٨)	91
" وهم ينهون عنه وينأون عنه "	سورة الانعام (٢٦)	91
" خذ العفو وأمر بالمعروف "	سورة الأعراف (١٩٩)	100
" فاصفح الصفح الجميل "	سورة الحجر (٨٥)	100
" والعافين عن الناس "	آل عمران (١٣٤)	100
" لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"	سورة يوسف (٩٢)	100
" والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "	آل عمران (١٣٤)	101

الآية	السورة	الصفحة
" هماز مشاء بنميم"	سورة القلم(١١١)	101
" ولا تطع كل حلاف مهين"	سورة القلم (١٠)	102
" وانصح لكم"	سورة الأعراف (٦٢)	103
"وأنا لكم ناصح أمين"	سورة الأعراف (٦٨)	103
" من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها "	سورة النساء (٨٥)	103
" فبشرهم بعذاب أليم"	سورة التوبة (٣٤)	١٠٤
" إذا الشمس كورت (١) واذا النجوم انكدرت(٢)	سورة التكوير (١ ، ٢)	١٣٨
" ق والقرآن المجيد (١) "	سورة ق (١)	١٤٠
" حم (١) والكتاب المبين (٢)	سورة الدخان (١/٢)	١٤٠
" ص والقرآن ذى الذكر (١) "	سورة ص(١)	١٤٠
" طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين(٢)	سورة القصص	١٤٠
"كهيعص (١) "	سورة مريم(١)	١٤٠
" فبشرهم بعذاب أليم "	سورة التوبة (٣٤)	١٤٥
" اركب معنا "	سورة هود (٤٢)	١٥١
" ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء"	سورة هود (٤٣)	١٥١
" والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه"	سورة الزمر (٦٧)	١٦١
" وهو أهون عليه"	سورة الروم(٢٧)	١٦٢

فهرس الأحاديث والأثار

"أنا مولي من لا مولي له " صفحه (82)

قال : –

أقول لكم كما قال أخي يوسف : " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"ص (100)

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلي الله عليه وسلم : هل أتي عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي علي ابن عبد ياليل " ابن عبد كلال" ، فلم يجبني الي ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم علي وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، ومارددوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، فسلم عليّ ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأ خشبين ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده ، ولا يشرك به . متفق عليه " ص (100)

وعنها رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله .. وما نيل منه شئ قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينهك شئ من محارم الله تعالي ، فينتقم الله تعالي : رواه مسلم ص (101)

وعن ابن مسعود قال : كأني أنظر الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، يحكي أن نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . متفق عليه ص (101)

ما رواه حذيفة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة نمام" ص (102)

وعن ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم مر بقبرين ، فقال : إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول" ص **(102)**

وعن ابن مسعود ، أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : " الا أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمه ، القاله بين الناس " رواه مسلم ص **(102)**

جاء عنه صلي الله عليه وسلم : (لعن الله المثلث) ، فقيل : يا رسول الله ، وما المثلث ؟ قال " الذي يسعي بصاحبه الي السلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه" **(102)**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال : " من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا " رواه مسلم ص **(102)**

وفي رواية : إن رسول الله صلي الله عليه وسلم مر علي صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت اصابعه بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابتنا السماء يارسول الله ، قال " أفلا جعلته فوق الطعام حتي يراه الناس ! من غشنا فليس منا" ! ص **(102)**

وفي مسلم عن أبي رقيه تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، أن النبي صلي الله عليه وسلم ، قال: " الدين النصيحة" ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم "ص **(103)**

وفي البخاري ومسلم ، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : بايعت رسول الله صلي عليه وسلم علي إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .. وفيهما عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال : لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه "ص **(103)**

وعن أبي موسي الأشعري قال : كان النبي صلي الله عليه وسلم : إذا أتاه طالب حاجة أقبل علي جلسائه ، فقال :" اشفعوا تؤجروا ويقض الله علي لسان نبيه ما أحب" متفق عليه وفي روايه "ماشاء"ص (١٠٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصه بريرة

وزوجها ، قال : قال لها النبي صلي الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟ قال : إنما أشفع ، قالت : لا حاجة لي فيه .ص [١٠٤]

كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ويهجو من يهجوه فقال فيه اللهم أيده بروح القدس .. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله عزوجل وعن رسوله ص .[١١٢]

ولما استأذن حسان رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يهجو قريشا قال كيف تهجوهم وأنا منهم قال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين . فأذن له وقال : ائت أبا بكر الصديق فإنه أعلم الناس بأنساب العرب فأتاه فأعلمه فقاله له : كف عن فلان وأذكر فلانا" ص [١١٣]

قال صلي الله عليه وسلم ، لحسان بن ثابت : " لهذا أشد عليهم من وقع النبل وقال : أمرت عبد الله بن رواحه فقال وأحسن – وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان فشفي واشتفي " ص[١١٤]

قال عليه الصلاة والسلام عن عثمان بن عفان : " اللهم إني رضيت علي عثمان فارضي عنه ، اللهم أغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت " ومنها " إني لأستحي ممن استحت منه ملائكة الرحمن " وقال عن غيابه في صلح الحديبيه " هذه عن عثمان ولشمالي خير من يمينه". ص [١١٥]

قال عثمان بن عفان " ولقد سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول :" من زل فليتب ولا يتمادي في الهلكة إن من تمادي في الجور كان أبعد عن الطريق " ص [١٢٠]

قوله عليه الصلاة والسلام " نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نخاطب الناس علي قدر عقولهم " ص [١٢٧]

وفي الحديث الشريف عن أم سلمة زوج النبي صلي الله عليه وسلم قالت : كان عندي النبي صلي الله عليه وسلم ومعي الحسين فأخذته فبكي فتركته – فدنا منه فأخذته فبكي فتركته فأتي النبي صلي الله عليه وسلم جبريل فقال : اتحبه يا محمد ؟ قال : نعم قال

: إلا أن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها – فبسط جناحه فأراه منها فبكي النبي صلي الله عليه وسلم " .ص [١٦٠]

الأشعـــار

فهرس القوافى

حرف (ى)

أول البيت وقافيته	الشاعر	الصفحة
كل المصائب.....الأعداء	المتنبى	١٥٠
الاّ أبلغ.....هواء	حسان بن ثابت	١١٣
من غص.....بالماء	.....	١٤٣
إلى الماء.....بماء	.....	١٤٣
وإذا نظرت.....الأمراء	عدى بن الرقاع	١٥٤
حرف (ب)		
ونجزنى.....سخاب	ابن زيدون	١٢
الصالح.....مجلوب	.....	٢٤
فما سودتنى.....ولا أب	عامر بن الطفيل	٨٥
كأنى.....السواكب	ابو هلال العسكرى	٩١
قل..... الثاقب	ابن كلس	٩٢
تبسطنا.....الذنوب	السلامى	٩٨
وغير.....متابا	ابن قلاقس	٩٨
إذا رضيت.....عتب	العباس بن الأحنف	٩٨
لا والذى.....أذنب	مهيار	٩٩
أنت كالدلو.....الذنوب	علي بن الجهم	١٣٨
أضاحك.....جديب	حاتم الطائى	١٤٤
يعطى.....المذنب	ابو تمام	١٤٤
ولم أر.....أدب	ابو العتاهية	١٤٦
فإن تسلمى.....صلبا	يزيد بن معاوية	١٤٦
حلفت'.....مذهب	النابغة الذبيانى	١٥٢

أول البيت وقافيته	الشاعر	الصفحة
ومن يغترب..... مسحبا	عروة بن الورد	١٥٣
أيرجو .....الحساب	ابو الأسود الدؤلى	١٦٠
حرف (ت)		
هذب.....بيت	.....	٣٥
بنفسى.....مقت	البهاء زهير	٨٣
حرف (ج)		
أقول .....الدجى	الصفدى	٥٢
حرف (ح)		
إنى وتركى.....شحاحا	.....	٩١
بالحاكم.....الصلحا	محمد بن القاسم بن عاصم	٩٢
حرف (د)		
أنفقت.....شارد	الصفدى	٥٣
في جنة.....السؤدد	حسان بن ثابت	٨٦
أشارت.....الأفئدة	ابى الفضل طاهر بن الفقيه	٨٧
وها أنا ثاو .....تسدى	ابن حيوس	٩١
لابن الزبير .....تغرد	شهاب الدين الخيمى	٩٥
والبدر.....متجدد	على بن الجهم	٩٥
عفا الله.....أبعدا	البحترى	٩٩
ما مقامى.....اليهود	المتنبى	١٠٨
ابا خدد.....القدود	المتنبى	١٠٩
فلاهطلت.....البلادا	المعرى	١٢٤
إن الهوان.....الأجد	المتلمس	١٣٢

إن تتهمى .....نجد	.....	١٤٦
فإن يدعى.....نجد	.....	١٤٦

أول البيت وقافيته	الشاعر	الصفحة
أتخيِّمون.....فنعود	ابن المعلم	١٤٦
عبد شمس.....الوليد	.....	١٦٠
الآ هل رأت.....السدا	ابن عليم	٧١
حرف (ر)		
أنت الخصيب.....بحر	ولادة	١٥
ترقب.....للسر	ولادة	١٦
لو كنت.....تتخير	ولادة	١٧
محياه.....مزهر	الصفدى	٥٢
لا يعجب.....جار	.....	٦٤
إن كنت.....الشذر	صالح أفندى بطرس	٦٨
الجد.....كالفاجر	ابن عليم	٧١
اسف مر.....شرر	التجانى يوسف بشير	٧٦
أفى العيد.....سخرر	حسين منصور	٧٩
إن صخراً.....لنحار	الخنساء	٨٥
وإن ابدلتنى.....الوعرا	أبوبكر أحمد الصنوبرى	٨٩
بنو كعب.....السوار	المتنبى	٩٤
لم يحترق.....عار	.....	٩٤
حى الآداب.....الصغار	الباخرزى	٩٥
لله در.....الأحرار	الأمير أبو المنيع قراوش	٩٧
حاربت.....نصرا	ابن سناء الملك	٩٧
ألست.....والقار	ابراهيم بن المدبر	٩٨

إذا مرضتم .....ونعتذر	المؤمل بن أميل	١٠٠
إن دون .....الأحرار	البحترى	١٠١
كنت.....الناظر	حسان بن ثابت	١١٦
ونحن.....القبر	ابوفراس الحمدانى	١٣٤
أول البيت وقافيته	**الشاعر**	**الصفحة**
لا تعجبا.....وقدار	عمارة اليمنى	١٣٨
عيون المها.....لا أدرى	على بن الجهم	١٤١
فتطلق.....بشير	ابو تمام الطائى	١٤٦
إذا ما أتاه .....البشر	ابو الأسود	١٤٦
لا تعجبا.....وقدار	عمارة اليمنى	١٣٨
عيون المها.....لا أدرى	على بن الجهم	١٤١
فتطلق.....بشير	ابو تمام الطائى	١٤٦
إذا ما أتاه .....البشر	ابو الأسود	١٤٦
حرف (ز)		
وحديثها.....المتحرز	ابن الرومى	٩٢
حرف (س)		
ووادى.....قياس	ابن زيدون	١٢
حرف (ض)		
أي ركن.....غيضا	ابوبكر عبادة	١٠
أثرت.....فاغتمض	ابن زيدون	١٧
حرف (ع)		
حسابكم.....ومفزع	ابو العلاء المعرى	٨٩
وما السيف.....يقطع	ابوتمام	٩٦
إلاّ يكن.....أوسع	البحتري	٩٨/ ١٥٣

تلمّست.....تشفع	نصيب	٩٩
حرف (ف)		
أغرّ.....أو مصنف	ابن زيدون	١٢
أما فى نسيم.....موقف	ابن زيدون	١٩
لئن.....تصرف	.....	٩٨
ابا عاصم.....ثقافة	الباخرزى	٩٨
أول البيت وقافيته	**الشاعر**	**الصفحة**
يا بنت.....الأضياف	الغزى	١٤٦
حرف (ق)		
لحا الله.....التفرق	ابن زيدون	١٦
إنى ذكرتك.....راقا	ابن زيدون	١٨
قل يا أبابكر.....المتدفق	الشيخ فؤاد الخطيب	٧١
اكسبها.....الحدق	ابن الرومى	٩٢
أي محل.....أتقى	المتنبى	١١٠
أوحى.....يغلق	الشيخ فؤاد الخطيب	١٢٤
أهلاً.....وصديق	.....	١٤٦
الا هل لنا.....بما لقى	ولادة	١٧
حرف (ك)		
ودّع الصبر.....استودعك	ابن زيدون	١٦
فلو قلت.....وصالك	.....	١٤٨
ألم تك.....شمالكا	الرماح بن ميادة	١٦٣
حرف (ل)		
ملك.....علل	ابن زيدون	١٩
لسنا.....نتكل	ابن حجلة	٣٦
المقلة.....نبال	الصفدى	٥٢

وجدنا.....الرسول	ابونواس	٨٤
وتلقى.....عقل	الحزين (عمرو بن عبيد)	٨٧
ألام.....بالصقل	الخفاجى	٩٦
صقلت'.....الصياقل	ابو اسحاق الغزى	٩٦
ولئن.....وكهلا	ابوفراس بن حمدان	٩٦
وما أبيض.....القساطل	ابن الساعاتى	٩٧
أنت الحسام.....السبل	سيف الدين بن قزل	٩٨
أول البيت وقافيته	**الشاعر**	**الصفحة**
يا طاعنى ..... الأمل	على بن الحسين العقيلى	٩٩
فإن لا اكن.....أهل	ابراهيم بن المهدى	١٠٠
وأبكى.....تبدل	محمد بن عبد الله بن المولى	١٠٠
لله در.....الأول	حسان بن ثابت	١١٤
تمر.....المهل	أحمد شوقى بك	١٣٣
وضوحك.....أهله	عمرو بن الأهتم المنقرى	١٤٥، ١٥٥
وجارية.....فعله	الصفدى	١٤٧
هذا.....غليلا	.....	١٤٩
ومن .....الزلالا	المتنبى	١٥١
ليت.....الأسل	عبد الله بن الزبعرى	١٥٤
وإذا امرؤ.....ماله	ابوتمام	١٥٦
كئوس.....مبطلا	الصفدى	٥٢
اليوم.....الإنجيلا	شوقى	٥٧
أمطرتنى.....وعلا	ابن عليم	٧٤
كيف تهنأ.....وولى	ابن عليم	٧٥
حرف (م)		
إذا ما اشتقت.....وبينكم	.....	٦٤
وضاقت.....الفدام	.....	٦٤

لله در.....الكلم	ابو القاسم بن أحمدبن هاشم	٧٠
نفس عصام.....الإقداما	.....	٨٧
ولم أرج.....يظلم	المتنبى	٩٣
فطلقها.....الحسام	الأحوص	٩٥
يامن يعز.....عدم	المتنبى	٩٥
واحر قلباه.....سقم	المتنبى	٩٥
قل.....نرافقهم	شهاب الدين ابو الثناء	٩٦
أول البيت وقافيته	**الشاعر**	**الصفحة**
أرى.....تقوما	ابو الفتيان بن حيوس	٩٧
ولما قسا.....سلما	الإمام الشافعى	٩٩
يا رب.....أعظم	ابونواس	٩٩
بنى هاشم.....مجرم	.....	١٠٠
أنا الذى.....صمم	المتنبى	١٠٩، ١٣٠
وكأن.....تمائم	المتنبى	١١٢
لديها.....حمائمه	المتنبى	١٢٥
حسدوا.....وخصوم	تقى الدين بن دقيق العيد	١٣٨
فقسا.....يرحم	ابو تمام	١٥٣
ثلاثة آلاف.....المصمم	ابو مياس المرادى	١٥٤
الست.....أنجما	البحترى	١٥٤
يامن يعز.....عدم	المتنبى	١٥٦
الهوى.....النسيم	ابن زيدون	١٥٧
نفلّق.....واظلما	الحصين بن الحمام المرى	١٦١
بنيتى.....يراكما	ابوفرعون العدوانى	٨٥
حرف (ن)		
أضحى.....تجافينا	ابن زيدون	١٨
الا هكذا.....البنا	ابو الحسين الجزار	٣٦

أفديه.....بسهمين	الصفدى	٥٣
سألتم.....وبين	الصفدى	٥٣
زالت.....مخزونا	الشيخ الطيب أحمد هاشم	٦٨
لا صبر.....غمدانا	ابن بايك	٩٥
عزاءك.....الدنان	القاضى ابو الفتح الهرمزى	٩٨
وكنى.....ما عنى	ابو فراس بن حمدان	١٠١
ضحوا.....وقرآنا	حسان بن ثابت	١١٣
أول البيت وقافيته	**الشاعر**	**الصفحة**
وحسبك.....راحمينا	العتبى	١٥٤
بسهم.....بينه	الصفدى	٥٢ +٥٤
حرف (هـ)		
أنا والله.....تيها	ولادة	١٥
وأمكن.....يشتهيها	ولادة	١٥
ما للحشيشة.....رشده	شمس الدين التلمسانى	٣٢
مولاك.....أمسه	ابوتمام	٨٤
يقلب رأساً..... عيوبها	الفرزدق	٨٧
نمّت.....فيها	ناصح الدين ابى بكر أحمد الارجانى	٩٢
أحب.....سحابها	.....	١٥٦
حرف (ي)		
لن يتساوى.....موالى	ابو اسحاق الغزى	٨٤
إنى لأعشق.....خمسى	الباخرزى	٨٥
فإذا جالسته.....الحاشية	دعبل	٨٦
لله.....لا تخفيه	ابو الحسين الجزار	٩٤
لا شئ.....زللى	اسحاق بن ابراهيم الموصلى	٩٩
أغتنم.....شكرى	.....	١٠٠
أرض.....فيه	.....	١٠٠

ويخطئ.....ادرى	مسلم بن الوليد	١٠٠
وعين الرضا.....المساويا	عبد الله بن معاوية	١٥١

فهرس الأعلام

(ى)

ابن أبى الحديد (د)
أبى اسحق الغزى (٨٤) ، (٩٦)
ابو الأسود (١٤٦) ، ١٦٢
ابن الآبار (١٠)
د. أحمد هيكل (٢)
أفلح النحوى (١٢)
أزبك (٢٩)
ابرا لابدوس (٣٠) ، ٣٨
الأمير شيخون (٣٦)
الألونسى (٦٥)
أحمد فريد رفاعى (٦٦)
الأحوص (٩٥)
ابراهيم بن المدبر (٩٨)
اسحق بن ابراهيم الموصلى (٩٩)
الأسود بن عبد يغوث (١٠٤)
الأخنس بن شريق (١٠٤)
أنس رضى الله عنه (١٠٥)
أم كلثوم رضى الله عنها (١١٧)
أم سلمة رضى الله عنها (١٢٠)
د. أحمد شائب (١٣٠) ، (١٦٠)
أرسطو (١٣١)
امرئ القيس (١٣٤) ، (١٥٩)
د. أحمد ابوزيد (١٤٣)
الأخفش الأوسط (١٤٤)
ادم عليه السلام (١٥٣) ، (١٥٨)
أبرهه (١٥٣)
أسامة بن زيد (١٥٣)
الأحنف بن قيس (١٥٤) ، (١٥٩)
أم عامر (١٥٥)
ابراهيم عليه السلام (١٥٧)
ابراهيم بن عبد الرحم الغنيم (١٦٣)
الأصمعى (١٦٤) ، (١٦٥)

(ب)

البغدادى (د)
ابوبكر بن ذكوان (٤)
ابوبكر عباده (١٠)
ابوبكر بن محمد بن ابراهيم (١١)
ابوبكر مسلم بن احمد (١٢) ، (١٩) ، (٢٠)
ابوبكر محمد عليم (٢٠) ، (٦٣) ، (٦٥) ، (٦٦) ، (٦٧) ، (٦٨) ، (٧٠) ، (٧٦) ، (١٠٨) ،(١٠٩) ،(١٢٣) ،(١٢٤)،(١٢٥)، (١٢٦) (١٢٧) ، (١٣٣) ، (١٣٤) ، (١٣٥) ، (١٣٩) ، (١٤٨) ، (١٤٩) ، (١٥٠) ، (١٥١) ، (١٥٢) ، (١٥٨) ، (١٥٩) ، (١٦٠) ، (١٦٥) ، (١٦٦)
ابوبكر أحمد بن الحسين (٨٧)
ابوبكر بن داسه (٨٨)
أبى بكر أحمد الصنوبرى (٨٩)
ابوبكر الصديق رضى الله عنه (١١٥) ، (١١٦) ، (١٥٣) ، (١٥٨)

بحترى المغرب (١٣)
بدر الدين بن جماعة (٤٢)
بروكلمان (٤٦)
بشر بن المفضل (٨٨)
بهرام شاه (١٥٨)
أبوبصرة الغفارى (٨٨)
ابن برد الأصفر (٥)
ابن بسام (١٤) ، (١٥)
ابن بابك (٩٥)
السيد البدوى (٣٢)
البيهقى (٨٢)
الباخرزى (٨٢) ، (٩٥) ، (٩٨)
البهاء زهير (٨٥)
البحترى (٩٩) ، (١٣٣)
ابراهيم بن المهدى (١٠٠)
البخارى (١٠٥)
البديع الهمذانى (١٤٣)
ابراهيم سلامة (١٤٤)

ت

تورانشاه (٢٤)
تاج الدين السبكى (٤٠) ، (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٦) ، (٥٣)
تقى الدين بن دقيق العيد (١٣٨)
أبى تمام (٧) ، (٩٦) ، (١٤٦) ، (١٦٥)
ابن تغرى بردى (٢٤) ، (٤٠) ، (٤٥) ، (٥٢)
ابن تيميه (٣٤)
التبريزى (٣٣)
التجانى يوسف بشير (٧٦) ، (١٣٩)

ث

ثابت (١١٤)

ج

جلال الدين القزوينى (٣٣)
جوهر الصقلى (٣٧)
جمال الدين اقوش النجيبى (٣٧)
جبران خليل جبران (٦٦)
جرير بن عبد الله (١٠٥)
جعفر بن سليمان (١٣٨)
جبريل عليه السلام (١٣٨)
ابن جابر الضرير (٣٤)
ابن جهور (١٢٥)
الجاحظ (٧) ، (٦٣) ، (٦٦) ، (١٠٧) ، (١٤٣) ، (١٦٤) ، (١٦٥)

ح

حاتم الطائى (١٥) ، (١٤٦) ، (١٥٩)
حوراء ابنة سكرى (١٤)
حسين منصور (٦٤) ،(٦٧) ، (٧٨)
حسان بن ثابت رضى الله عنه (٨٨) ، (١١٣) ، (١١٤) ، (١١٥) ، (١١٦)
حرام (١١٤)
حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية (١١٦)
حليمة (١٥٤)

ابى حزم بن جهور(٤) ، (١٧) ، (١٨) ، (١٩)
ابو حيان ٠١٤) ، (٣٤) ، (٤٢) ، (٦٦)
ابو الحسين الجزار (٣٠) ، (٣٥) ، (٩٤)
أبى الحجاج المزى (٤٢) ، (٤٣)
ابن حمديس (٨)
ابن حزم (٩)
ابن حجلة (٣٦)
ابن حجر العسقلانى (٤٠) ، (٤٣) ، (٥٣)
ابن حبيب (٤٠)
ابن حجة (٥٢)
الحكم المستنصر (٧)
الحريرى (٧) ، (١٤٣)
الحصرى (٨)
الشيخ حمزة فتح الله (٢٠)
السلطان حسن (٣٦)
الحافظ الدمياطى (٣٦)
الحسينى (٤٠) (٤٢) ، (٤٣) ، (٥٣)
الحليمى الحسين بن الحسن (٨٨)
الحسن بن على عليه السلام (١١٩) ، (١٥٩)
الحسين بن على عليه السلام (١٥٩) ، (١٦١) ، (١٦٢)
الحجاج بن يوسف (١٥٩)

خ

خالد بن صفوان (١٠٣)
خالد بن الوليد (١٥٣) ، (١٥٨)
خليل بن قلاوون (١٥٨)
ابن خلدون (١٣) ، (٣٣)
الخطابى (٨٢)
الخنساء (٨٥)
الخفاجى (٩٦)

د

دحية المحدث (٣٣)
دعبل (٨٦)
دى كوينس (١٢٩)
ابوداود (٨٨)

ذ

أبوذر الغفارى (١١٩)

ر

رقيه رضى الله عنها (١١٧)
رأ اسكوت (١٢٨)
ابورقية تميم بن أوس الدارى (١٠٥)
ابن رافع (٥٣)
ابن الرومى (٩٢)
الرماح بن ميادة (١٦٣)

ز

زينب بنت مكى (٣١)
زينب بنت الكمال (٣١)
زكى مبارك (٦٥) ، (٦٦)
زهير(١٤١)
ابن زيدون (٩) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) ، (١٨) ، (١٩) ، (٢٠) ، (٦٣) ، (٦٧) ، (٦٨) ،

(٨٣) ، (٩١) ، (٩٣) ، (٩٥) ، (١٠٠) ، (١٠١) ، (١٠٨) ، (١١٣) ، (١٢٣) ، (١٢٥) ، (١٢٦) ، (١٢٧) ، (١٣١) ، (١٣٢) ، (١٣٤) ، (١٣٥) ، (١٣٦) ، (١٣٧) ، (١٣٨) ، (١٤٥) ، (١٤٩) ، ١٥٢) ، (١٥٩) ، (١٦٠) ، (١٦٣)
ابن زنجوية (٨٢)
ابن الزبير (٩٧)
الرميكية (٨)
الأزهرى (٥٨) ، (٥٩)
الزمخشرى (٦٧) ، (٨٢)
الزبير (١٢١)

س

سراج الدين الوراق (٣٠)
سبط الجوزى (٣١)
سعد الدين التفتازانى (٣٣)
سعد زغلول (٥٦)
سحبان وائل (٦٣)
سيف الدولة بن حمدان (٩٥) ، (١١١)
سيف الدين بن قزل المشد (٩٨)
سعيد (١١٤)
سعد (١٢١)
سودان بن حمران (١٢١) ، (١٢٢)
ابوسعيد على بن موسى (٣٤)
ابوسلمة سعيد بن يزيد (٨٨)
ابوسفيان بن الحرث (١١٥) ، (١١٦)
ابن سرافه الشاطبى الأندلسى (٣٤)
ابن سعد (٥٢)
ابن الساعاتى (٩٧)
ابن سناء الملك (٩٧)
الخليفة سليمان المستعين (١٠) ، (١١)
المستر (س) هليلسون (٧٠)
السهيلى (٨٨) ، (٨٩)
السلامى (١٠٠)

ش

شوقى ضيف (٢) ، (١٠) ، (١٢)
شوور (١٠) ، (١١)
شجرة الدر (٢٤)
شمس الدين التلمسانى (٣٢)
شمس الدين ابراهيم الجزرى (٣٥)
شوقى (٥٧)
شهريار بن شيرويه (٨٢)
شهاب الدين ابو الثناء محمود (٤٢) ،(٥٣) ،(٩٦)
شهادب الدين الخيمى (٩٧)
شماس بن قيس (١١٦)
شوبنها (١٣١)
شهاب الدين النويرى (١٦٥)
الشريشى محمد بن أحمد النحوى (٣٤)
الشافعى (٣٧) ، (٣٨) ، (٩٩)
الشيخ الإمام (٤٢)
الإمام الشوكانى (٥١)

ص

صفى الدين الحلى (٣٣)

صالح أفندى بطرس (٦٨)

صناجة الدوح محمد بن القاسم (٩٤)

صالح عليه السلام (١١١) ، (١٣٨) ، (١٥٨)

صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها (١١٦)

الصاحب بن عباد (٩) ، (١٢٥)

الصفدى (٢٠) ، (٣٨) ، (٤٣) ، (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٧) ، (٥٢) ، (٥٤) ، (٨١) ، (٨٣) ، (١٠٢) ، (١٠٦) ، (١٠٧) ، (١٢٣) ، (١٢٥) ، (١٢٧) ، (١٣٥) ، (١٣٦) ، (١٣٧) ، (١٣٨) ، (١٣٩) ، (١٤٥) ، (١٤٩) ، (١٥٢) ، (١٥٨) ، (١٥٩) ، (١٦٠) ، (١٦٣) ، (١٦٥) ، (١٦٦)

الصالح نجم الدين (٢٤) ، (٢٩) ، (٣٥)

الصولى (٨٢)

ط

طلحة (١٢١)

طه حسين (١٣٧) ، (١٣٩) ، (١٤٣)

طرفه (١٤١)

طالوت (١٥٣)

ابن طولون (٣٦)

الشيخ الطيب السراج (٦٦)

الشيخ الطيب أحمد هاشم (٦٨)

ظ

ابن ظافر (٨٢)

الظاهر بيبرس (٢٦) ، (٢٧) ، (٢٩) ، (٣٦)

ع

عبد الرحمن الداخل (٣) ، (٨)

عبد الملك بن سعيد (٥)

عتبة (١٥) ، (١٧)

عبد الرحمن خليفة (٢٠)

عثمان بن الحاجب (٣٥)

عز الدين ايبك التركمانى (٣٦)

عمرو بن العاص (٣٦) ، (١١٥)

علم الدين سنجر الدوادرى (٣٦)

عبيد حاج الأمين (٥٧)

على عبد اللطيف (٥٧) ، (٥٨)

عمرو بن عبيد (٨٧)

عبد الصمد الرقاشى (٨٤)

على بن الجهم (٩٧) ، (١٤٠)

عائشة رضى الله عنها (١٠٢) ، (١١٤) ، (١٥٣)

عيسى بن مريم عليه السلام (١١١)

عثمان بن عفان رضى الله عنه (١١٣) ، (١١٧) ، (١١٨) ، (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٥٨)

عبد الرحمن بن ثابت (١١٤)

علقمه بن عبدة (١١٤)

عمرو بن الحرث الغسانى (١١٤)

عبد الله بن الزبعرى (١١٥)

عمرو بن العاص (١١٥)

عبد الله بن رواحه (١١٥) ، (١١٦)

عمر رضى الله عنه (١١٧) ، (١١٨) ، (١١٩) ،(١٥٨)

عبد الرحمن بن عوف (١١٨)
عمار بن ياسر (١١٩)
عبد الله بن مسعود (١١٩)
عبد الله بن السرح (١١٩) ، (١٢٠)
على بن أبى طالب (١١٩) ،(١٢١) ، (١٥٨)
عبد الرحمن بن عديس البلوى (١٢١)
عمرو بن الحمق الخزاعى (١٢١)
عمرو بن حزم الأنصارى (١٢٢)
عمارة اليمنى (١٣٨)
عدى بن زيد (١٤٠)
عبد القادر الجرجانى (١٤٤)
عمرو بن الأهتم المنقرى (١٤٦)
عمر بن سعد (١٥٣)
عنترة (١٥٩)
عمر بن عبد العزيز (١٦١)
عبد القادر القط (١٦٣)
أبى على القالى (١٧) ، (٦٥)
أبى العرب الصقلى (٨)
ابو العباس أحمد بن حمد بن ذكوان (١٠) ، (١١) ، (١٣)
ابو عامر بن عبدوس (١٥) ، (١٧) ، (٢٠)
ابو عبد الله بن القلاس (١٥)
ابو عبد الله الذهبى (٤٢) ، (٤٣) ، (٥٣) ، (١٣٥)
ابو العلاء المعرى (٦٥) ، (٨٩)
ابى عبيد البكرى (٨٢)
أبى عثمان المازنى (٨٥)
ابوعلى الروز بارى (٨٨)
ابو العتاهية (١٤٨)
ابن عمار (٨) ، (١٩)
ابن عبد ربه (٩) ، (١٢٤) ، (١٥٢)
ابن عبيد القاسم بن سلام (١٢)
ابن العجمى (٣٦)
ابن عطاء الله السكندرى (٣٧)
ابن عماد الحنبلى (٤٦)
ابن عبد البر (٨٢)
ابن عبد يا ليل بن عبد كلال (١٠٢)
ابن عباس (١٠٤) ، (١٠٦)
عبد الرحمن الناصر (٧)
العباس بن الأحنف (١٠١)
الشيخ عبد الغنى النابلسى (١٣٠)
العقاد (١٣٩)

غ

غردون ٥٥ ، ٥٧

ف

فرناند الفونس (٢)
فتح الدين بن سيد الناس (٤٢) ، (٤٣)
فيشر (٦٥)
فخر الدين الرازي (٨٢)
فرعون (١٥٨)
أبي الفتح ابن سيد الناس (٤٢)
أبى الفرج الأصفهانى (٨٢) ، (١٦٥)
أبا فرعون العدواني (٨٥)

أبي الفضل طاهر بن الفقيه المحدث (٨٩)
أبو فراس بن حمدان (٩٦) ، (١٠١) ، (١٣٤)
أبو الفتيان بن حيوس (٩٧)
أبو الفتح نصر بن سيار (٩٨)
أبو الفتح عثمان بن جنى (١٤٣)
القاضي الفاضل (٣٥)
الشيخ فؤاد الخطيب (٧٠) ، (١٤٣)
الفتح بن خاقان (٨٢)
الفرزدق (٨٦) ، (٨٧)
الفضل بن الربيع (٩٩)

ق

قتادة (٩) ، (١٢٤)
قطز (٢٦) قاسم بن ثابت (٨٢)
قطز (٢٦)
أبو القاسم محمد بن أحمد (٣٤)
أبو القاسم بن أحمد بن هاشم (٦٩)
ابن قلاقس (١٠٠)
ابن قتيبة (١٥٢)
القلشقندي (٤٠)
الأستاذ القباني (٦٥)
القسطلاني (٨٣)
القيصر (١٣٤) ، (١٣٥)

ك

كامل كيلاني (٢٠)
كتيغا (٢٩)
كسرى أنور شروان (٣٦)
كافدر الاخشيري (١١١) ، (١١٢)
كعب بن مالك (١١٥) ، (١١٦)
كنانة بن بشير (١٢١)
ابن كثير (٣١) ، (٣٧) ، (٤٢) ، (٤٤) ، (٥٣) ، (٨٣)
ابن كلس " ابو الفرج يعقوب " (٤٩)
الكامل بن العادل (٣٥)

ل

لاجين (٢٩)
لؤلؤ (١١١)

م

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٥) ، (٨٦) ، (٨٧) ، (٨٨) ، (٩٤) ، (١٠٢) ، (١٠٣) ، (١٠٤) ، (١٠٥) ، (١٠٦) ، (١١٤) ، (١١٥) ، (١١٧) ، (١١٨) ، (١١٩) ، (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٣٧) ، (١٥٨) ، (١٦١) ، (١٦٢) ، (١٦٤)
محمد بن عباد اللخمي (١)
موسى بن نصير (٣)
د. مصطفى الشكعة (١٨)
محمد بن دانيال (٣٠)
مالك (٣٤)
محمد بن علي بن الصباغ (٣٤)
موسى بن العادل الأيوبي (٣٧)
محمد كرد (٤٥) ، (١٢٥)
محمد أحمد المهدي (٥٥)
محمد أمين هديب (٥٧)

محمد أحمد محجوب (٥٩)
محمد النشاشيبى الإبراهيمي (٦٥)
محمد عبد القادر حمزة (٦٦)
محمد توفيق دياب (٦٦)
ميخائيل نعيمة (٦٦)
محمود سامي البارودي (٦٦)
مانسيون (٦٥)
محمد عبد الرحيم (٦٧)
محمد أمين قراعة السيوطي (٦٩)
مسدد (٨٨)
مطرف بن عبد الله بن المولى (١٠٠)
مسلم بن الوليد (١٠٠)
مهيار (١٠١)
مسلم (١٠٣) ، (١٠٤) ، (١٠٥)
معاوية بن أبي سفيان (١١٧)
مروان بن الحكم (١١٨) ، (١١٩) ، (١٢٠) ، (١٢١)
محمد بن أبي بكر (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٢٢)
محمد البسيوني (١٣٠)
معاوية محمد نور (١٣٧) ، (١٦١)
د. محمد زكي العشماوي (١٤٤)
موسى عليه السلام (١٥٣) ، (١٥٨)
محي الدين بن عبد الظافر (١٥٩)
ابو محمد عبد الله بن أحمد (١٧)
أبو المنيع قراوش (٩٧)
أبو موسى الأشعري (١٠٦)
ابن المعتمد (١٩)
ابن مرتين (١٩)
ابن معطى (٣٤)
ابن المقفع (٦٦) ، (١٤٣)
ابن مسعود (١٠٣) ، (١٠٤)
ابن المعتز (١٤٨)
ابن المعلم (١٤٨)
المعتمد بن عباد (٢) ، (٨)
المقرى (٥) ، (١١) ، (١٤) ، (٣٤)
الإمام مالك (٧)
المتنبى (٧) ، (٩٣) ، (٩٤) ، (٩٥) ، (١٠٩) ، (١١٠) ، (١١٢) ، (١٣٠)
المعتصم بن صمادح (٨)
المنصور بن أبي عامر (٩)
المعتضد بن عباد (١٣) ، (١٨) ،(١٩) ، (٢٠)
المستكفي (١٤)
المظفر بن الأفطس (٢)
المقريزي (٢٥) ، (٢٨) ، (٢٩) ، (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦)
المنصور قلاوون (٢٧)
المعز لدين الله الفاطمي (٣٧)
الشيخ محمد المجذوب الطاهر (٧٤)،(٧٥)، (٧٦)
الشيخ محمد مدني السواكني (٧٦)
المسعودي (٨٢)
المهدي (٩٩) ، (١٠١)
المأمون (١٠٠) ، (١٠٣) ، (١٣٥)
المؤمل بن أميل (١٠٠)
المنذر (١١٤)

المتوكل (١٤٠) ، (١٤١) ، (١٥٨)

ن

نور الدين محمود زنكي (٣٥)
ناصح الدين أبي بكر أحمد الأرجاني (٩٢)
نصيب (٩٩)
نيار بن فيض (١٢٢)
نوح عليه السلام (١٥٣) ، (١٥٨)
ناصر الدين حسن بن شاور (١٥٩)
أبي نواس (١٥) ، (٨٤) ، (٨٥) (٩٩)
ابن نباته (١٥) ، (٢٧) ، (٤٢) (٥١)
ابن النباع الليثي (١٢١)
السلطان ناصر حسن (٢٩)
النابغة الذبياني (١١٤) ، (١٥٩)

هـ

هولاكو (٢٦)
هشام بن الوليد بن المغيرة (١١٩)
ابو هلال العسكري (٩٣) ، (١٣٠)
ابن الهداهيد (١٠)

و

وليد الخازن (١٢) ، (١٣)
ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن (١٣) ، (١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) (١٨) ، (٢٠)
وحيد الأيوبي (٦٠)
ابو الوليد أحمد بن عبد الله (١٠)
ابي الوليد بن جهور (١٣) ، (٧٠) (١٢٣)
ابن الوردي (٣٢)
الوليد بن المغيرة (١٠٤)
الوليد بن عقبة (١١٨)

ي

يوسف بن تاشفين (٢)
يحي بن يحي الليثي (٧)
يونس الدبوسى (٤٣)
ياقوت الحموي (٨٢)
يوسف عليه السلام (١٣٧)
يزيد بن معاوية (١٤٨) ، (١٦١)

فهرس الأماكن والبقاع

(ى)

الأندلس (٢) ،(٣)،(٤)،(٥)،(٦)،(٧)،(٨)،(٩)،(١١)،(١٤) ،٢٠ ،٣٣ ،٣٤ ،١٢٣ ،١٢٤ ،١٣١

ايبيريا (٢)

اسبانيا (٣)

اشبيلية (٨) ،)(١٨ ،(١٩) ،(٢٠)،

الأرمن (٢١)

آسيا الصغرى (٢١)

الأردن (٢٣) ، (١١٨)

إسرائيل (٢٣)

الأنباط (٢٣)

أوروبا الشمالية (٢٥)

أنبابة (٣٢)

أربل (٣٤)

أسيوط (٣٧)

أم درمان (٥٥) ، (٥٧)،(٦٣)

أفريقيا (٥٥) ، (١١٨)

أصطخر (١١٨)

الأساورة (١١٨٠)

(ب)

بغداد (٦) ، ٧ ،٢٣ ،٢٦ ،٢٩ ،٣٣ ،٣٤ ٦٥

بلاد النوبة ٢١ ،٢٧ ،٦٣ ،١٥٠

البحر الأبيض المتوسط (٢١)، ٢٣

البحر الأحمر (٢١) ، ٢٤ ،٥٥

بحر قزوين (٢٥)

بين القصرين (٣٦)

بريطانيا (٥٥) ، ٥٦ ،٥٧ ،٥٨

بورتسودان (٥٧)

البصرة (٨٥)

البقيع (١١٢)

(ت)

تهامة (٢٣)

تركيا (٥٦)

التونجة (٦٤)

(ج)

الجامع الأزهر (٣٧)

جيل قاسيون (٣٧)

الجزائر (٦٥)

جزيرة الروضة (٢٤)

الجوزاء (١١٢)

(ح)

الحجاز (٢١) ، ٢٣ ، ١٤٨

حلب (٣٤) ، ٣٨ ، ٤٠

الحطيم (١٠٠)

حمص (١١١)

حراء (١٢١)

(خ)

الخرطوم (٥٥) ، ٦٤ ، ١٤١

خزان سنار (٧٣)

الخندق (١١٦)

(د)

دمشق (٦) ، ٢٥، ٢٦، ٣١ ، ٣٤ ،٣٥ ،٣٧ ٤٠ ،٤٣ ،١١٤ ،

دمياط (٢١)

دجلة (٣٣)

دار الحديث الظاهرية (٣٧)

دار الحديث الأشرفية (٣٧)

(ر)

الرصافة (١١)

رشيد (٢١)

الرافدين (٢٣)

(ز)

الزلاقة (٢)

زمزم (١٠٠)

(س)

سالم (١١)

السروات (٢٣)

السودان (٢٧) ،٥٥ ،٥٦ ،٥٧ ،٥٨ ،٥٩ ،٦٠ ،٦٣ ،٦٨ ،٦٩ ،٧٠ ،٧٣ ،١٢٥ ،١٥٠

سابور (١١٨)

سجستان (١١٨)

(ش)

الشام (٩) ، ٢١ ،٢٣ ،٢٧ ،٢٨ ،٣١ ،٣٣ ،٣٤ ،٣٧ ،٤٠ ،١١٠ ،١٢٤

(ص)

صقلية (٨)

صفد (٣٩) ، ٤٠

الصوفية (٤٠)

(ط)

الطور (٢٢)

طرابلس (٢٧)

طنطا (٣٢)

الطائف (١١٨)

طبرستان (١١٨)

(ع)

العراق (٩) ، ٢١ ،٢٧ ،٢٩ ،١٢٤

العاصي (٢٣)

عين جالوت (٢٦)

عكا (٢٧)

عطبرة (٥٧)

العقبة (١٥٣)

(غ)

غرناطة (١٠)

(ف)

الفرات (٢٢)، ٢٣ ، ١٦٢

فلسطين (٢٣)

الفسطاط (٣٦)

(ق)

قرطبة (٣) ، ٤ ،٦ ،٧ ،٨ ،١٠ ،١١ ،١٢ ،١٤ ،١٥ ،١٧ ،١٨ ،١٩ ،٢٠

القاهرة (٦) ، ٢٠ ،٢١ ،٢٥ ،٣٢ ،٣٤

٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤١

القيروان (٨)

القوقاز (٢٥)

قلعة الروم (٢٧)

القوص (٣٧)

(ك)

كنعان (٢٣)

كسلا (٦٣)

كلية غردون (٧٠)

الكوفة (١١٠)، ١١٨

كرمان (١١٨)

الكعبة (١٢١)، ١٥٠ ، ١٥٤

(م)

المغرب (٢) ، ٣ ، ٣٣

المدينة المنورة (٧) ، ٢٣ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢١

مصر (٧) ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٣

مكة (٢٣) ، ١٣٧

المسجد الأموي (٣١)

المقدس (٣٤)

مالطة (٥٦) ، ٥٧

محلة روح (٣٦)

(ن)

النيل (٢١) ، ٢٢

الناصرية البرانية (٣٧)

الناصرية الجوانية (٣٧)

النيلين الأبيض والأزرق (١٤١)

(هـ)

الهلال الخصيب (٢١)

(و)

وداي القرى (٢٣)

(ي)

اليمن (٢١) ، ١١٤

الدولة الأيوبية (٢٤)

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ابن زيدون – د. شوقي ضيف – طبعة دار المعارف بيروت – ١٩٥٣ م .
- ابن زيدون وأثر ولادة في حياته و أدبه – وليم الخازن – بيروت : دار الحياة اللبنانية ، " – ١٩٦ م " .
- ابن عربي المالكي الاشبيلي وتفسيره أحكام القرآن – د. مصطفى ابراهيم المشنى – دار الجيل بيروت – دار عمار عمان .
- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه – مصطفى الشكعة – بيروت : دار العلم للملايين – ١٩٧٩ م .
- الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة – د. أحمد هيكل أستاذ الأدب بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٩٨٦ م – دار المعارف .
- الأدب في العصر المملوكي تأليف د. محمدزغلول سلام – أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية – دار المعارف بمصر .
- الأسس الجمالية في النقد العربي – عرض وتفسير ومقارنة – عز الدين اسماعيل ط ١ القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٥٥ م .
- الأسلوب – أحمد الشايب ط ٣ مكتبة النهضة المصرية الاسكندرية ١٩٣٩ م .
- أصول النقد الأدبي – تأليف أحمد الشايب الأستاذ بجامعة القاهرة سابقاً ١٩٩٩ م – مكتبة النهضة المصرية .

- الأغاني تأليف أبى الفرج الأصفهاني علي بن الحسين – ٣٥٦ هـ – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- انتشار الإسلام في القارة الافريقية – د. ابراهيم حسن – مكتبة النهضة الإسلامية – طبعة ثانية ١٩٦٣ م .
- البداية والنهاية – ابن كثير – أبى الفداء الحافظ – ابن كثير الدمشقي المتوفي ٧٧٤ هـ .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفي ١٢٥٠ هـ – المجلد الأول – دار المعارف للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .
- البيان والتبيين ، الجاحظ – تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط ٣ ج ١ – الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ومكتبة الهلال بيروت – المكتب العربي بالكويت ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
- تاريخ الأدب العربي – جرجي زيدان .
- تاريخ الثقافة العربية في السودان – عبد المجيد عابدين .
- تاريخ الحركة الوطنية في السودان – بروفيسور محمد عمر بشير – الخرطوم – الدار السودانية للطباعة والنشر– طبع دار الفكر بدمشق ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- تاريخ السودان الحديث – ضرار صالح ضرار – طبعة ثالثة ١٩٧٥ م – الدار السودانية للكتب .

- تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر – دراسة في التطورات والإتجاهات السياسية – د. أحمد طربين أستاذ في كلية الآداب جامعة دمشق – مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

- تاريخ النقد الأدبي إلى القرن الرابع الهجري – د. محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر .

- التجاني يوسف بشير الشاعر السوداني (دراسة نقدية في تجربته الشعرية) تأليف بدر الدين هاشم أبو القاسم – طبعة أولى – المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون – لخليل بن أيبك الصفدي – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية صيدا – بيروت ١٩٩٨ م .

- جذور الوحدة الوطنية في السودان – د. الطاهر محمد علي الخرطوم ١٤٠٠ هـ.

- جريدة حضارة السودان – العدد (٤٨) – ٢٠ يونيو ١٩٢١ م .

- جريدة الرأي العام السودانية – العدد ٢٨٠٤ بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠٥ م – ملحق الرأي العام الثقافي .

- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – أحمد بن ابراهيم الهاشمي .

- حكم ابن عطاء الله ، شرح العارف بالله الشيخ أحمد رزق – تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف – مكتبة النجاح .

- الحيوان – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – المجمع العلمي الاسلامي – بيروت ط ٣ – ١٣٨٨ هـ .
- خصام ونقد د. طه حسين – الطبعة الرابعة – دار العلم للملايين – بيروت .
- ديوان بن زيدون – حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري – دار الجيل – بيروت .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – تأليف الامام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني – المجلد الأول (١ – ٢) منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
- الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون – أبو بكرمحمد عليم .
- ديوان اشراقة – للتجاني يوسف بشير – بيروت– لبنان – الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .
- ديوان الحقائق ومجموع الرقائق – الشيخ عبد الغني النابلسي – دار الجيل بيروت – دار عمار عمان .
- رسالة في علم الموسيقا – صلاح الدين الصفدي – (٦٩٦ هـ – ٧٦٤ هـ) – (١٢٩٦م – ١٣٦٣ م) – دراسة وتحقيق د. عبد المجيد دياب ، والأستاذ عبد الملك خشبة .
- رواد الفكر السوداني – محجوب عمر باشري – دار الفكر – الخرطوم – دار العالم الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨١ م .

- سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون – لابن نباته المصري – المطبعة الأميرية ، مصر ١٢٧٨ هـ ، ١٨٦١ م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك / تأليف أحمد علي المقريزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا : ط ١ بيروت – دار الكتب العلمية ، ١٩٧٧ م .
- السودان بين عهدين – سعد ميخائيل – د . ت و مكان طبعه .
- الشاطئ الصخري : شعر / حسين منصور : القاهرة : (د . ن) ، (–١٦٩م) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفي ١٠٨٩ م – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت .
- شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوني ، الجزء الرابع ، الناشر – دار الكتاب العربي – بيرت – لبنان .
- الشعر الحديث في السودان – عبده بدوي – المجلس الأعلي لرعاية الفنون والآداب والعلوم – رسالة ماجستير ١٩٥٣م .
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم و فقهائهم وأدبائهم – ابن بشكوال (أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك المتوفي ٥٧٨هـ ، ١١٨٢م).
- الصور الفنية في الشعر العربي مثال ونقد – ابراهيم بن عبدالرحمن الغنيم – الشركة العربية للنشر والتوزيع – القاهرة .
- طبقات الشافعية الكبري الجزء السادس (الطبعة الثانية) دار المعارف والنشر والتوزيع (بيروت – لبنان).
- العقد الفريد تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان .

- الفن التشكيلي د. محمد البسيوني ط ١ عالم الكتاب القاهرة ١٩٨٠م .
- في الأدب الأندلسي – تأليف جودت الركابي – أستاذ ذو كرسي – بجامعة دمشق – ط ٢ – دار المعارف بمصر .
- قصة الأدب في الأندلس – محمد عبد المنعم خفاجة – منشورات مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٢م .
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د. محمد زكي العشماوي أستاذ النقد الأدبي بجامعة الاسكندرية الطبعة الثالثة ١٩٧٨م .
- قلائد العقيان في محاسن الأعيان – الفتح بن خاقان – مصورة عن طبعة باريس .
- كتاب الصناعتين – ابو هلال العسكري – تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ط ١ – دار إحياء الكتب بمصر ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م .
- لباب التأويل في معانى التنزيل – لأبي الحسن علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن – طبعة دار الكتب العلمية (ب.ت).
- لحن العامة والتطور اللغوي – د. رمضان عبد التواب .
- لسان العرب لابن منظور – تحقيق الأساتذة : عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشازلي – دار المعارف .
- مجلة ابولو يناير ١٩٣٣م – العدد ٥٦٧ .
- مجلة العربي العدد ٥٣٩ شعبان ١٤٢٤ هـ – اكتوبر تشرين أول ٢٠٠٣م .
- مدن إسلامية في عهد المماليك – ابرا لابدوس– الأهلية للنشر والتوزيع .
- مسالك الأبصار (دولة المماليك الأولي) تحقيق دورئيا كرافولسكي طبع المركز الإسلامي للبحوث بيروت ١٩٨٦م .
- مصادر التراث العربي – عمر الدقاق – مكتبة دار الشرق بيروت ١٩٧٢م .

- المصادر الأدبية في التراث العربي – د . عز الدين اسماعيل – دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي (طبعة فريد الرفاعي) .
- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية – تأليف عمر رضا كحالة – المجلد الثاني – الناشر مكتبة المثني بيروت – دار إحياء التراث العربي - بيروت – الجزء ٣/٤٠) .
- موت دنيا محمد أحمد المحجوب وعبد الحليم محمد – مصر – مطابع دار أخبار اليوم – ١٩٤٦م .
- مؤلفات معاوية محمد نور – الجزء الأول دراسات في الأدب والنقد – الطبعة الأولي ١٩٧٠م – قسم التأليف والنشر – جامعة الخرطوم .
- النجوم الزاهرة – جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي – دار النشر وزارة الثقافة مصر .
- نظرات في أصول الأدب والنقد د. بدوي طبانة – شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .
- نظرية اللغة في النقد الأدبي – د. عبد الحليم راضي –كلية الآداب جامعة القاهرة – الناشر مكتبة الخانجي بمصر .
- نظم دولة سلاطين المماليك – الدكتور عبد المنعم ماجد - الجزء الاول .
- نفثات اليراع / محمد عبد الرحيم:- الخرطوم – شركة الطبع والنشر ، (١٩٣١ م) .
- نفح الطيب / تأليف أحمد المقرئ المغربي المالكي / الأشعري - القاهرة – مكتبة عيسي البابي وشركاه ، ١٩٣٦ م .